

التعليقات التوضيحية

على

مقدمة الفتوى الحموية

لشيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني

أجزل الله له المثوبة والمغفرة

التعليقات

لفضيلة الشيخ العلامة

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى به وأشرف على طبعه

عادل بن محمد مرسي رفاعي

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

دار العاصمة

للنشر والتوزيع

التعليقات التوضيحية

على

مقدمة الفتوى الحموية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر
الفوزان، صالح بن فوزان
التعليقات التوضيحية على مقدمة الفتوى الحموية. /صالح بن فوزان الفوزان؛ عادل محمد مرسي الرفاعي - الرياض ، ١٤٢٩هـ
٣٠٠ ص ، ١٧ x ٢٤ سم
ردمك ٤-٢-٠٥٠٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١- التوحيد ٢- الالوهية أ- رفاعي، عادل محمد مرسي(محقق) ب- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٢٩/٢٥٩٦

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٢٥٩٦
ردمك: ٤-٢-٠٥٠٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

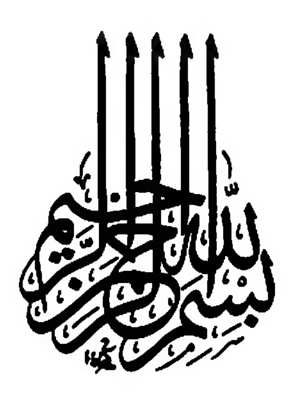
التَّعليقَاتُ التَّوضيحيَّة
عَلى
مقدِّمةِ الفتوى الحمويَّة

لشيخ الإسلام
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميّة الحرّاني
أجزل الله له المثوبة والمغفرة

التعليقات
لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى به وأشرف على طبعه
عادل بن محمد مرسي رفاعي
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

دار العاصمة
للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وبعد: فقد أذنت للأخ الفاضل: عادل بن محمد مرسي رفاعي

بطبع تعليقاتي على مقدمة الرسالة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

رجاء أن يكون في هذه التعليقات فائدة للقارئ.

وجزى الله الأخ عادلاً خير الجزاء على ما قام به من جهد مشكور في إخراج

هذه التعليقات وتنظيمها مع ما لاقاه من تعب في سبيل ذلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه:

صالح بن فوزان الفوزان

[توقيع]

٢٦/٤/١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وبعد : فقد أذنت للأخ الفاضل : عادل بن محمد مرسي رفاعي بطبع تعليقاتي على مقدمة الرسالة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ؛ رجاء أن يكون في هذه التعليقات فائدة للقارئ.

وجزى الله الأخ عادلاً خير الجزاء على ما قام به من جهد مشكور في إخراج هذه التعليقات ، وتنظيمها ، مع ما لاقاه من تعب في سبيل ذلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

١٤٢٩/٤/٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، وبعد؛

فهذه تعليقات على:

اَلْفَتْوَى الحَمَوِيَّة الْكُبْرَى

لِشَيخ الإسْلامِ تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِي
أَجْزَلَ اللهُ لَهُ المَثُوبَةَ وَالمَغْفِرَةَ

بتعليق

فَضِيلَةِ الشَّيخ/ صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْفَوْزَانِ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

وكان ذلك في دروس ألقاها فضيلته في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز بالرياض، ابتداءً من الثاني عشر من شهر شوال من عام أربعة وعشرين وأربعمائة وألف.

نسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجزي الماتن والشارح خير الجزاء، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد...،

فإن خير الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، ولا يدرك هذا الخير، ويجتنب هذا الشر إلا بتوفيق الله ـ سبحانه وتعالى ـ للعبد لاتباع كتابه وهدي نبيه في العلم والعمل بفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، ولقد بعث الله محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل، وفي جاهلية جهلاء، وعلى حين تفرق من الناس، فأنعم الله عليهم بأن بعث إليهم نبي الهدي ورسول الرحمة بالهدي ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، وأظهر الله دينه، وجمع عليه المسلمين أمة واحدة، اجتمعت قلوبهم على الصراط المستقيم، وألف بينهم بهذه النعمة العظيمة.

وواصل الخلفاء الراشدون المهديون مسيرة الهدي والرشاد، يبلغون دين الله ﷻ مجتمعين أمة واحدة، ثم حدث ما أخبر به رسول الله ﷺ من الفتن، وظهورها في الأمة، وافترقت الأمة المسلمة بسبب هذه الفتن، ومع كثرة المحدثات وغلبة الجهل أصبح الإسلام غريباً، وتفرقت كلمة

المسلمين ؛ فصاروا فرقاً كثيرة بعد أن كانوا أمة واحدة ، كما هو حاصل اليوم ، وطريق العودة إلى وحدتهم بيِّن واضح ، وهو طريق السلف الصالح جيلاً بعد جيل ، دون من وصف بالبدعة كالروافض والخوارج ، وغيرهما من أهل البدع المذمومة.

ومع غربة هذا الدين ، وكلما جاء زمان كان الذي بعده شراً منه ، وكانت غربة الإسلام فيه أشد ؛ كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ».

ولما جعل رب العالمين دين محمد ﷺ باقياً إلى قيام الساعة ، فلم تخلُ الأرض من قائم له بحجته أبداً ؛ كما روى مسلم في صحيحه : « لاَ يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ».

وكذا روى البخاريُّ في المناقب عن معاوية ﷺ يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : « لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِى أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ».

وممن يقيم الحجة لله على خلقه الأئمة المجددون ، فكلما جاء قرن من القرون التي تنطمس فيها معالم الدين ، ويكاد أن تتعطل معظم أصوله ودعائمه ؛ من تلاعب الجهال به ، وموت العلماء ، وارتفاع أهل الجهل وترؤسهم ، بعث الله ﷻ لهم من يجدد لهم دينهم ، ويردهم إلى ما كانوا عليه ، أي : ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ وأهل القرون المفضلة ،

بالدعوة والتعليم، وحسن القدوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ مصداقًا للحديث الشريف الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « **إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا** ».

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ: هذا الحديث إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات، وقد صححه الحاكم والحافظ العراقي والسخاوي، وقال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ، حديث صحيح، والسند صحيح رجاله ثقات رجال مسلم.

وقال الإمام أحمد في خطبة كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله):

الحمد لله الذي أمتنَّ على العباد؛ بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضال تائه قد هدوه! بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس! وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون بكتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وقد قيض الله عز وجل لهذه الأمة مجدد القرن السابع علم الأعلام، وشيخ الإسلام، وإمام المسلمين، ومجدد معالم الدين في عصره ناصر السنة، وقامع البدعة:

شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي

الذي نازل فرق الضلالة على تنوعها في زمانه: من جهمية، ومعتزلة، وأشاعرة، وصوفية، ورافضة.

فتصدى لهم - رحمه الله -، وكان سيفًا مسلولاً على المخالفين، وإمامًا قائمًا ببيان الحق ونصرة الدين، فانبرى للرد عليهم وتفنيد أقوالهم، ولم ينشغل بمناقشة فرقة منهم دون الأخرى، وهو كما ذكره تلميذه العلامة ابن القيم - رحمه الله - في النونية:

وَلَـهُ المَقَامَـاتُ الشَّهِيرَةُ فِـي الـوَرَى ... قَـدْ قَامَهَـا لله غَـيرَ جَبَـانِ

نَـصَرَ الإِلَـهَ وَدِينَـهُ وَكِتَابَـهُ ... وَرَسُـولَهُ بِالسَّيفِ وَالبُرهَـانِ

أبـدَى فَـضَائِحَهُم وَبَـيَّنَ جَهلَهُـم ... وَأرَى تَنَاقُـضَهُم بِكُـلِّ زَمَـانِ

وَأصَـارَهُم وَالله تَحـتَ نِعَـالِ أه ... لِ الحَـقِّ بَعـدَ مَلاَبِـسِ التِّيجَـانِ

وَأصَارَهُم تَحتَ الحَضِيضِ وَطَالَمَا كَـانُوا هُـمُ الأعـلاَمَ لِلبُلـدانِ

وَمِـنَ العَجَائِـبِ أنَّـهُ بِـسِلاَحِهِم أردَاهُـمُ تَحـتَ الحَضِيضِ الـدَّانِي

كَانَـت نَوَاصِـينَا بِأيـدِيهِم فَمَـا مِنَّـا لَهُـم إلاَّ أسِـيرٌ عَـانِ

فَغَـدَت نَوَاصِـيهِم بِأيـدِينَا فَـلاَ يَلقَونَنَـا إلاَّ بِحَبـلِ أمَـانِ

وَغَـدَت مُلُـوكُهُمُ مَمَالِيكـاً لأن صَـارِ الرَّسُـولِ بِمِنَّـةِ الـرَّحمَنِ

فَـاقرَأ تَـصَانِيفَ الإمَـامِ حَقِيقَـةً شَـيخِ الوُجُـودِ العَـالِمِ الرَّبَّـانِي

أعنِـي أبَـا العَبَّـاسِ أحمَـدَ ذَلِـكَ ال بَحـرُ المُحِـيطُ بِـسَائِرِ الخِلجَـانِ

فشيخ الإسلام - رحمه الله - يعد مدرسة علماء الأمة، ولو لم يكن من حسناته إلا تلميذه العلامة ابن القيم لكفاه، فكيف وقد خلف أئمة كبارًا كابن عبد الهادي، وابن كثير، والذهبي، والمزي، والبزار، وابن سيد الناس، والبرزالي، وابن الزكي، وغير هؤلاء كثير من كبار المحدثين والفقهاء.

فرحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له المثوبة والأجر، وجمعه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

وقد قام شيخنا ووالدنا الشيخ /

صَالِحُ بْنُ فَوْزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الفَوْزَانِ
غَفَرَ اللهُ لَهُ وِلِوالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ

بالتعليقات على الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد استأذنت شيخنا ووالدنا بالعمل على هذه التعليقات، فأذن لي بذلك، لكنه رأي الاقتصار على التعليقات على المقدمة لما تتضمنه من قواعد عظيمة، وأما البقية فهي تطبيقات لهذه المقدمة.

فأسأل الله ﷻ أن يرفع بها ذكره، وأن يعلي بها درجاته، وأن يجزل لشيخنا الأجر والمثوبة، وأن يجعله إمام هدى ورشاد، وأن يجمعه وشيخ الإسلام ووالديه تحت لواء الحمد في جنات النعيم، وفي زمرة السابقين مع النبي الأمين، وصحابته الغر الميامين، وأن يجعل لي من الخير نصيبا. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

عادل مرسي رفاعي

الرياض ١٤٢٩/٤/١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدّمَة المعلق

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد :

فإن الله ﷻ جعل العلماء ورثة الأنبياء كما قال ﷺ : «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ »[1]، معنى ذلك أنهم يتلقون العلم الموروث عن رسول الله ﷺ نقياً صحيحاً، ثم يبلغونه للأمة، ويدعون إليه، ويردون ما أُلصق بهذا الدين من البدع والمحدثات، والأقوال المخالفة للكتاب والسنة ؛ وهذا هو التجديد الذي قال فيه النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »[2]، التجديد معناه : إظهار الدين الصحيح الموروث عن النبي ﷺ، ونفي ما علق به من البدع والمحدثات والأقوال المخالفة لهدي الرسول ﷺ، والرجوع بالناس إلى الدين الصحيح، لا الدين المزيف الذي يتوارثه الناس من غير بصيرة، حسب العادات والتقاليد، وما يحدثه أهل الضلال وينسبونه إلى الدين،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (١٩٦/٥) من حديث أبي الدرداء ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم في المستدرك (٥٦٧/٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فلو بقي الأمر على هذا، لضل الناس عن دين الله - عز وجل -، ولغُير الدين. إلاّ أن الله - سبحانه وتعالى - يأبى إلاّ أن يُتم نوره، وقد تعهد الله، وتكفل بحفظ هذا الدين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]؛ ومن حفظ الله لهذا الدين أن يوجد من العلماء الربانيين الراسخين في العلم من يبين الدين الصحيح من الدين المزيف، وهذا - ولله الحمد - في كل زمان يقيض الله لهذه الأمة من الأئمة المصلحين والمجددين من يقوم بهذه المهمة العظيمة، ولولا أن الله يقيض هؤلاء الأئمة، لضاع هذا الدين، واستبدل به غيره، ولتسلط شياطين الإنس والجن والجهلة على الناس، فصرفوهم عن الدين الصحيح، هذا من فضل الله - سبحانه وتعالى - على هذه الأمة أن يوجد فيها هؤلاء الأئمة عند الحاجة، ومن هؤلاء: شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، فإنه قام بنصرة هذا الدين وإظهاره، ودفع الشبه، ودفع الأباطيل التي أُلصقت بالدين وليست منه، فنصر الله به هذا الدين، ومن قبله الإمام أحمد الذي وقف في وجه الجهمية(٣)

---

(٣) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، العبد عندهم مجبور على فعله، وعندهم أن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى، وهم أتباع الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي الذي قتله سَلْم بن أحوز سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، =

والمعتزلة[٤]، وفضحهم، وثبت حتى نصره الله عليهم في مسألة القول بخلق القرآن، مع أن السلاطين وكبار الشخصيات في الدولة كانوا ضده، ولكنه ـ رحمه الله ـ ثبت، وصبر على العذاب والسجن والجلد، وفي النهاية صارت العاقبة له، ونصره الله، وثبت به هذا الدين، كما قام إخوانه الأئمة بمثل ما قام به، كل في زمانه، ثم جاء من بعدهم أئمة منهم هذا الإمام:

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، وهو من بيت علم، بيت علم متوارث بينهم، فجده مجد الدين ابن تيمية، الإمام المحدث الفقيه الذي له كتاب "المنتقى" في الحديث، وله كتاب "المحرر" في الفقه، وله مؤلفات عظيمة؛ ولذلك يقال: ابن تيمية الحفيد

=

والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (١٥٩/٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٩٠).

(٤) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذاً في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها، ومذهبهم في الصفات التعطيل كالجهمية. انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ ـ ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨).

ليخرج بذلك ابن تيمية الجد الذي هو عبد السلام الإمام الجليل، وتيمية قيل: إنه اسم لجدتهم وكانت عالمة تقية، فنسبوا إليها، وقيل غير ذلك، ولد هذا العالم في سنة ستمائة وإحدى وستين للهجرة (٦٦١هـ) في أرض حرّان من بلاد الشام، وكانت موطن آبائه وأسرته، تلقّى العلم من صغره على أبيه عبد الحليم، وعلى أعمامه، وعلى مشايخه، ثم لمّا جاء التتار من المشرق وغزوا بلاد المسلمين، وداهموا العراق والشام، انتقل به أبوه وأخوته من حَرّان إلى دمشق فراراً من التتار، وكان أحمد صغيراً شاباً، فتلقى العلم عن علماء دمشق، وكان ذكياً ذكاءً عظيماً، أعطاه الله الذكاء والحفظ والتنبه؛ فحاز علوماً عظيمة لا فناً واحدًا؛ فقد برز في التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، وحتى إنه درس علم الكلام، وعلم المنطق، وعرف أصوله وعرف منهجه، وعرف المناهج المنحرفة، إلى جانب دراسته لكتاب الله وسنة رسول الله ومنهج السلف الصالح، تبحر في العلوم، وصار يُفتي، وسنه لم تصل إلى العشرين، وجلس للتدريس، فبهر من حضر من العلماء والطلبة والمستفيدين بغزارة علمه، ودقة فهمه، وإلمامه بالمذاهب والعلوم، ثم صار يناظر الأكابر، حتى في مذاهبهم، ويعرف منها ما لا يعرفون.

ولّما كان وقته وقت فتنة من جميع النواحي: من ناحية تسلط علماء الكلام والفلسفة على عقائد المسلمين وإرادتهم أن تحل عقيدة علماء المنطق وعلم الكلام محل عقيدة التوحيد، وكذلك في وقته كانت

القبورية أيضاً مسيطرة على عقول كثير من الناس، وهم عُبَّاد القبور، وعُبَّاد الأولياء والصالحين والأضرحة، وفي وقته كانت الصوفية الضالة في أقوى عصورها، وفي عصره كانت الشيعة باختلاف طوائفها من باطنية وغيرها قد ظهر شرها، وأنواع من الفتن في العقيدة والعبادة والبدع والمحدثات والشركيات، فقام ـ رحمه الله ـ بمقاومة هذه الطوائف كلها، ومنازلتها، والرد عليها بدروسه وكتاباته وإجاباته وفتاواه ومؤلفاته، ونصره الله عليها، ولكن وشوا به إلى السلاطين وإلى الولاة، فعقدت له محاكمات عديدة حضرها العلماء والأمراء، وظهر عليهم بالحجة والبرهان، عند ذلك لم يجدوا سلاحاً إلاّ السجن لّما أعياهم الرد عليه بالحجة، فطلبوا من السلاطين سجنه، فسُجن في الشام، ثم أُطلق، ثم سُجن، ثم طُلب إلى مصر، وسجن فيها، ثم أُطلق، ثم سجن، وأخيراً كان طلابه يترددون عليه في السجن، ويتعلمون منه، ويكتب ويؤلف، وهو في السجن، ثم لّما رأوا أنه لم يقف، ولم يحد من نشاطه السجنُ، قاموا ومنعوا عنه الكتب، وأخرجوها من عنده، ومنعوا عنه الحبر والورق، و الزوار، عند ذلك تفرغ لتلاوة القرآن والعبادة، حتى توفاه الله في السجن بعد أن تفرغ للعبادة، وتلاوة القرآن، فكان يختم القرآن في كل ثلاث، ويشتغل بذكر الله والتفكر والتدبر، حتى وافاه الأجل وهو في السجن ـ رحمه الله ـ، لكنه خلّف طلاباً أئمة قاموا بالدعوة على نمط ما دعا إليه، وخلّف كتباً وثروةً

عظيمة، خلّف من الطلاب أئمةً كباراً: كابن القيم، وابن كثير، والذهبي، والمزي، وابن عبد الهادي، وغيرهم من كبار المحدثين والفقهاء، فقاموا - رحمهم الله - بنشر دعوته، ونشر كتبه، والكتب التي كان أعداؤه يحذرون منها حُفظ الكثير منها ولله الحمد، والرسائل والفتاوى جُمعت، وظهرت كتبه، واختفت كتبهم هم، فلم يبق لهم أثر، خصوصاً في وقتنا هذا، فإن مؤلفات هذا الإمام صار لها صدى في العالم الإسلامي، وغيرت كثيراً من المفاهيم الخاطئة، وأقبل الناس عليها يتلقفونها، ويبحثون عنها؛ لما فيها من الحجة الناصعة، والبيان الواضح، بسبب نية المؤلف النية الخالصة لله ﷻ، وعلمه الغزير الصافي، فها هي ذي كتبه - ولله الحمد - يتنافس عليها طلاب العلم في المشارق والمغارب، رغم ما يحاك ضدها، وما يقال فيها؛ فالشمس في رابعة النهار لا أحد يستطيع أن يغطيها بيده، ونور الله لا يستطيع أحد أن يطفئه بفيه، فالحق واضح ولله الحمد، والشبهات والأهواء لا تقوم أمام شعاع الشمس ووضوح الحق، فتغلبت دعوته حياً وميتاً - رحمه الله -، وكان يكتب الفتاوى ويكتب المؤلفات الضخمة، ومؤلفاته تنقسم إلى أقسام: مؤلفات كبيرة في كتب ضخمة، أو أجزاء صغيرة، أو رسائل يرسلها إلى الأقطار، أو فتاوى يُسأل عنها، فيجيب عنها، وقد جُمع من فتاواه المطبوعة الآن خمسة وثلاثون مجلداً ضخمة، وهناك فتاوى أيضاً تظهر بين حينٍ وآخر، وهناك كتب تظهر، حتى قال تلميذه الإمام

الذهبي: (لا أستبعد أن تكون مؤلفاته تصل إلى خمسمائة مجلد). وليست العبرة بكثرة المؤلفات، لكن العبرة بالتحقيق والنية الصالحة، والنصح لله ولرسوله، أما إذا حصل مؤلفات كثيرة، وفيها خير وعلم، فهذا من زيادة الخير، وهذا من مصداق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، تُوفي ـ رحمه الله ـ في عام سبعمائة وثمان وعشرين ، رحمه الله تعالى وغفر له(٥).

وقد كنت علقت على هذه الفتوى في دروس أقمتها في مسجد الأمير / متعب بن عبد العزيز آل سعود

فقام الأخ الفاضل عادل مرسي ـوكان من جملة من حضر هذا التعليق ـ بتفريغه من الأشرطة، وقدمه إليَّ، فنظرت فيه، وصححته، وآثرت

---

(٥) انظر في مصادر ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية :

١- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن عبد الهادي.
٢- الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، للبزار.
٣- الوافي بالوفيات للصفدي (١٥/٧- ٣٣).
٤- البداية والنهاية لابن كثير (١٣٥/١٤- ١٤٠).
٥- تذكرة الحفاظ (١٤٩٦/٤- ١٤٩٨).
٦- الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الحنبلي.
٧- طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٢٠- ٥٢١).

الاكتفاء بنشر التعليق على المقدمة ؛ لما تتضمنه من قواعدَ عظيمةٍ، ولقوله ـ رحمه الله ـ : "وإنما قدمت هذه المقدمة ؛ لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وفي غيره"

وأذنت له بطباعته ونشره، وهذه المقدمة تتضمن أمورًا مهمة، أهمها :

أولاً : أن الواجب في الأسماء والصفات السير على منهج السلف : من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم من الأئمة، وهو : إثباتها كما جاء من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ثانيًا : أن طريقة السلف أسلم، وأعلم، وأحكم من طريقة الخلف.

ثالثًا : أن السلف أعلم من الخلف.

رابعًا : أن من الخلف من تراجع، والتزم منهج السلف ؛ لما ظهر له بطلان ما هو عليه، وبعضهم بقي متحيرًا.

خامسًا : أن طريقة الخلف تتضمن تجهيل السلف، أو تضليلهم، وتأويل النصوص.

سادسًا : أن منهج السلف مأخوذ عن رسول الله ﷺ، وطريقة الخلف مأخوذة عن الجهمية، والجهمية أخذوها عن اليهود.

سابعًا : أن السلف يستدلون بالكتاب والسنة، ويقدمون النقل على العقل، والخلف يستدلون بقواعد المنطق وعلم الكلام، ويقدمون العقل على النقل.

ثامنًا : أن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح.

تاسعًا: أن الباطنية الملاحدة احتجوا على من يؤول الصفات عن ظاهرها، أن الصلاة والزكاة وأمور المعاد مثل: تأويل المعطلة للصفات، أو أخف منه، فلماذا ينكرون تأويل الباطنية، وهم أشد منهم؟!

عاشرًا: أن أتباع منهج السلف في الأسماء والصفات متفقون؛ لأنهم اتبعوا الكتاب والسنة، وأتباع منهج الخلف مختلفون فيما بينهم؛ لأنهم اتبعوا علم الكلام وقواعد المنطق.

حادي عشر: أن البلاء الذي حصل في باب الاعتقاد كان سببه تعريب الكتب الرومية في عهد المأمون العباسي، بتأثير من بطانة السوء التي كانت عنده مثل: بشر بن غياث المريسي، وابن أبي دؤاد.

نص السؤال الوارد للشيخ: سُئِلَ شَيْخُ الإِسْلامِ، العَلَمُ الرَّبَّانِيُّ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَباس أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، (١)

---

(١) من رسائل شيخ الإسلام العظيمة هذه الرسالة المسماة بـ «الفتوى الحموية الكبرى» لأن الذي سأله رجل من أهل حماة بالشام فسُميت بالحموية، مثل: "الفتوى الواسطية" أو "الرسالة الواسطية" لأن الذي سأله رجل من أهل واسط بالعراق، وكان ـ رحمه الله ـ سريع الكتابة، قال: إنه كتب الواسطية في قعدة بين الظهر والعصر، كان يكتب الجواب، فيبلغ مؤلفاً أو رسالةً ضخمة، يكتبه في جلسة واحدة؛ لوفرة معلوماته، وسرعة حضور معلوماته، وسرعته في الكتابة الفائقة؛ فهذه هي «الفتوى الحموية»؛ لأن الذي سأله رجل من أهل حماة، سأله عن ماذا؟ سأله عن آيات وأحاديث الأسماء والصفات، أي: الأسماء الواردة في أسماء الله وصفاته، والأحاديث الواردة في أسماء الله وصفاته؛ لأنه دار فيها كلام بين الناس، وتشككوا فيها، فمنهم من نفى الأسماء والصفات كالجهمية، ومنهم من نفى الصفات كالمعتزلة، ومنهم من نفى غالب الصفات، ومنهم من أوَّلها أي: فسرها بغير تفسيرها؛ لأنه لما لم يمكنه نفي النصوص، نفى معانيها، فأولها

بتأويلات باطلة، ومنهم من قال: إنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، نقرأ ألفاظها ولا نفسرها، ونعتبرها من المتشابه، وهؤلاء يقال لهم: المفوضة، والذين من قبلهم يقال لهم: المؤولة، والمعطلة، ومنهم من غلا في إثباتها، وشبهها بصفات المخلوقين، وهؤلاء يقال لهم: الممثلة والمشبهة، وأمّا أهل السنة والجماعة فإنهم أثبتوا ألفاظها، وأثبتوا معانيها على الوجه الذي تدل عليه، ولم يحرفوها، ولم يؤولوها، ولم يقولوا: إنها من المتشابه، بل قالوا: إنها من المحكم البيِّن الذي يعرف معناه، وتجهل كيفيته، وليست من المتشابه الذي لا يُعرف معناه، بل هي من المحكم الواضح، ولم يقولوا: إنها تشبه صفات المخلوقين، بل قالوا: إنها تليق بالله، وهذا ما عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان، ومن جاء بعدهم من المحققين كانوا على هذا المنهج، الذي هو إثباتها كما جاءت، من غير تحريف ولا تأويل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على ما جاءت، كما يليق بالله -عز وجل- ، ليست كصفات المخلوقين؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة وأئمتهم في ذلك من صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، ومن جاء بعدهم، وسلك سبيلهم. هذا ما أجاب به الشيخ - رحمه الله - في هذه الرسالة، ولكن لما ظهر هذا الجواب حصل بسببه أمور ومحن، كما ذكر الشيخ، امتحن الشيخ فيها، وحوكم، =

وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمَائَة[١] ، وَجَرَى بِسَبَبِ هَذَا الْجَوَابِ أُمُورٌ وَمِحَنٌ[٢] ، وَهُوَ جَوَابٌ عَظِيمُ النَّفْعِ جِدّاً ،[٣] فَقَالَ السَّائِلُ: مَا قَوْلُ السَّادَةِ الْعُلَمَاءِ أَئِمَّةِ الدِّينِ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ ،[٤]

=ولما لم يتغلبوا عليه بالحجة ، سجنوه بسببها ، وبسبب جوابه عن زيارة القبور ، ومنعه السفر لزيارة القبور ، شنعوا عليه ، وشددوا ؛ لأنهم يرون السفر للقبور ، فهم عبّاد قبور وأضرحة ، وهو قد سد الطريق عليهم ، قالوا : إنه يتنقص الأولياء ، ويتنقص الصالحين ، و شنعوا عليه بسبب هذا الجواب ، ولكن الحمد لله لم يفوزوا بطائل ، وإنما فازوا بالخزي والذلة والهوان ، وظهر الحق ولله الحمد وهم له كارهون.

(١) يعني : أن الجواب صدر منه في هذا التاريخ.

(٢) من المحاكمات والسجن والإهانة.

(٣) هذا الجواب في هذه الرسالة عظيم النفع جداً ؛ لأن فيه قواعد عظيمة لطالب العلم.

(٤) أي : هذا هو الواجب : أن المسائل والمشاكل يُرجع فيها إلى أهل العلم ، ولا يُرجع فيها إلى الجهال والمتعالمين ، أو يُرجع فيها إلى أهل الضلال والانحراف ، وإنما يُرجع فيها إلى أهل التحقيق والبصيرة.

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]،[1]

---

(١) أي: من آيات الصفات التي حصل فيها سوء الفهم مسألة الاستواء على العرش، فإن الله أخبر عن نفسه - جل وعلا - أنه استوى على العرش في سبعة مواضع[٦] من كتابه، في كلها يقول: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[يونس: ٣]، فدل على أنه استواء حقيقي، ليس استواءً كما يقوله المبتدعة بمعنى: الاستيلاء، حيث يقولون: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بمعنى: استولى على العرش، زادوا لاماً من عندهم في كتاب الله، كما زادت اليهود نوناً بالتوراة، لما قيل لهم: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] أي: حط عنا ذنوبنا، قالوا: حنطة (بالنون)؛ لأنهم يريدون الأكل، ولا يريدون الاستغفار؛ فاليهود زادوا نوناً في كتاب الله[٧]، وهؤلاء

---

(٦) ورد ذكر الاستواء في سبعة مواضع: الأعراف آية (٥٤)، يونس آية (٣)، الرعد آية (٢)، طه آية (٥)، الفرقان آية (٥٩)، السجدة آية (٤)، الحديد آية (٤).

وانظر: نونية ابن القيم (١/ ٥١٠) بشرح ابن عيسى.

(٧) قال ابن القيم في النونية (٢/ ٢٦):

نُونُ الْيَهُودِ وَلاَمُ جَهْمٍ هُمَا ... فِي وَحْيِ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ

زادوا لاماً في كتاب الله، فقالوا: استوى، يعني: استولى، ولم يرد في آية واحدة في القرآن كله لفظ (استولى)، فدل على أن هذا تأويلٌ باطل مردود، ف ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ على حقيقته: أنه علا وارتفع - سبحانه - على العرش، هذا معناه. وأمّا الاستيلاء فلا يخص العرش؛ لأن الله مستولٍ على كل المخلوقات - سبحانه وتعالى - بمعنى: أنه يملكها ويدبرها، أيضاً قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، بعد ذكرخلق السماوات والأرض في ستة أيام يدل على الترتيب، فعلى قولهم يكون ما استولى على العرش إلا بعد أن تَغلّب عليه، وكان قبل في ملك غيره، كما تقول: استولى الملك على البلد الفلاني، استولى عليه من يد عدوه، هذا تأويل باطل، وقد ألّف فيه - رحمه الله - في إبطال تأويل استوى باستولى رسالة مستقلة[٨]، أبطل هذا من عشرين وجهاً.

---

(٨) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٤/٥) .حيث ذكر اثني عشر وجهاً في إبطاله وانظر أيضاً فيه (٣٩٥/١٦) وما بعدها. وقال ابن القيم في النونية (٣٩٦/١):

هَذَا وَمِنْ عِشْرِينَ وَجْهاً يَبْطُلُ التَّـ ـفْسِيرُ بِاسْتَوْلَى لِذِي الْعِرْفَانِ

قَدْ أُفْرِدَتْ بِمُصَنَّفٍ لِإِمَامِ هَـ ـذَا الشَّأْنِ بَحْرِ الْعَالَمِ الْحَرَّانِي

وفي (الصواعق المرسلة): رد تفسير الاستواء بالاستيلاء من أربعين وجهاً.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، وَأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ كَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ(١) مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»(٩)،

---

(١) نثبت لله الأصابع؛ كما أثبتها لنفسه، ونثبت أنه يتصرف في قلوب العباد ـ سبحانه ـ؛ يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وليس معنى قوله: (بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ) أن أصابع الرحمن ملتصقة بالقلب، فهذا لا يلزم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فكلمة (بين) لا يلزم منها الالتصاق، فالسحاب بين السماء والأرض، ليس ملتصقاً بالأرض، وليس ملتصقاً بالسماء المبنية، بل هو بينهما، فلا يلزم من (بين) الملاصقة والمماسة ـ كما يقولون ـ، فنثبته كما جاء: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ» بينيةً تليق بجلاله ـ سبحانه وتعالى ـ ليست بينية ملاصقة ومماسة.

---

(٩) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وَقَوْلِهِ: «يَضَعُ الجَبَّارُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ»[١٠]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ،[١]

---

(١) سيأتي هذا في نص الأحاديث: «فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إلى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطْ قَطْ» يعني: كفاني كفاني، ونص الحديث يقول: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فيها وَتَقُولُ هل من مَزِيدٍ حتى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فيها قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إلى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطْ قَطْ» يعني: كفاني، ففيه إثبات القدم لله، وإثبات الرجل لله ـ سبحانه وتعالى ـ على ما يليق بجلاله، وأنه يضعها في النار، فلا تضره، فينزوي بعضها إلى بعض، والله قادر على كل شيء والنار خلق من خلقه ـ سبحانه وتعالى ـ، فنحن نثبت الحديث كما جاء، ولا نتدخل بأفهامنا وعقولنا القاصرة، فننفي عن الله ما أثبته لنفسه، بل نثبت أن له قدماً، وأن له رجلاً، وأن له ساقاً كما جاء في الأحاديث، ولا نتدخل؛ لأن الله ـ جل وعلا ـ ليس كمثله شيء، فلا نقول: إن هذه موجودة في المخلوقين فإذا أثبتناها شبهنا الله بالمخلوقين، نقول: هذا مع الفارق، فيه فرق بين صفات الله وصفات خلقه، فصفاته على ما يليق به ـ سبحانه وتعالى ـ، ولا نتكلف.

---

(١٠) أخرجه بنحوه من حديث أبي هريرة ﷺ: البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦)، ومن حديث أنس ﷺ: البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨).

وَمَا قَالَت العُلَمَاءُ،(١)

---

(١) أي: بينوا ما الذي قالت العلماء في هذه الآيات وهذه الأحاديث؟ يقصد بالعلماء: العلماء الراسخين الذين يؤخذ بقولهم، لا علماء الضلال، ولا المتعالمين، ولا الجهال، فإنما يُسأل العلماءُ الربانيون الراسخون في العلم، فهم الذين يُعتبر قولهم وفتواهم، فإثبات الأسماء والصفات هو القسم الثالث من أقسام التوحيد، فالتوحيد ثلاثة أقسام:
توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله -جل وعلا- كالخلق، والرزق، والإحياء والإماتة، وتدبير الكون.
وتوحيد **الألوهية**: وهو توحيد الله بأفعال العباد التي شرعها لهم يتقربون بها إليه مثل: الدعاء، والصلاة، والذبح، والنذر وغير ذلك، النوع الثالث: **توحيد الأسماء والصفات**: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، وتنزيه الله عمّا نزّه نفسه عنه من النقائص والعيوب، على موجب ما جاء في الكتاب والسنة، وهذا القسم في الحقيقة داخل في توحيد الربوبية، ولذلك بعض العلماء يقول: التوحيد نوعان على سبيل الإجمال: توحيد المعرفة والإثبات، وهذا هو توحيد الربوبية، ويدخل فيه الأسماء والصفات، ويسمى بالتوحيد العلمي، وتوحيد في الطلب والقصد، وهذا هو توحيد الألوهية، وهذا يسمى: بالتوحيد العملي. =

وَابْسُطُوا القَوْلَ فِي ذَلِكَ(١) مَأْجُورِينَ(٢) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى؟

= لكن لَمّا حصل في الأسماء والصفات الخوض الكثير عند المتأخرين، احتاج العلماء إلى أن يفصلوا توحيد الأسماء والصفات، ويجعلوه قسماً ثالثاً؛ من أجل الرد على هؤلاء، وبيان الحق في ذلك، فالتوحيد على سبيل الإجمال نوعان:

النوع الأول: توحيد الربوبية، ويدخل فيه الأسماءوالصفات.

والنوع الثاني: توحيد الألوهية.

وهذه الأقسام مأخوذة من الكتاب والسنة بالاستقراء، وليست من اصطلاح الخلق، كما يقوله الجهلة والمغرضون.

(١) يطلب السائل من الشيخ - رحمه الله - أن يبسط القول، ولا يختصر في ذلك، وقد حقق له طلبه، فقد بسط القول في هذا الجواب؛ حتى تكون منه هذه الرسالة الضخمة.

(٢) أي: ليكون لكم الأجر من الله على بيان العلم للناس وتوضيح الحق، ولا شك أن هذا فيه أعظم الأجر، وهو أنفع من صلاة النافلة، فطلب العلم، وبيان العلم أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات؛ لأن العلم يتعدى نفعه للناس، وأما نوافل العبادات، فإن نفعها قاصر على صاحبها، فالذي يصلي الليل، أو يصوم النهار نفعه خاص به، =

فَأَجَابَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، (١)

=ولا يستفيد الناس منه، لكن إذا جلس للعلم والتدريس، والفتوى وإجابة الأسئلة، فهذا يتعدى نفعه.

(١) بدأ بالحمد عملاً بحديث مشروعية البداءة بالحمد لله[(١١)]، وقد بدئ المصحف الشريف بـ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فالحمد لله يُبدأ بها في مهام الأمور، كان النبي ﷺ يبدأ خطبه بـ«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ»، ويبدأ رسائله إذا أرسل إلى أحد بالحمد لله رب العالمين، ويكفي في هذا كتاب الله، فإنك إذا فتحت المصحف أول ما تقرأ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، وبدأ الله بها الخلق: فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١]، وينهي بها الخلق: ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال ﷻ: ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [القصص: ٧٠]، فالحمد يُبدأ به، ويُختم به، وهو الثناء على الله ـ سبحانه وتعالى ـ بما هو أهله.

---

(١١) يشير إلى حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَقْطَع» أخرجه أبو داود (٤٨٤٠)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وأحمد (٢/٣٥٩) وهو حديث فيه مقال وحسنه النووي في رياض الصالحين.

قَوْلُنَا فِيهَا مَا قَالَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، (١)

---

(١) هذا هو الواجب في الأسماء والصفات، وفي مسائل العلم عموماً، لكن الأسماء والصفات بالذات؛ لأهميتها، ولأنها حصل فيها الخوض، فنحن نقول فيها: ما قاله الله، و ما قاله رسول الله ﷺ، وما قاله الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين هم تلاميذ الرسول ﷺ، وما قاله التابعون لهم بإحسان، قال الله ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، والمهاجرون هم الذين هاجروا من ديارهم إلى المدينة، هاجروا إلى الرسول ﷺ، و تركوا ديارهم وأوطانهم فراراً بدينهم، ونصرةً لرسولهم، فهم أفضل الصحابة؛ لأنهم تركوا أموالهم وأولادهم وديارهم، وهاجروا طاعةً لله ﷻ، فهل بعد هذا البذل بذل؟ ليس بعد هذا البذل بذل، ثم الأنصار الذين آووا، ونصروا، وفتحوا ديارهم وبيوتهم وقلوبهم لإخوانهم المهاجرين، وواسوهم، وأحبوهم، فلهم الفضل بعد المهاجرين؛ لأنهم أنصار الله، وأنصار رسوله، وأنصار أهل الإيمان، قال تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ﴾ [الحشر: ٩]، هؤلاء هم الأنصار، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ [التوبة: ١٠٠] أي: الذين اتبعوا المهاجرين والأنصار ممن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، لكن قيد اتباعهم بإحسان؛ لأن بعض الناس يزعم أنه يتبع المهاجرين والأنصار، لكن لا يحسن الاتباع، بل إمّا أن يغلو، ويزيد على ما هم عليه، ويقول: هذا مذهب المهاجرين والأنصار، وإمّا أن يجفو، ويقصرعما هم عليه، فقيد الاتباع بإحسان، بمعنى أنه يتقن الاتباع من غير إفراط، ومن غير تفريط، لا يفرط، ولا يغلو، ويضيع، فهذا ليس من أتباع المهاجرين والأنصار، .ولا يقصر ويجفو عما هم عليه.

وَمَا قَالَهُ أَئِمَّةُ الهُدَى بَعْدَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، (١) وَهَذَا هُوَ الوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ الخَلْقِ فِي هَذَا البَابِ وَغَيْرِهِ، (٢)

---

(١) أي: نقول: ما قاله أئمة الهدى من العلماء الذين جاؤوا بعد الصحابة والتابعين من الأئمة، كالأئمة الأربعة، وغيرهم من الأئمة الذين ساروا على هذا المنهج، وقاموا به ممن جاء بعدهم من سائر الأئمة، وهم ولله الحمد كثرةٌ كاثرة ووفرة وافرة، ولله الحمد، فالأئمة والمجددون، والعلماء الربانيون متوفرون في هذه الأمة، ولله الحمد.

أجمع المسلمون على هداية هؤلاء الأئمة، يعني إصابتهم الحق ودرايتهم، أي: فهمهم ،فهم عندهم علم وعمل واتباع؛ لأن بعض الناس عنده علم، لكن ليس عنده عمل، و بعض الناس عنده عمل، لكن ليس عنده علم، أمّا هؤلاء الأئمة فجمعوا بين الأمرين: العلم والعمل.

(٢) أي: هذا هو الواجب عليك أن تقول ما قاله الله، وقاله رسول الله، وقاله المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، في كل أمور الدين، وفي آيات الصفات وأحاديثها بالخصوص، أما من خالف ذلك، فإنه من أهل الضلال وأهل الزيغ والانحراف. فالواجب عليك في باب

الأسماء والصفات، وباب العقيدة والتوحيد، وفي الدين عموماً أن تتبع هذا الأصل، وهو منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين، ولا تنحرف عنه، أو تزعم لنفسك أنك أعطيت شيئاً لم يصلوا إليه، أو أنك فهمت أحسن من فهمهم؛ لأن بعض الناس يأتي بأشياء من عنده، لم يقلها السلف، ولا قالها أهل العلم، فيأتي بأشياء وتفسيرات واجتهادات من عنده في أصل التوحيد، الذي لا يقبل الاجتهادات، وإنما هو اتباع واقتداء فقط، تقول ما قاله السلف، وتكف عما كف عنه السلف؛ لأنهم أدرى منك وأعرف منك، وأثبت منك في العلم، يكفيك أن تكون تابعاً لهم، بأن تعرف مذهبهم وتتبعه، أما أنك تحدث شيئاً، و تأتي باجتهادات، وتفسيرات من عندك، فهذا ضلال وباطل؛ لأن بعض المتعالمين أحدثوا أشياء من الصفات، يقولون: هذه أخذناها من الكتاب الفلاني ومن النص الفلاني ، فطالب العلم لا يسعه أن يتثبت من الصفات إلا ما أثبته هؤلاء السلف على ضوء كتاب الله وسنة رسوله، لا تزد على ما أثبتوه شيئاً لم يقل به السلف، هذا الذي يجب في هذا الباب وغيره من أبواب العلم، لكن هذا الباب بالذات؛ لأن الزلة فيه ليست كالزلة في غيره، وإلا فالواجب عليك في جميع أبواب العلم أنك تتبع ما عليه السلف الصالح، كفاك أنك تسير على الجادة التى ساروا عليها لتلحق بهم، ولا تخرج عن الجادة، فتتخلف عن الركب.

فَـإِنَّ اللَّــهَ بَعَــثَ مُحَمَّــدًا ﷺ بِالْهُــدَى وَدِيــنِ الحَــقِّ(١)

---

(١) لما ذكر الشيخ - رحمه الله - في أول كلامه أن قولنا في آيات الصفات وأحاديثها: هو ما قاله الله ورسوله، يعني: نؤمن بها على ما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، وكذلك ما قاله صحابة رسول الله، وكذلك ما قاله الأئمة الذين اقتفوا آثارهم في هذا الباب وغيره، علل ذلك بقوله: (فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ)، وإذا كان الله قد بعث رسوله بالهدى ودين الحق، فمن أولويات الهدى ودين الحق آيات الصفات وأحاديثها، والهدى هو: العلم النافع، ودين الحق هو: العمل الصالح، و الرسول ﷺ بُعث بالأمرين: بالعلم النافع والعمل الصالح، ومن العلم النافع والعمل الصالح: الإيمان بآيات الصفات وأحاديثها على ما جاءت في كلام الله وكلام رسوله، وعلى ما اعتقده السابقون الأولون، ولم يُشكل عليهم، ولا توقفوا في هذا الأمر، بل قبلوه بالتسليم والانقياد مثبتين له لفظاً ومعنىً، هذا هو الحق، وهذا هو الهدى ودين الحق، فمن خالفه، فقد خالف ما بُعث به الرسول ﷺ؛ لأن رأس العلم وأصله العلم بالله ﷻ، العلم بالله وبأسمائه وبصفاته، وما يستحقه من العبادة: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾[محمد: ١٩]، فالعلم بالعقيدة الصحيحة =

لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ، (١)

= هو الأساس، وهو العلم بمعنى لا إله إلاّ الله: لفظاً، ومعنىً، واعتقاداً، وما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة، وهذا هو أساس الدين وأساس الملة، وهو أصل ما بعث الله به رسله من أولهم إلى آخرهم ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، هذه زُبدة الرسالات، وهي: تحقيق توحيد الألوهية لله ﷻ، ولا يتحقق هذا إلاّ بمعرفة الله بأسمائه وصفاته.

نحن نعرف الله ﷻ بما عرّفنا به عن نفسه من أسمائه وصفاته، وما عرّفه به رسوله ﷺ، فهذا هو الأساس.

(١) ليخرج الرسول بالكتاب المنزل الناس من ظلمات الكفر الشرك إلى نور الإيمان والتوحيد، والعلم النافع، فالعلم نور، والجهل ظلمات، والكفر ظلمات، والإيمان نور، والشرك ظلمات، والتوحيد نور، هذا الذي به بعث النبي؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأصل ذلك معرفة الله ـ جل وعلا ـ بأسمائه وصفاته، وعبادته وحده لا شريك له، هذا هو الخروج من الظلمات إلى النور؛ لأنهم كانوا يعبدون

الأصنام والأحجار والأشجار، وكلٌ يعبد ما تهواه نفسه، وما زين له شياطين الإنس والجن، وهذه ظلمات، أما التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة، فهذا هو النور، والرسول ﷺ بُعث ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل بالله ﷻ إلى نور العلم واليقين، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته، والقيام بعبوديته وحده لا شريك له: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[إبراهيم: ١]، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فإن الجهل بالله هو: الظلمات، والعلم بالله هو: النور. ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ [إبراهيم: ١]، يعني بشرعه ودينه، فالإذن على قسمين: إذن قدري كوني، وإذن شرعي[١٢] و(صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) هو صراط الله، الله هو العزيز الحميد ﷻ، وصراطه هو الطريق الموصل إليه، وهو التوحيد والإيمان، والعمل الصالح: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]،

---

(١٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٠٥- ٥٠٧).

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، أي غير صراط المغضوب عليهم، وغير صراط الضالين، فإن الناس لا يخرجون عن هذه الأقسام الثلاثة:

إمّا منعم عليهم وهم: الذين سلكوا الصراط المستقيم، وساروا على علم، وإمّا مغضوبٌ عليهم وهم: الذين عرفوا العلم، ولم يعملوا به، واتبعوا أهواءهم، وإمّا ضالون وهم: الذين يعبدون الله على جهل، ولا يعرفون العلم؛ فالناس ثلاثة أقسام: أهل العلم والعمل، وهؤلاء هم أهل الصراط المستقيم، وأهل العلم بدون عمل، وهؤلاء مغضوب عليهم؛ لأنهم عرفوا الحق، ولم يعملوا به، وقامت عليهم الحجة، وإمّا ضالون، وهم الذين لا يرجعون إلى العلم، وإنما يعبدون الله بأهوائهم وعاداتهم وتقاليدهم من غير دليل، وإنما يعبدونه بالبدع والمحدثات والخرافات التي زينها لهم شياطين الإنس والجن، فلا نجاة إلاّ للفريق الأول، وأمّا الفريقين الثاني والثالث، فهم ضالون ومغضوب عليهم، وهم أهل الظلمات ـ والعياذ بالله ـ.

وَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ بَعَثَهُ دَاعِيًا إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، (١)

---

(١) شهد الله لنبيه ﷺ بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، هذه شهادة من الله لهذا الرسول ﷺ بأنه شاهد على الناس يوم القيامة؛ لئلا يقولوا: ما جاءنا من نذير، والله أرسل الرسل لقطع الحجة ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ عَزِيزًا ﴾ [النساء: ١٦٥]، والله لا يعذب أحداً إلاّ بعد إرسال الرسل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، فالله أرسل هذا الرسول ـ كإخوانه من النبيين ـ شاهداً على الناس، ومبشراً لأهل الإيمان بالخير والجنة، ونذيراً لأهل الشر والشرك والكفر بأن لهم النار إن لم يتوبوا إلى الله، فكل رسول يشهد على أمته خاصة، وهذا النبي يشهد على الناس كافة؛ لعموم رسالته ، ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، من مهمة الرسول ﷺ أنه يدعو الناس إلى الإيمان والتوحيد ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالرسول هو رأس الدعاة إلى الله ﷻ، بإذنه أي: بشرعه، لا يجوز لأحد أن يدعو الناس بغير دليل، وبغير علم وشرع من

الله ﷻ، بل لا بد أن يكون الداعية متسلحاً بالعلم، وإلاّ كيف يدعو الناس وهو جاهل؟! وإذا دعاهم وهو جاهل، فإنه يضلهم، أما إذا دعاهم عن علم وبصيرة، فإنه يدلهم على الطريق الصحيح؛ لأن هذا العلم نور.

(وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) ينير الكون بعلمه ودعوته من ظلمات الشرك والكفر، فهو ينير هذا الكون للناس، فيسيرون على بصيرة و نور، مثل الشمس قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١]، السراج هو الشمس، والله جعل الشمس سراجاً؛ تنير هذا الكون بعد الظلمات، كذلك هذا الرسول ﷺ جاء والناس في ظلمات من الجهل والكفر والشرك، فأنقذهم الله به إلى التوحيد وإلى العلم، فكل ما في الوجود الآن من العلم النافع كله مما بعث الله به هذا الرسول ﷺ، وقبله كان الناس في ضلال مبين؛ لبعد الفترة بينه وبين الرسل، فلما بعث هذا الرسول ﷺ انتشر العلم النافع، فخرج الناس من الظلمات إلى النور، ووُجِد العلماء، ووُجِد في الناس العلم النافع؛ كما هو معروف وموجود إلى الآن ولله الحمد في الكتاب والسنة، وكلام أهل العلم كله نور من الله بأيدي الناس، وحجة قائمة قال ﷺ: «تركْتُكُمْ على الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عنها بعدي الا

هَالِكٌ »(١٣)، «إِنِّي قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي »(١٤)، «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ »(١٥)، الرسول سراج أضاء الله به الكون بعد الظلمات، كان الناس قبله في ضلال مبين؛ كما قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢] والأميون: العرب؛ لأنهم ليس لهم كتاب قبل هذا القرآن

---

(١٣) حديث صحيح بطرقه أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد في المسند (٤/١٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧)، والآجري في الشريعة (ص٥٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/٧٤)، والطبراني في الكبير (٦٤٢)، والحاكم في المستدرك (١/١٧٥) وهو جزء من حديث العرباض بن سارية ﷺ. وانظر التخريج بعد الآتي.

(١٤) أخرجه البيهقي (١٠/١١٤)، واللالكائي (١/٨٠)، وأخرج الحاكم نحوه بلفظ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي» (١/١٧٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأصل هذا الحديث في صفة حجة النبي ﷺ، أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبدالله ﷺ.بلفظ: «وقد تَرَكْتُ فِيكُمْ ما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إن اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ»

(١٥) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (٤/١٢٦)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، وابن حبان (١/١٧٨).من حديث العرباض بن سارية ﷺ.

العظيم الذي فاق الكتب الإلهية، وهو مهيمن عليها: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، بعث في الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، وليس عندهم كتاب منزل ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ: ٤٤] ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٦] يعني: العرب. فأصبحوا بعد الجهالة علماء يعلمون البشرية، وأصبحوا بعد الفقر أغنياء، وأصبحوا بعد الشرك والكفر موحدين، وأصبحوا بعد أن كانوا مضطهدين في الأرض سادة العالم، فتحوا البلاد، وسادوا العباد، وسادوا على أهل الأرض، بأي شيء؟ سادوهم بالعلم النافع والعمل الصالح، وميراث النبي ﷺ، وإلاّ فإنهم كانوا أتعس الناس قبل ذلك، وهذا العلم المتدفق الذي لا يزال يتدفق من أين جاء؟ جاء من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الذين بعث الله بهما رسوله ﷺ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨].(١)

---

(١) أمر الله محمداً ﷺ أن يقول للعالَم: هذه سبيلي، أي طريقي الذي أسير عليه، ما هي؟ أدعو إلى الله على بصيرة؟ فطريقة الرسول ﷺ التي بُعث بها أنه يدعو إلى الله، لا يدعو إلى نفسه، أو إلى طمع دنيوي، أو إلى رياسة وملك، وإنما يدعو إلى الله، يخلص الدعوة لله، فهذا من شروط الدعوة إلى الله أن تكون خالصة لوجه الله، لا يراد منها رياء، ولا سمعة، ولا ظهورا، ولا تعاظما على الناس، وإنما غرض الداعية نفع الناس، وإنقاذهم من الظلمات إلى النور، هذه هي الدعوة إلى الله، أما الذي يدعو ليعظم، أو ليجل، أو ليحترم، أو ليعطى مالاً، أو ليترأس، أو يدعو إلى حزبية، أو إلى جماعة غير أهل السنة، أو إلى طائفة من الناس، أو إلى مذهب، فهذا لا يدعو إلى الله، وإنما يدعو إلى غيرالله، فليس كل من دعا يكون داعيا إلى الله إلاّ إذا أخلص نيته لله عز وجل، وصار قصده تعريف الناس بالله، وردّهم إلى الله، وتبصير الناس بالحق، وتنفيرهم من الضلال والشرك والبدع، هذا هو الذي يدعو إلى الله حقيقة، ما أكثر الدعاة! ولكن الذي يدعو إلى الله قليل،

وإنما يدعون إلى أشياء، أو إلى أغراض الله أعلم بها، فيشترط في الداعية شرطان:

- **الشرط الأول:** أن يخلص نيته في الدعوة إلى الله عز وجل.
- **الشرط الثاني:** أن يكون على بصيرة وعلم، فالجاهل لا يصلح للدعوة؛ لأنه يفسد أكثر مما يصلح، ربما يحل حراماً، ويحرم حلالاً، ربما يفتي بجهل، ربما يجيب بخطأ إذا سئل؛ لأن الداعي يتعرض لمشكلات، ويتعرض لاعتراضات، ويتعرض إلى أناس يلبسون على الناس، فلا بد أن يكون عنده علم يبدد شبهاتهم، ويفنّد ضلالاتهم، فالذي ليس عنده علم لا يستطيع أن يقاوم شبهات المدلسين والملبسين، لا يستطيع ذلك إلاّ من عنده علم وبصيرة.

ثم قال: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف:١٠٨] الرسول ﷺ يدعو إلى الله، ومن اتبعه من أمته يدعو إلى الله على بصيرة، يدعو إلى الله، لا إلى غير الله، وعلى بصيرة، لا على جهل، هؤلاء هم أتباع الرسول ﷺ، فلا يكون من الدعاة تابعاً للرسول ﷺ إلاّ من اتصف بهذه الصفات، فمن فقدها أو شيئاً منها، لم يكن على طريقة الرسول ﷺ.

(وَسُبْحَانَ اللَّهِ) أي: أنزه الله عما لايليق به، **(وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** أي: أتبرأ منهم ومن دينهم، فالذى لايتبرأ من الشرك ولا أهله، لايكون داعيا إلى الله.

فَمِنَ الْمُحَالِ فِي العَقْلِ وَالدِّينِ أَنْ يَكُونَ السِّرَاجُ الْمُنِيرُ الَّذِي أَخْرَجَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، (١)

---

(١) (من المحال) يعني: المستحيل أن هذا الرسول الذي هذه صفاته أن يترك هذا الباب (باب الأسماء والصفات) منغلقاً، لم يبيّنه ويوضحه للناس، ويأتي مَن بعده حثالات من الجهمية والمعتزلة وتلاميذهم، ويقولون: نصوص الأسماء والصفات ليست على حقيقتها، لا تعتقدوها، ظاهرها ضلال. هذا معناه تغليط للرسول ﷺ، وأنه جاء بما يضل الناس، أو أنه كتم، ولم يبيّن للناس أن هذه على غير ظاهرها، وعلى هذا، فالرسول لا يخلو، إما أن يكون يجهل معاني هذه النصوص، وهذا تجهيل للرسول ﷺ، وإما أن يكون علمها، ولم يبيّنها، فيكون كاتماً للحق، وحاشاه من ذلك ﷺ، وإذا كان كذلك لم يكن سراجاً منيراً، ولم يأت ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، بل جاء ليزيدهم ظلمات، وأتى لهم بنصوص لاتفهم، بل تزيد الضلال ضلالاً ـ والعياذ بالله ـ، هذا اتهام للرسول ﷺ، فمن المحال أن يكون هذا الرسول الذي بعثه الله لهداية الناس أن يترك باب الأسماء والصفات مغلقاً، لم يبينه للناس أن هذه النصوص على ظاهرها، أو على غير ظاهرها؟ فهو إما جاهل وإمّا كاتم، قد نزّه الله رسوله ﷺ عن ذلك.

وَأَنْزَلَ مَعَهُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرُدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ مِنْ دِينِهِمْ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ،(١)

---

(١) من صفات الرسول أنه يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، يحكم بينهم بالكتاب ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥]، فهو يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ومن أعظم ما حصل الاختلاف فيه مسألة الأسماء والصفات، فهو حكم بين الناس، وبيَّن أن هذه الأسماء والصفات ثابتة لله ﷻ على حقيقتها، وحكمه هو الحق ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] إن تنازعتم في شيء، (شيء) كلمة نكرة في سياق الشرط، تعم كل نزاع كبيراً كان أو صغيراً، وأعظم ما وقع فيه النزاع مسألة العقيدة، فيجب أن يرد الحكم فيها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا يردّ الحكم فيها إلى قواعد المنطق وعلم الكلام وأفهام الناس، فالذين يقصرون الحكم بالشريعة على مسألة المنازعات في الأموال والخصومات، ويهملون جانب العقيدة، ولا يحكمون الكتاب والسنة بالعقيدة هؤلاء ليسوا على شيء، تركوا الأصل

وأخذوا الفرع، فأهم شيء يجب التحاكم فيه إلى الكتاب والسنة أمر العقيدة، إذا اختلفنا في العقيدة، نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، و إذا اختلفنا في الأسماء والصفات، نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإذا اختلفنا في أمور العبادة، نرجع إلى كتاب الله، فإن كانت هذه العبادة في كتاب الله أو سنة رسول الله، فهي صحيحة، وإن كانت خارجة عن كتاب الله وسنة رسوله، فهي بدعة، «**من عَمِلَ عَمَلًا ليس عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١٦)، وأعظم من ذلك الشرك، وعبادة القبور، كثير من الذين يدعون الإسلام الآن يعبدون القبور، ويعبدون الأموات، ويقولون: هذا هو التوحيد، وهذا من تعظيم الصالحين ومعرفة قدرهم، ونحن نقول: هذا شرك بالله عز وجل، وعبادة لغير الله، أين نرجع في نزاعنا هذا؟ نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، الكتاب والسنة يشهدان على أن من عبد غير الله، فهو مشرك، حيا كان أو ميتاً، شجراً كان أو حجراً أو ملكاً أو نبياً أو صالحاً، ﴿**فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا**﴾[الجن: ١٨]، كائناً من كان، العبادة حق لله سبحانه وتعالى، والعبادة هي التي خلق الخلق من أجلها، ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦] فهي حق الله على عباده، =

---

(١٦) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وَهُوَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَإِلَى سَبِيلِهِ بِإِذْنِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُ وَلأُمَّتِهِ دِينَهُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ، (١)

=فإذا أخذت حق الله وأعطيته لغيره، وعبدت غيره، فإنك تكون مشركاً كافراً، فيجب التنبه لهذا الأمر، أن نرجع في نزاعاتنا وخصوماتنا واختلافاتنا كلّها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأهم ذلك أمر العقيدة، لا نرجع إلى رأي فلان وقول فلان، وعقول الناس، ليس لنا طريق إلاّ هذا، فالذي يدعونا إلى غير ذلك يدعونا إلى الضلال، ويخرجنا من النور إلى الظلمات، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧] يخرجونهم من اتباع الكتاب والسنة إلى اتباع غيرهما، و هذه ظلمات. (وَالْكِتَابِ) هو: القرآن. (وَالْحِكْمَةِ) هي: سنة الرسول ﷺ.

(١) والرسول ﷺ يدعو إلى الله وإلى دينه على بصيرة لأن الداعية يشترط فيه أن يكون عالما بما يدعو إليه.

أنزل الله على هذا الرسول ﷺ وهو واقف بعرفة[١٧] في حجة الوداع: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾

---

(١٧) أخرجه البخاري (٤٦٠٦)، ومسلم (٣٠١٧).

[المائدة: ٣]، فالله -جل وعلا- شهد لهذا الدين أنه كامل، وأنه ما توفي رسول الله ﷺ إلا بعد ما أكمل الله به الدين، فالذي يأتي بإضافات، ويلصقها بالدين، ويحسنها للناس معناه أنه اتهم هذا الدين بأنه غير كامل، وأنه يريد أن يضيف إليه أشياء ليست في الكتاب والسنة، وهذا تكذيب لله ﷻ في قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ فما لم يكن في حياة النبي ﷺ ديناً فليس هو بعد موته ﷺ دينًا أبداً، ليس بعد الرسول ﷺ إضافات، أو إحداث شيء من الدين، وإنما علينا الاتباع؛ لأن الله أكمل هذا الدين، فليس بحاجة إلى أن نضيف إليه، ونلصق به ما ليس منه، ونقول: هذه عبادة، وهذا خير وهذا ...، بل هذا شر، وليس عبادة، بل هو بدعة وضلال، وإن استحسنته بعض العقول، أو زينه بعض الدعاة إلى الضلال. نحن لا نعبأ بهم، ولا نلتفت إليهم، حسبنا ما في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ؛ لأن الله أكمل الدين قبل وفاة الرسول ﷺ، كما قال الإمام مالك -رحمه الله- (١٨).

---

(١٨) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٤٤)، والعلو للذهبي (ص١٣٨).

مُحَالٌ مَعَ هَذَا وَغَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَرَكَ بَابَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعِلْمَ بِهِ مُلتبِسًا مُشتبِهًا، [1] فَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنَ الأَسْمَاءِ الْحُسنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ.

---

(١) محال أن الرسول الذي وكل الله إليه البيان أن يكون لم يبين للناس هذا، هذا من اتهام الرسول ﷺ بالخيانة والكتمان، الرسول بين للناس كل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم، ولاسيما العقيدة التي هي الأساس، ولم يتوفّ ﷺ إلا بعد أن أكمل الله به الدين والبيان، وكون بعض الناس يجهل هذان أو لم يطلع عليه ليس بحجة، فالبيان موجود، و هذا قصور منه هو، لا من الرسول ﷺ.

إذا كان الرسول ﷺ بين للناس كل شيء من أمور دينهم، كما يأتي أنه علمهم حتى آداب التخلي؛ فالرسول ﷺ علم الناس حتى آداب قضاء الحاجة، فكيف يعلمهم آداب قضاء الحاجة، ولا يعلمهم أمر العقيدة؟! ولا يعلمهم معنى الأسماء والصفات؟! وأنها على غير ظاهرها، وليست على بابها، كما جاءت عن الله، كيف لم يبين ﷺ؟ ويأتي بعد ذلك الجهم بن صفوان، وواصل بن عطاء، وأضرابهما ويبينون للناس! هذا عين المحال.

فَـإِنَّ مَعْرِفَـةَ هَـذَا أَصْـلُ الـدِّينِ، وَأَسَـاسُ الهِدَايَـةِ، (١)

---

(١) معرفة أمر العقيدة هي أساس الدين، و(أَصْلُ الدِّينِ)، (وَأَسَاس الْهِدَايَةِ) فمن أخل بهذا الأصل، فقد أخل بالدين؛ لأن الشيء إذا اختل أساسه، اختل فرعه، فمثلاً: البنيان إذا اختل أساسه سقط، وإذا كان الأساس قوياً وصالحاً، قام البنيان واستقام، وإذا كان البنيان فاسداً، سقط البنيان، فكيف لا يهتم الرسول بأساس الدين الذي هو العقيدة ويبينها ويوضحها للناس؟! حتى يأتي من يأتي، ويضع للناس عقائد من عنده أو من عند غيره، يستحسنها، ويقول: هذه خير، وزيادة خير، ويزينها للناس. هذا هو عين الضلال، والمحادَّة لله ولرسوله.

لو أن الإنسان يجتهد بالعبادات: يصوم النهار، ويقوم الليل، وينفق الأموال، ويجتهد، لكن ليس عنده عقيدة صحيحة، فأعماله هباء منثور لا قيمة لها مهما أتعب نفسه فيها، فلا بد أن يبني عمله وعبادته على أساس صحيح وعقيدة سليمة؛ حتى يكون عمله مقبولاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. فالعمل القليل الخالص لله ﷻ، السالم من البدعة، ولو كان قليلاً يبارك الله فيه، وينفع به صاحبه، والنبي ﷺ يقول:

«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(١٩)، فالعمل الصالح ـ ولو كان قليلاً ـ فيه خير، أما العمل غير الصالح، فهذا وإن كان كثيراً، فهو لا خير فيه، ومعدوم الفائدة، فليست العبرة بالاجتهاد وكثرة العبادات، بل العبرة بالصحيح والاتباع والاقتداء بالنبي ﷺ. فأساس الدين وأصل الهداية أن تبدأ بتعلم العقيدة، وأول ما تدعو إليه الناس العقيدة، هذا دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإذا لم تكن العقيدة صحيحة، فلا تتعب نفسك، لا تدع الناس إلى ترك الربا وترك الزنا، وهم عندهم الشرك، ادع الناس إلى ترك الشرك أولاً؛ فالشرك أعظم ذنب عُصي الله به، فإذا استقاموا على التوحيد، نهيتم عن الربا وعن الزنا وعن الذنوب، أمّا قبل أن تؤسس، فلا فائدة من عملك، لو تركوا الربا، وتركوا الزنا، وتركوا السرقة، وبقوا على شرك، فلا فائدة من عملهم، فهو هباءٌ منثورٌ، فالأساس والأصل هو التوحيد والعقيدة السليمة، والدعاة يجب أن يهتموا أول شيء بالعقيدة، ولا يقال: إنه لا يُدعى إلى العقيدة إلا الكفار، مثل ما يقوله بعض الجهال، وأما المسلمون فهم مسلمون، ليسوا بحاجة للدعوة إلى العقيدة، وهذه مغالطة، فالمسلمون يكون عند بعضهم خلل وجهل في العقيدة، وهم يتسمون بالإسلام، فنبدأ بالمسلمين أولاً، ونصحح

---

(١٩) أخرجه البخاري (٣٥٩٥)، ومسلم (١٠١٦) .من حديث عدي بن حاتم ﷺ.

عقيدتهم وأساسهم ثم بعد ذلك نتجه إلى غيرهم، يبدأ بالأقرب فالأقرب ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ونبين لهم الضلال ليجتنبوه، ثم المسلم على خطر أن يقع في الشرك، ويضل فإبراهيم الخليل دعا ربه أن يجنبه عبادة الأصنام، ولم يزك نفسه، بل خاف على نفسه.

فالمسلمون بحاجة للدعوة إلى العقيدة؛ لأن عند بعضهم جهل، ويحتاجون إلى التعليم، وعندهم شبهات، ويحتاجون إلى بيان هذه الشبهات، وعندهم دعاة سوء، ويحتاجون إلى أن يُقاوموا، و يُقمعوا حتى تكون الدعوة قد بدأت ابتداء سليماً وصحيحاً، فليست الدعوة إلى التوحيد خاصة بالكفار، بل المسلمون بحاجة إلى العقيدة، وتعليم العقيدة، وأكثر المسلمين لا يعرف العقيدة، و هو على فطرة ودين، لكن لو تسأله عن العقيدة، لا يعرف؛ لأنه جاهل بها، والجاهل يُعلم، أما إذا كان عن عناد وإصرار، فهذا بين أمرين: إما أن يلتزم بالعقيدة الصحيحة، وإما أن يُقاتل إذا كان في المسلمين قوة.

وَأَفْضَلُ مَا اكْتَسَبَتْهُ الْقُلُوبُ، وَحَصَّلَتْهُ النُّفُوسُ، وَأَدْرَكَتْهُ الْعُقُولُ،[١]

---

(١) تحقيق العقيدة (هو أفضل ما اكتسبته القلوب...إلى آخره)، وقد أصبح الكثير يجهلونها، ويزهدون فيها، ويقولون: المسلمون مسلمون وكفى، لا تنظروا إلى عقيدتهم، ولا تفرقوا بين الناس. فنحن نقول لهم: لسنا ممن يفرّق بين الناس، نحن ندعو للاجتماع وإصلاح العقيدة، نحن والله لا ندعو إلى التفرقة، بل ندعو للاجتماع على الحق؛ لأن الكثرة بدون عقيدة ليس فيها فائدة، فلا بد من الاجتماع، نحن نحب الكثرة على العقيدة، لكن إذا كانت الكثرة على غير عقيدة، فما الفائدة إنها هباءٌ منثورٌ، فنحن نريد للناس الخير والألفة، ما نريد لهم الافتراق، بحيث كلٌّ يركب رأسه، وكل يعتقد ما يشاء، ونقول: الناس أحرار في عقيدتهم، من الذي قال: إن الناس أحرار في عقيدتهم؟! لو كان الناس أحراراً في عقيدتهم ما بعث الله الرسل، ولا أنزل الكتب، ولصار كل يأخذ حريته في الضلال، لكن الناس مأمورون بتوحيد الله وإفراده بالعبادة، وهذه هي الحرية ـ سبحان الله ـ فالحرية في عبادة الله وحده لا شريك له، أما الرِق، فهو في عبادة غير الله=

فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الكِتَابُ، وَذَلِكَ الرَّسُولُ وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ لَمْ يُحْكِمُوا هَذَا البَابَ اعْتِقَادًا وَقَوْلاً؟![1]

= كما قال الإمام ابن القيم[20]:

هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ... فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَان

الرِق الذي خُلقوا له: عبادة الله وحده لا شريك له، وهي التي فيها صلاحهم ونجاحهم وخيرهم، فلما تركوها، ابتلوا بعبادة الشيطان والنفس، وهذا هو الذل والهوان، وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال جل وعلا: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

(١) هذه هي النتيجة من كلام الشيخ، و الذي سبق كله مقدمات لها، يقول: إذا كان الأمر كذلك (فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الكِتَابُ)، وهو القرآن (وَذَلِكَ الرَّسُولُ)، وهو محمد ﷺ في سنته (وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ)، وهم الصحابة ﷺ. كيف أن الكتاب والسنة لم يبينا=

---

(٢٠) انظر: النونية بشرحها لابن عيسى (٢/٤٦٦).

وَمِن الْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ النَّبيُّ ﷺ قَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الخِرَاءَةَ[٢١]، [١]

=العقيدة الصحيحة؟! وكيف يكون هؤلاء لم يعرفوا باب الأسماء والصفات اعتقاداً وقولاً وعملاً؟! هذا ردّ على الذين يتهمون الصحابة بأنهم لم يعرفوا معاني هذه الأسماء والصفات، وإنما الجهم بن صفوان وأضرابه هم الذين عرفوا معانيها، وبينوها، وكانت من قبل مغلقة لم يعرفها الناس، وإنما يرددون كلاماً لا يفهمون معناه، سبحان الله!.

(١) أي علمهم آداب التخلي حتى قال بعض أهل الكتاب لبعض الصحابة: نبيّكم علمكم كل شيء حتى الخراءة؟ قال: «**فقال: أَجَلْ لقد نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أو بَوْلٍ أو أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ أو أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ من ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أو أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ**=

(٢١) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٥٣/٣، ١٥٤): «أما الخراءة، فبكسر الخاء المعجمة وتخفيف الراء وبالمد، وهي اسم لهيئة الحدث، وأما نفس الحدث فبحذف التاء وبالمد مع فتح الخاء وكسرها» اهـ.

ويشير شيخ الإسلام إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٦٢) من حديث سلمان رضي الله عنه **أنه قِيلَ له قد عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حتى الْخِرَاءَةَ قال فقال أَجَلْ لقد نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أو بَوْلٍ أو أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ أو أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ من ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أو أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أو بِعَظْمٍ**».

وَقَالَ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ»[٢٢]، وَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ أَيْضًا: « مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»[٢٣].[١]

=أو يعَظْمٍ»، فكيف يترك باب العقيدة لم يبينه فهو أهم شيء؟! فالرسول ما ترك شيئًا للناس فيه مصلحة في دينهم إلا بينها، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، ما تُوفي الرسول ﷺ إلاّ بعد كمال الشرع، وكمال البيان، كمال التشريع من الله، وكمال البيان من الرسول ﷺ، أما كون بعض الناس لم يطلع أو لم يعرف، أو لم يُردأن يعرف، فهذا ليس حجة؛ لأن البيان موجود، كيف يكون الرسول بيّن لأمته كل شيء، حتى آداب التخلي، ولم يبيّن لهم باب العقيدة؟! حتى جاء هؤلاء وبينوها للناس.

(١) قال ذلك عند وفاته قال ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ –يعني: =

---

(٢٢) سبق تخريجه(ص٤٣).

(٢٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وَقَالَ أَبو ذَرٍّ ﷺ: (لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهُ ﷺ، وَمَا مِنْ طَائِرٍ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا)(٢٤).[1] وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخُطَّابِ ﷺ: (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقَامًا، فَذَكَرَ بَدْءَ الخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ)[2]، رَوَاهُ البُخَارِيُّ(٢٥).

=الجادة البيضاء النقية الواضحة - هي سنته «لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ» من سار على هذه الجادة، وصل إلى الله، ونجا من الهلاك، ومن خرج عن هذه الجادة، هلك؛ لأنه يسير على غير طريق.

(١) أبو ذر ﷺ يشهد أن الرسول ﷺ ما ترك شيئاً يحتاجه الناس إلا وبينه لهم، حتى الطيور في الجو بيّن لهم ما يحل منها، وما يحرم.

(٢) هذه شهادة ثالثة من الصحابة للرسول ﷺ بالبيان: شهادة عمر بن الخطاب ﷺ قال: (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقَامًا، فَذَكَرَ بَدْءَ الخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، ...) يعني: خطبته الطويلة التي خطبها ﷺ فيهم يوماً كاملاً، يبين لهم، =

---

(٢٤) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في المسند (٥/١٥٣، ١٦٢)، والطبراني في الكبير (١٦٤٧).

(٢٥) أخرجه البخاري (٣١٩٢) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

وَمُحَالٌ مَعَ تَعْلِيمِهِمْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ فِي الدِّينِ - وَإِنْ دَقَّتْ - أَنْ يَتْرُكَ تَعْلِيمَهُمْ مَا يَقُولُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَيَعْتَقِدُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ فِي رَبِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ رَبِّ العَالَمِينَ،(١)

=فإذا حانت الصلاة نزل، وصلى بهم ،ثم رجع، وصعد المنبر، وبين لهم، حتى بين لهم كل شيء، هذا في موقف واحد من مواقفه ﷺ يبين فيه الأمور من بداية الخلق إلى نهايته مما علمه الله، إلى أن دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار، ما ترك شيئًا ﷺ في مقامه هذا إلاّ وبينه لهم. فهذه شهادة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ للرسول ﷺ بأنه بيّن لهم كل ما يحتاجون إليه، من بداية الخليقة إلى نهايتها، في موقف واحد، فكيف بالوقت من بعثته ﷺ إلى وفاته كلها في البيان والتوضيح: قولاً وعملاً يبين ﷺ للناس بقوله، وبفعله ﷺ. وقول عمر ﷺ (علمه من علمه، وجهله من جهله) دليل على أن هذا البيان ما كل الناس يعرفه، وإنما يعرفه بعض العلماء، ويجهله الكثير، والجهل ليس حجة على أن الرسول لم يُبيّن، فالرسول بيَّن، ولكن كثيراً من الناس يجهلونه؛ وهذا يرجع إلى تقصيرهم، لا إلى عدم بيان الرسول.

(١) أي: مستحيل أن الرسول ﷺ علم أمته كل شيء لهم فيه مصلحة في دينهم - كما اعترف بذلك أصحابه ﷺ - أن يترك باب التوحيد

والعقيدة، لم يبينه لهم، مع أنه هو الأصل، وهو الأساس، وهو الذي بعثت الرسل كلهم ببيانه والدعوة إليه، فهذا رد على الذين يقولون: إن الآيات والأحاديث المتعلقة بالأسماء والصفات ليست على ظاهرها، بل لها معنىً آخر لم يبينه الرسول، فيقول الشيخ لهم: هذا محال أن الرسول ﷺ لم يبيِّن هذا الشيء الذي هو أصل الدين، ومحال أن يسكت الصحابة، ولم ينقلوا هذا البيان للناس فلا يخلو قول المخالفين هذا من أحد أمرين:

- إما أن الرسول كتم الحقّ، ولم يبين، وهذا كفر؛ لأنه اتهام للرسول ﷺ.
- أو أنه بينه، ولكن الصحابة كتموه، ولم يبينوه، وهذا اتهام للصحابة أنهم كتموا الحق، ولم ينقلوه للناس، فمحال (أَنْ يَتْرُكَ) الرسول ﷺ بيان ما يجب على الناس أن يقولوه (بِأَلْسِنَتِهِمْ): من الإقرار بتوحيد الله وأسمائه وصفاته، والنطق بذلك، والاعتراف به ظاهراً، مع الاعتقاد بالقلب بما يقولونه بألسنتهم، وهذا فيه دليل على أن العقيدة لا بد فيها من الأمرين: لا بد فيها من الاعتقاد الصحيح، ولا بد فيها من النطق والاعتراف علناً، والرسول ﷺ بيّن لهم الأمرين: بيّن لهم ما يعتقدونه، وبيّن لهم ما يقولونه بألسنتهم: من الثناء على الله، والإقرار بتوحيد الله ﷻ، وهؤلاء الذين يتهمون الرسول ﷺ، ويتهمون الصحابة، وعلى النقيض من هؤلاء ناس في وقتنا الحاضر يقولون: =

الَّـذِي مَعْرِفَتُـهُ غَايَـةُ المَعَـارِفِ، وَعِبَادَتُـهُ أَشْـرَفُ المَقَاصِـدِ، وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ غَايَةُ المَطَالِبِ،(١)

=إن أمر التوحيد سهل، المسلمون كلهم يعرفونه بدون أن يُبيّن لهم ويدرسونه، ويتهاونون في أمر العقيدة، وينكرون على الذي يهتم بالعقيدة، ويدرِّسها للناس، ويبينها، ويقولون له: أنت تتهم الناس، وأنت تفرق بين الناس، وأنت، وأنت... إلى آخره.

(١) معرفة التوحيد بالقلوب غاية المعارف، فإذا لم تعرف ربك فماذا تعرف إذاً؟! لا يمكن للمسلم أن يجهل ربه، ومن الجهل بالرب أن يجهل أسماءه وصفاته، وما تعرف به إلى خلقه في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ، ثم أيضاً المعرفة لا تكفي؛ فلا بد من العبادة، فالذي يعرف الله لا بد أن يعبده، أما إنه يقول: أنا عارف - كما تقوله الصوفية - ، وأن الإنسان إذا عرف ربه لا يحتاج أن يشتغل بالعبادة؛ لأنه وصل إلى الله بزعمهم؟ هذا باطل، فلا بد من الأمرين: لا بد من معرفة الله ﷻ، وليس معنى معرفة الله أن تعرف ذاته، بل تعرف أسماءه وصفاته، أما ذات الرب ﷻ، فلا يعلمها إلا هو، وكيفية الأسماء والصفات لا يعلمها إلا الله، لكن نحن علينا أن نعرفه بالأسماء والصفات الثابتة، بأن نعرف معانيها، ونتعبد لله بها، دون أن نبحث في كيفيتها =

بَلْ هَذَا خُلاصَةُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ وَزُبْدَةُ الرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ.(١)

=أو في ذات الرب ﷻ، فهذا لا يمكن الوصول إليه أبداً، هذا لا يعلمه إلا الله ﷻ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠] لا يحيطون بالرب ﷻ علماً.

(١) التوحيد هو خلاصة دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام _لاسيما خاتمهم وإمامهم نبينا محمد ﷺ_، وهو معرفة الله وعبادته، وطلب الوصول إليه، ذلك هو غاية دعوة الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، وما عدا ذلك، فهو وسيلة إليه، كل رسول يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، هذا هو الذي جاءت به الرسل، ودعت إليه وأمرت به، وكيف نعبد الله ونحن لا نؤمن بأسمائه وصفاته؟! لا يمكن هذا، إذا لم نؤمن بأسمائه وصفاته، فإننا نجهل حقه وعظمته، نحن ما رأيناه بأعيننا، ولكن عرفناه بآياته وأسمائه وصفاته؛ لأن هذا الكون شاهد بأن له خالقاً يستحق العبادة، لا يستحقها غيره، الكون كله بسمائه وأرضه، وشمسه وقمره ونجومه، وبره وبحره، والكائنات التي تعيش فيه كلها دالة على الله ـ جل وعلا ـ.

كما قال الشاعر:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ=

فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنْ إِيمَانٍ وَحِكْمَةٍ أَنْ لاَ يَكُونَ بَيَانُ هَذَا البَابِ قَدْ وَقَعَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى غَايَةِ التَّمَامِ؟ إِذَا كَانَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَمِنَ المُحَالِ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ أُمَّتِهِ وَأَفْضَلُ قُرُونِهَا قَصَّرُوا فِي هَذَا البَابِ، زَائِدِينَ فِيهِ أَوْ نَاقِصِينَ عَنْهُ.(١)

=هذه هي الآيات الكونية، وأما الآيات القرآنية فهي واضحة في هذا الأمر، كلها تدل على الله، وتأمر بمعرفته وعبادته، والتقرب إليه، وطلب مرضاته.

(١) أي: كيف يتصور من عنده عقل - ولو كان قليلاً - أن يكون الرسول ﷺ أهمل هذا الباب، ولم يبينه للناس، حتى يأتي أفراخ الجهمية، ويبينوه للناس، ويضللوا السلف الصالح، أو يتهموهم بالجهل، وأنهم لا يعرفون ذلك، هذا التصور محال لأمرين:

أولاً: محال أن يكون الرسول ﷺ ترك بيان هذا الباب، وإذا لم يبينه، فماذا بيّن إذاً؟! ومن اعتقد أن الرسول لم يبينه، فهو كافر.

ثانياً: محال أن يكون الرسول بيّن هذا، وكتمه الصحابة، ولم ينقلوه، ولم يبينوه للناس، وهم أفضل الخلق وأفضل القرون، وأنصح الخلق، وأعلم الخلق بعد الرسول ﷺ، فهم الواسطة بيننا وبين الرسول ﷺ، ما بلغنا هذا الدين إلا عن طريقهم، هم الذين حملوا إلينا القرآن، =

ثُمَّ مِنَ الْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ الْقُرُونُ الْفَاضِلَةُ ـ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ[٢٦] ـ كَانُوا غَيْرَ عَالِمِينَ وَغَيْرَ قَائِلِينَ فِي هَذَا الْبَابِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ؛[١]

=وعلمونا إيّاه بعد ما تعلموه من الرسول ﷺ، هم الذين حملوا إلينا سنة الرسول ﷺ، ورووها لنا حديثاً حديثاً، فما من حديث إلا وهو مروي عن صحابي من صحابة الرسول ﷺ.

(١) أي: من المحال أن تكون القرون التي جاءت بعدالصحابة، وتلقت العلم عنهم، أن تكون أغفلت هذا الباب، ولم تنقله، وهم قرن التابعين وأتباع التابعين الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، فخير القرون ثلاثة أو أربعة على بعض الروايات، محال أن تكون هذه القرون المفضلة لم تنقل هذا عن الصحابة، وتركته مهملاً، وأنها تقرأ القرآن، وتروي الأحاديث، ولا تعرف معناها (كما تقوله الجهمية وأضرابها)، ينقلون لنا الألفاظ فقط، هذا اتهام لهم بأقبح الجهل، وهم خير القرون وأفضلها.

---

(٢٦) أخرجه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين ﷺ.

لأَنَّ ضِدَّ ذَلِكَ إِمَّا عَدَمُ العِلْمِ وَالْقَوْلِ، وَإِمَّا اعْتِقَادُ نَقِيضِ الحَقِّ وَقَوْلُ خِلافِ الصِّدْقِ، وَكِلاهُمَا مُمْتَنِعٌ.(١) أَمَّا الأَوَّلُ فَلأَنَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى حَيَاةٍ وَطَلَبٍ لِلْعِلْمِ، أَوْ نَهْمَةٍ فِي العِبَادَةِ، يَكُونُ البَحْثُ عَنْ هَذَا البَابِ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ وَمَعْرِفَةُ الحَقِّ فِيهِ أَكْبَرَ مَقَاصِدِهِ وَأَعْظَمَ مَطَالِبِهِ، أَعْنِي بَيَانَ مَا يَنْبَغِي اعْتِقَادُهُ،(٢) لاَ مَعْرِفَةَ كَيْفِيَّةِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ.(٣)

---

(١) لأن عدم معرفة الصحابة والتابعين هذا الباب يحتمل أمرين: إما الجهل، وهؤلاء هم أعلم القرون بعد الرسول ﷺ، وإما الكتمان، وهو أنهم علموا، ولم يبينوا، ولم ينقلوا للناس، ويبلغوهم ما بلغهم عن صحابة رسول الله ﷺ، وكلا الأمرين ينزه عنه هؤلاء القرون المفضلة.

(٢) أما الأول وهو بطلان الجهل، وهوأن يكون التابعون وأتباع التابعين ـ وهم أعلم الأمة بعد الصحابة ـ لم يتعلموا العقيدة الصحيحة في حق الله ﷻ، و ألا يتعلموا ما يعتقدونه في الله ﷻ، ويهملوا هذا ـ وهو الأصل، وهو الأساس ـ ، ثم يشتغلون بالعلوم الأخرى، هذا محال في حقهم، ومحال في حقهم أيضاً الكتمان وعدم البيان؛ لأن هذا غش للأمة، و تقصير في تبليغ الحق الذي تحملوه.

(٣) معرفة كيفية الرب ﷻ وكيفية صفاته مستحيلة في حقنا، بل في=

وَلَيْسَتِ النُّفُوسُ الصَّحِيحَةُ إِلَى شَيْءٍ أَشْوَقَ مِنْهَا إِلَى مَعْرِفَةِ هَذَا الأَمْرِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالْفِطْرَةِ الوِجْدِيَّةِ.(١)

=حق الخلق كلهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

(١) ليست النفوس أشوق إلى شيء شوقها إلى معرفة أسماء الله وصفاته، وتوحيده، والعقيدة التي يعتقدونها في ربهم ﷻ، ومعرفة الله ﷻ، وعظمته وكبريائه، وما يستحق من العبادة، هذا هو أشوق ما تتلذذ به النفوس؛ لأنك إذا عرفت ربك، فإنك تحبه، وتعبده، و تتقرب إليه، إذا عرفت عظمته وقدرته وجلاله ورحمته، وعرفت شدة نقمته وغضبه، فإنك حينئذ تتقرب إليه بما يحبه، وتتجنب ما يبغضه ويسخطه، فالنفوس ليست أشوق إلى شيء شوقها إلى هذا الشيء. كيف تعبد ربًا لا تعرفه بأسمائه وصفاته؟! هذا رب مجهول، لكن إذا عرفته بأسمائه وصفاته وآياته ومخلوقاته، فإن ذلك يدلك على عظمته، وعلى أنه المستحق للعبادة، فإذا نظرت في خلق السماوات والأرض وما فيهما من العجائب، فإنك تقول كما يقول المؤمنون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، تعرف الله وعظمته إذا نظرت في مخلوقاته، فالذي قدر على خلق هذه المخلوقات الهائلة العظيمة الكثيرة، يدل ذلك على عظمته وقدرته وعلمه وحكمته ﷻ، =

فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ مَعَ قِيَامِ هَذَا الْمُقْتَضِي - الَّذِي هُوَ مِنْ أَقْوَى الْمُقْتَضِيَاتِ - أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ مُقْتَضَاهُ فِي أُولَئِكَ السَّادَةِ فِي مَجْمُوعِ عُصُورِهِمْ؟ هَذَا لاَ يَكَادُ يَقَعُ مِنْ أَبْلَدِ الخَلْقِ، وَأَشَدِّهِمْ إِعْرَاضًا عَنِ اللَّهِ وَأَعْظَمِهِمْ إِكْبَابًا عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا، وَالْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَكَيْفَ يَقَعُ مِنْ أُولَئِكَ؟!(١)

=فتعرف ربك بآياته وبصفاته ﷻ.

(١) المقتضي هو طلب معرفة الحق ؛ لأن الجهل بالله عز وجل والإعراض عنه إنما يقع من المغفلين وأصحاب الشهوات، وأرباب الدنيا وطلاب الدنيا، أما طلاب العلم الصحيح والمعرفة الحقة، فإنّ هذا في مقدمة ما يهتمون به، ويتعلمونه، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله ﷺ وأتباعهم والقرون المفضلة، هؤلاء أكبر همهم هو معرفة الله وما يقربهم إليه، وطلب الآخرة، أما أهل الدنيا وأهل الشهوات وأهل الإعراض، فهؤلاء كما قال الله ﷻ فيهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] هؤلاء ليس لهم همة ولا مقصد إلا شهواتهم فقط، فهم مثل البهائم ليس لها هم إلاّ أن تأكل وتشرب، لكن هم أضل من البهائم ؛ لأن البهائم ما كُلّفت، ولا ينتظرها جنة ونار، أما هؤلاء فقد أهملوا مستقبلهم =

وَأَمَّا كَوْنُهُمْ كَانُوا مُعْتَقِدِينَ فِيهِ غَيْرَ الحَقِّ أَوْ قَائِلِيهِ، فَهَذَا لاَ يَعْتَقِدُهُ مُسْلِمٌ وَلا عَاقِلٌ عَرَفَ حَالَ القَوْمِ.[(١)]

= وآخرتهم، أما البهائم فليس لها آخرة، و ما لها إلاّ الدنيا، وهي مخلوقة لمصالح العباد، ولا عليها حساب، ولا لها جنة ولا نار، يقول الله لها يوم القيامة: كوني تراباً. فتكون تراباً[(٢٧)]، أما هذا الإنسان فإنه يُبعث، ويحاسب، ويجازى، ويكون من أهل الجنة أو من أهل النار، ولا يموت أبداً في الآخرة، أهل الجنة يُخلدون في الجنة، وأهل النار من الكفرة والمشركين يُخلدون في النار ولا موت، فكيف يغفل عن هذا المصير من في قلبه أدنى ذرة من عقل؟! وكيف يعرف هذا إلا إذا عرف العقيدة السليمة التي بنيت على أصول الإيمان، التى منها الإيمان باليوم الآخر.

(١) وإنما قرؤوا هذه الآيات والأحاديث في الأسماء والصفات، لكنهم لا يعتقدون أنها تدل على شيء ـ كما يقوله الجهمية وأضرابهم ـ ، وهذا أعظم الضلال؛ لأنه اتهم خيرة الخلق، وهم القرون المفضلة اتهمهم بالجهل، وعدم العلم، أو أنهم عرفوا الحق، =

---

(٢٧) انظر: تفسير الطبري (١٨٨/٧)، (٢٦/٣٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢٨٦/٤).

ثُمَّ الكَلامُ عَنْهُمْ فِي هَذَا البَابِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُمْكِنَ سَطْرُهُ فِي هَذِهِ الفَتْوَى أَوْأَضْعَافِهَا، يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ طَلَبَهُ وَتَتَبَّعَهُ.(١)

=ولكنهم لم يعتقدوه واعتقدوا خلافه، وهذا من أعظم الضلال أيضًا. فمن عرف حال الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وسيرتهم في العلم، واجتهادهم في طلب العلم والعبادة، وأنهم أفنوا أعمارهم في هذا المضمار، أفنوا أعمارهم في تحصيل العلم والعمل به والعبادة؛ كما هو معروف: من التاريخ، ومن سيرهم، ومن آثارهم التي خلّفوها من العلوم النافعة، ومن الروايات الصحيحة التي تدل على أنهم كان لهم اهتمامٌ بهذا الأمر يفوق اهتمام غيرهم، وأن هذا أهم شيء عندهم.

(١) أي: الكلام الذي تكلم به السلف في باب الأسماء والصفات والعقيدة والتوحيد كلام كثير، لا تحويه هذه الفتوى وهذا الجواب، ولكنه مبسوط في الموسوعات المروية عنهم، وهي مدونة ومحفوظة ولله الحمد، مثل: كتب التوحيد، وكتب السنة، وكتب الإيمان، وكتب الشريعة، والروايات عنهم معروفة ومبسوطة، وفاضت بها الكتب المطبوعة، مثل: كتاب شرح أصول الإيمان للالكائي، و مثل: كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، وكتاب السنة للخلال، وكتاب الشريعة للآجري، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتب التوحيد لابن منده، =

وَلا يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الخَالِفُونَ أَعْلَمَ مِنَ السَّالِفِينَ، كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الأَغْبِياءِ مِمَّنْ لَمْ يُقَدِّرْ قَدْرَ السَّلَفِ، بَلْ وَلا عَرَفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ حَقِيقَةَ المَعْرِفَةِ المَأْمُورِ بِهَا مِنْ أَنَّ (طَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسْلَمُ، وَطَرِيقَةَ الخَلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ).[1]

= وغير ذلك من كتبهم والمرويات عنهم، فهي مدونة وكثيرة، لكن هذه الفتوى إنما ذكر فيها الشيخ شيئاً يسيراً عنهم ومن باب النموذج.

(١) هذه مسألة المقارنة بين علم السلف وعلم الخلف: هل السلف أعلم من الخلف؟ أو الخلف أعلم من السلف؟ هذا تكلم عنه الشيخ ـ رحمه الله ـ في هذه الفتوى، وتكلم عنه الإمام الحافظ ابن رجب في رسالة مطولة سماها: «**فضل علم السلف على علم الخلف**»[28] وكتب فيها غير واحد، وهي مسألة مهمة جداً؛ لأن هناك من يدّعي أن الخلف أعلم من السلف، و أن السلف مجرد عباد ومجرد أهل خير، لكنهم ما بحثوا في العلم وتوسعوا فيه ـ كما توسع فيه الخلف ـ، أما الخلف فقد بسطوا المسائل، واستدلوا، و أتوا بعلم المنطق، وعلم الكلام وعلم

---

(٢٨) هي مطبوعة متداولة، بتحقيق: محمد بن ناصر العجمي، ط: دار البشائر الإسلامية بيروت.

الجدل ؛ فهم أعلم من السلف في هذا الباب ، والشيخ سيرد على هذا الرأي -كما رد عليه غيره- ؛ لأن هذا ضلال و تضليل للسلف ، وتجهيل لهم ، ولا تزال هذه الفكرة موجودة الآن في ناس يُجهِّلون العلماء ، ويدعون أنهم لا يعرفون شيئًا ، ولا يعرفون فقه الواقع ، ولا يدرون ما الناس عليه ، ولا يعرفون أمور السياسة ، وأن الكُتّاب والمثقفين والمفكرين هم الذين عرفوا هذه الأشياء ، وألموا بها ، ويفضلون المثقفين على العلماء ، فكل قوم لهم وارث .

فلغبائهم يقولون: إن طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، وهذا تناقض ، فالسلامة لا تكون إلا مع العلم ، ولا تكون السلامة مع الجهل ، ثم هل يمكن أن يكون الخلف أعلم من السلف الذين تعلموا على يد الرسول ﷺ ، وتعلموا على الصحابة؟! هل من الممكن أن تكون القرون المتخلفة التي جاءت من بعد أعلم من السلف؟!! والنبي ﷺ يقول: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ قال عِمْرَانُ لَا أَدْرِي أَذْكَرَ النبي ﷺ بَعْدُ قرنه قَرْنَيْنِ أو ثَلَاثَةً قال النبي ﷺ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ وَيَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ ولا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ..»[٢٩] ، إلى غير ذلك

---

(٢٩) سبق تخريجه (ص٦٧).

، فالرسول ﷺ أخبر أن من يأتي بعد القرون المفضلة أنهم خلوف[٣٠]: جمع (خلْف) بإسكان اللام، والخلْف مذموم قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [مريم: ٥٩]، و[الأعراف: ١٦٩] وأنهم يحدث فيهم من الأهواء والجهل والكذب الشيء الكثير، وهؤلاء يعكسون، ويقولون: الخلف أحسن من السلف وأعلم.

الذي يقول: إن الخلف أعلم من السلف. ما عرف الله ﷻ، ولا عرف رسوله حق المعرفة؛ ولذلك تجرأ، وقال هذه المقالة، وهو لا يعرف السلف حق المعرفة؛ ولذلك تجرأ، وقال هذه المقالة الشنيعة، ومعنى قوله: (طَرِيقَة السَّلف أَسْلَم)؛ لأنهم ما دخلوا في التأويل والبحث، وإنما أمسكوا. وظنوا أن السلف مجرد مفوضة يؤمنون بالألفاظ فقط، ولا يعرفون معناها، ولا يفسرونها؛ فلذلك سلموا من الخطأ، أما الخلف فهم بسّطوا المسائل، وبحثوا فيها، فهم توصلوا إلى معرفة معانيها التي كان السلف يجهلونها، فصاروا أعلم من السلف وأحكم - يعني: أتقن -

---

(٣٠) عن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال «ما من نَبِيٍّ بَعَثَهُ الله في أُمَّةٍ قَبْلِي إلا كان له من أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ من بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مالا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مالا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بيده فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذلك من الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» أخرجه مسلم (٥٠).

وهذا قول باطل ؛ لأنه لا شك أن السلف هم الذين اعتنوا بالنصوص ، وهم الذين عرفوها ، وهم الذين يُرجع إليهم في فهمها ، ولا يرجع فيها إلى الخلف ، إنما الطيب من الخلف من اقتفى أثر السلف ، وسار على نهجهم ، كما قال تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة : ١٠٠].

(اتَّبَعُوهُمْ) اتبعوهم في العلم ، وفي العبادة ، وفي الاعتقاد ، والقول والعمل ، بإحسان أي مع الإتقان لطريقتهم ، ما غلوا وتطرفوا ، ولا جفوا وتساهلوا ، بل اتبعوهم بإحسان ، باعتدال واستقامة من غير غلوٍ ومن غير تساهل ؛ لأن هناك من يدّعي أنه على مذهب السلف ، لكن يُخالفهم ، فيغلو ويزيد ، ويخرج عن طريقة السلف ، ومنهم من يدّعي أنه على مذهب السلف ، ويتساهل ويضيع ، ويكتفي بالانتساب ، والذي على منهج السلف حقيقة هو الذي يعتدل ويستقيم بين الإفراط والتفريط ، لا غلو ولا تساهل ، هذه طريقة السلف ، لا كما يحصل من بعض الجهال الآن الذين يسمون أنفسهم سلفيين ، ثم يخالفون السلف ، ويشتدون ، ويكفرون غيرهم بغير حق ، ويفسقون ، ويبدِّعون من غير ضوابط شرعية ، والسلف ما كانوا يعملون هذا ، ما كانوا يبدعون ويكفرون ويفسقون إلا بدليل من القرآن ، لا بالهوى أو بالجهل ، فإذا أردت أن تكون سلفيّاً حقّاً ، فعليك أن تدرس مذهب السلف بإتقان ، وتعرفه ببصيرة ، ثم تعمل به من غير غلو ومن غير تساهل ، =

فَإِنَّ هَؤُلاءِ الْمُبْتَدِعَةَ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ طَرِيقَةَ الخَلَفِ مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ، وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ إِنَّمَا أُتُوا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِيَ مُجَرَّدُ الإِيمَانِ بِأَلْفَاظِ القُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ لِذَلِكَ، بِمَنْزِلَةِ الأُمِّيِّينَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ [البقرة: ٧٨]،(١)

= هذاهو منهج السلف الصحيح، أما مجرد الادعاء والانتساب من غير حقيقة، فهذا يضرّ ولا ينفع.

(١) هذا بيان لفساد قولهم ببيان فساد أصلهم الذى بنوا عليه مقالتهم الضالة، وهوتجهيل السلف، ومدح الخلف، وهل السلف كما قال هؤلاء؟! حاشا وكلاّ، السلف يؤمنون بالألفاظ، ويؤمنون بالمعاني على وجهها الصحيح، ويعتقدونها، ويفسرونها على الوجه الصحيح.

و المراد بالمتفلسفة: فلاسفة اليونان الذين أخذ هؤلاء الخلف مذهبهم، وساروا على منهجهم، هل هؤلاء الفلاسفة يقاسون بأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، والصحابة، والمهاجرين والأنصار؟! أو يقاسون بالتابعين، وأتباع التابعين، والقرون المفضلة؟! وهم ليس عندهم إلا علم الفلسفة، وعلم المنطق، وعلم الجدل الذي جاء من فلاسفة

اليونان، أما السلف فإنما أخذوا عن الرسول ﷺ ، وأخذوا بالكتاب والسنة، وأين من يأخذ بالكتاب والسنة ممن أخذ بعلم المنطق والجدل، وعلم الكلام الذي جاء من فلاسفة اليونان الكفرة الجهلة بالشرع؟!

وظنوا أن السلف (بِمَنزِلَةِ الأُمِّيين) من أهل الكتاب من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾أي: من اليهود ﴿ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾[البقرة: ٧٨] أي: مجرد تلاوة للألفاظ من غير فقه في المعاني، فأهل الكتاب فيهم صنف من هذا النوع.

ثم يبيّن الشيخ ـ رحمه الله ـ السبب الذي من أجله فضّل هؤلاء الخلف على السلف، فإنهم إنّما أوتوا بسبب توهمهم أن الخلف اطّلعوا على أشياء لم يطلع عليها السلف، فالسلف يقرؤون القرآن، ولايفهمون معناه، والخلف يفهمون معناه، ثم من هم السلف، ومن هم الخلف المقصودون في هذا؟ السلف هم صحابة رسول الله ﷺ، والتابعون، وأتباع التابعين، وهم أفضل قرون الأمة علماً وعملاً واعتقاداً، والأمة إنّما تأخذ عنهم العلم والدين؛ لأنهم هم الواسطة بين الأمة وبين الرسول ﷺ، وأما الخلف المذموم، فالمراد بهم: علماء الكلام، وعلماء المنطق الذين أخذوا علمهم عن المتفلسفة، فهل يُسوى هؤلاء بأولئك؟ من أخذ علمه عن الرسول ﷺ، و صحابة الرسول هل يُسوى بمن أخذ علمه عن الفلاسفة، وعلماء المنطق اليوناني الذي لاخير فيه، ولا فائدة منه؟ وسيأتي أن أكابرهم ندموا على طريقتهم هذه.

وَأَنَّ طَرِيقَـةَ الخَلَـفِ هِـيَ اسْـتِخْرَاجُ مَعَـانِي النُّـصُوصِ المَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ المَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اللُّغاتِ.فَهَذَا الظَّنُّ الفَاسِدُ أَوْجَبَ تِلْكَ المَقَالَةَ الَّتِي مَضْمُونُهَا نَبْذُ الإِسْلامِ وَرَاءَ الظَّهْرِ، وَقَدْ كَذَبُوا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَضَلُّوا فِي تَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الخَلَفِ؛ فَجَمَعُوا بَيْنَ الجَهْلِ بِطَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الكَذِبِ عَلَيْهِمْ، وبَينَ الجَهْلِ وَالضَّلالِ بِتَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الخَلَفِ.[1]

---

(١) الخلف يصرفون النصوص عن معانيها الصحيحة، ويقولون: هذا هو العلم، وهذا هو التفسير الصحيح، ومضمون مقالة من فضل الخلف على السلف في العلم: نبذ دين الإسلام وراء ظهورهم، وقد كذبوا على السلف؛ حيث وصفوهم بالجهل والتفويض، وضلوا في الثناء على طريقة الخلف التى هى تفسير النصوص بغير معناها، فجمعوا بين الكذب على السلف والضلال في تفضيل الخلف.

وَسَبَبُ ذَلِكَ اعْتِقَادُهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ صِفَةٌ دَلَّتْ عَلَيْهَا هَذِهِ النُّصُوصُ لِلشُّبُهَاتِ الفَاسِدَةِ الَّتِي شَارَكُوا فِيهَا إِخْوَانَهُمْ مِنَ الكَافِرِينَ، (١)

---

(١) هذه شبهاتهم التى ضلوا بسببها:

الشبهة الأولى: أنهم ظنّوا أن السلف لا يعلمون معانى هذه النصوص.

الشبهة الثانية: أنهم ظنوا أن الله ليس له صفات، وأن هذه النصوص لا تدل على صفات الله، وليست على ظاهرها، فلا بدّ من تأويلها وصرفها عن ظاهرها؛ لأنها لا تدلّ على صفات، هذا هو سبب الضلال، أنّهم لا يؤمنون بالصفات، فلما كانوا لا يؤمنون بصفات الله، وهذه النصوص ظاهرها أنها تثبت الصفات حاولوا أن يصرفوها عن ظاهرها، ويلووا أعناق النصوص؛ حتى توافق أهواءهم، هذه طريقة كل ضال في العالم.

فسبب ضلالهم التعطيل، وهو: نفي الصفات عن الله ﷻ، حيث لا يعتقدون أن لله صفة، ويقولون: هو الذات المجردة التي لا توصف بوصف، لكن لمّا كانت النصوص ظاهرة في إثبات الصفات لله، ماذا يعملون؟ لأنهم لا يستطيعون تكذيب ألفاظها، فلجؤوا إلى تأويلها، بدلاً من التكذيب بألفاظها، فحرفوا في المعنى، وغيروه عن وضعه،

خروجاً من المأزق الذي وقعوا فيه، لكنهم خرجوا من مأزق، ووقعوا في مأزق أشدّ منه.

الشبهة الثالثة: يقولون: لو أثبتنا هذه النصوص، وهي موجودة في الخلق: كالسمع، والبصر، والكلام، والقدرة، واليد، والوجه، لو أثبتنا هذا لشبهنا الله بخلقه؛ لأن هذه الصفات موجودة في الخلق، فدل على أن هذه النصوص لا تدل على صفات لله لِئلا نشبه الله بخلقه، والجواب عن هذه الشبهة أن نقول: هذه الصفات موجود في الخلق جنسها، والله وصف بها نفسه، وهو أعلم بنفسه ﷻ، فدلّ على أن صفات الله غير صفات الخلق، وأنه لا تشابه بينها، وإن اشتركت في اللفظ والمعنى، فهي لا تشترك في الحقيقة والكيفية، فلله صفات تليق به ﷻ لا يعلم كيفيتها إلاّ هو، وللمخلوقين صفات تليق بهم، ليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، ولا العلم كالعلم، ولا القدرة كالقدرة، ولا اليد كاليد، ولا الوجه كالوجه، وهذا في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، أثبت لنفسه السمع والبصر، مع أنهما موجودان في الخلق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، فالسمع والبصر موجودان في الخلق، والله جل وعلا قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فأثبت لنفسه السمع والبصر=

فَلَمَّا اعْتَقَدُوا انْتِفَاءَ الصِّفَاتِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ - وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لاَ بُدَّ لِلنُّصوصِ مِنْ مَعْنًى - بَقُوا مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الإِيمَانِ بِاللَّفْظِ وَتَفْوِيضِ المَعْنَى - وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ السَّلَفِ - وَبَيْنَ صَرْفِ اللَّفْظِ إِلَى مَعَانٍ بِنَوْعِ تَكَلُّفٍ - وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ الخَلَفِ -[1]

= ونفي مشابهة الخلق له فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، فدل على أن السمع ليس كالسمع، والبصر ليس كالبصر، هذه قاعدة في جميع صفات الله ﷻ، أنها ثابتة لله على وجه لا يشبه صفات المخلوقين، ولو أنّ الله هداهم إلى هذا، لاستراحوا من هذا العناء، وسلكوا مسلك السلف، وأثبتوها على حقيقتها ومعناها الذي تدلّ عليه، ونفوا عنها المشابهة والمماثلة.

(١) لما اعتقدوا أنه ليس لله صفة - مع أن القرآن والسنة جاءا بإثبات الصفات لله فى نصوص كثيرة، ولا يستطيعون نفيها - انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: من أوّلها، وحرَّفها، وهؤلاء هم المعطلة.

والقسم الثاني: من توقف، وفوضها، وهم المفوضة، يقولون: لا نفسرّها، بل نكل تفسيرها إلى الله، أما هي فلا تدل على صفة، وقالوا: لا نعلم معناها. وهذا هو الذي وصفوا به السلف: أنهم يقون اللفظ =

فَصَارَ هَذَا البَاطِلُ مُرَكَّبًا مِنْ فَسَادِ العَقْلِ وَالْكُفْرِ بِالسَّمْعِ، فَإِنَّ النَّفْيَ إِنَّمَا اعْتَمَدُوا فِيهِ عَلَى أُمُورٍ عَقْلِيَّةٍ ظَنُّوهَا بَيِّنَاتٍ، وَهِيَ شُبُهَاتٌ، وَالسَّمْعَ حَرَّفُوا فِيهِ الكَلامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.[1]

= ويفوضون المعنى، فهم نسبوا آفتهم وعلتهم إلى السلف، كما قال في المثل: (رمتني بدائها، وانسلت)، فهم المفوضة في الحقيقة، وليس السلف.

(١) لما اعتمدوا في نفي الصفات عن الله على قواعد المنطق، وعلم الكلام، التي يسمونها أدلة عقلية يقينية، و أن أدلة القرآن والسنة أدلة ظنية عندهم، فلذلك قدّموا العقل على أدلة الكتاب والسنة، بناءً على هذه القاعدة الخبيثة التي تجعل القرآن ظني الدلالة، وتجعل علم المنطق قطعي الدلالة، و في الحقيقة قواعد المنطق ظنيات، وأكثرها جهليات وباطل، خلاف القرآن، فإنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] هذا هو عين القطع واليقين؛ لأنه كلام من حكيم حميد ﷻ، أما قواعد المنطق، فهي من عمل البشر: مقدمات، ونتائج، وجوهر، وعرض، وجسم، وما أشبه ذلك! وكلها ظنيات وجهليات، جاؤوا بها، وجعلوها المرجع الذي يرجع إليه في=

فَلَمَّا انْبَنَى أَمْرُهُمْ عَلَى هَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ الكُفْرِيَّتَيْنِ كَانَتِ النَّتِيجَةُ : اسْتِجْهَالَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ، وَاسْتِبْلاَهَهُمْ، وَاعْتِقَادَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا أُمِّيِّينَ، بِمَنْزِلَةِ الصَّالِحِينَ مِنَ العَامَّةِ، (١)

= التوحيد، فضلوا وأضلوا بهذه الطريقة الخبيثة، حيث أحلوا المنطق وعلم الكلام محل القرآن والسنة، وكان الواجب العكس، الاعتماد على القرآن والسنة، وترك هذه الجدليات والمنطقيات التي جاءت من فلاسفة اليونان الكفرة، حينما عربت الكتب الأجنبية في عهد المأمون، جاء علم المنطق وعلم الجدل وعلم الكلام، وأما القرآن فهو من عند الله ﷻ، و السنة من عند الرسول ﷺ عن الله ﷻ، ففرق بين المصدرين: مصدر اليونان، ومصدر القرآن المنزل من عند الله ﷻ، والسنة المطهرة.

(١) لما بنوامذهبهم على مقدمتين :

إحداهما : أن السلف لايفهمون القرآن ، وأن الخلف يفهمونه .

الثانية : أن أدلة القرآن والسنة ظنية، و أدلة المنطق قطعية، نتج عن هاتين المقدمتين اللتين مصدرهما تجهيل السلف، واستغفالهم، وجعلهم بمنزلة الصالحين من العامة، وتحذيق الخلف، وتقديمهم فى العلم، النتيجة : أنهم استجهلوا السلف، وقالوا : إنهم قوم أميون ، يحفظون، =

لَمْ يَتَبَحَّرُوا فِي حَقَائِقِ العِلْمِ بِاللَّهِ، [1] وَلَمْ يَتَفَطَّنُوا لِدَقَائِقِ العِلْمِ الإِلَهِيِّ، وَأَنَّ الخَلَفَ الفُضَلاءَ حَازَوا قَصَبَ السَّبْقِ فِي هَذَا كُلِّهِ.

=ولايفهمون، يحفظون كلاما لايفهمون معناه.

(١) أي: لم يتبحر السلف في علم المنطق، لم يدرسوا المنطق وعلم الجدل؛ فلذلك صاروا جهالاً بزعمهم، يقولون: إن الصحابة والتابعين مثل العوام، ليس عندهم إلا حفظ فقط، يحفظون القرآن والسنة، لكن ليس عندهم فهم.

والخلف فهموا المراد من النصوص؛ فلذلك هم أعلم من السلف، والسلف أسلم؛ لأنهم ما خاضوا، ولا دخلوا في تأويل؛ فهم أسلم لأنهم فوضوا، و سلموا، وهذا تناقض؛ لأنه لا يمكن السلامة إلاّ مع العلم، أما الجهل فليس معه سلامة.

ثُمَّ هَذَا القَوْلُ إِذَا تَدَبَّرَهُ الإِنْسَانُ وَجَدَهُ فِي غَايَةِ الجَهَالَةِ، بَلْ فِي غَايَةِ الضَّلالَةِ.(١) كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلاءِ المُتَأَخِّرُونَ ـ لاَسِيَّمَا وَالإِشَارَةُ بِالْخَلَفِ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ ـ الَّذِينَ كَثُرَ فِي بَابِ الدِّينِ اضْطِرَابُهُمْ، وَغَلُظَ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ حِجَابُهُمْ، وَأَخْبَرَ الوَاقِفُ عَلَى نِهَايَاتِ إِقْدَامِهِمْ بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ مَرَامِهِمْ،(٢)

---

(١) (هَذَا القَوْل): وهو أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، إذا تدبره العاقل البصير، تبيّن له أنه قول باطل؛ لأنهم لا يعرفون علم السلف، فهم جهال بحال السلف.

بل هو قول في غاية الضلالة؛ لأنه يؤدي إلى باطل، إذا زهدنا في السلف، وقلنا: هم جهال، وهم ناس مغفلون، ولا يعلمون شيئاً، من أين إذاً نتلقى ديننا؟ عن الجهم بن صفوان، عن واصل بن عطاء، عن الغزال، عن فلان، عن فلان؟! إذا تركنا أبا بكر وعمر وعثمان وعليا والصحابة، وتركنا التابعين، نتلقى العلم عن الجهمية والمعتزلة وأفراخ هؤلاء! هذا غاية الضلال.

(٢) كثر اضطراب الخلف؛ لأنهم صاروا مختلفين في منهجهم اختلافاً كثيراً في عقائدهم، وفي تأويلاتهم، لا يستقرون على رأي؛ كل واحد له رأي، فهم مضطربون؛ لأنهم لم يصدروا عن مصدر صحيح من

كتاب الله وسنة رسوله اللّذَين بهم العصمة من الاختلاف؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، هؤلاء لا يردون اختلافهم إلى الكتاب والسنة، وإنما يردونه إلى عقليّاتهم، فاختلفوا، واضطربوا فيما بينهم، وهذا موجود في كتبهم، فهي مشحونة بالاختلاف والاضطراب في هذا الباب.

كيف يكون هؤلاء المتأخرون الذين لا علم لهم بالكتاب والسنة، ولم يتلقوا علمهم عن المصادر الصحيحة، وإنما تلقوه مما عندهم من علم الكلام والمنطق، كيف يكونون أفضل من السلف، وأعلم من السلف؟! وهم لم يعرفوا الدين، ولم يعرفوا الله ﷻ؛ حيث أنكروا أسماءه وصفاته، هذا جهل بالله ﷻ، فإذا كان الله ليس له سمع، ولا بصر، ولا وجه، ولا يد، ولا صفات، إذاً ماذا يكون؟ تعالى الله عمّا يقولون؛ ولهذا تراجع بعضهم، وهذه شهادات من أقطابهم على حيرتهم، وعلى اضطرابهم ساقها الشيخ فيما يأتي:

حَيْثُ يَقُولُ:(٣١)

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المَعَاهِدَ كُلَّهَا وسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلاَّ وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ(١)

---

(١) يقول أحد أكابرهم: أنه لم يحصّل من دراسته طول عمره شيئًا يعتمد عليه، وإنما محصول الكلام في الجوهر...، والعرض...، والجسم...، وما أشبه ذلك من المقالات المحيرة التي لا تؤدي إلى حقيقة،

---

(٣١) هذان البيتان ذكرهما الشهرستاني في أول كتابه نهاية الإقدام في علم الكلام (ص٣) ولم ينسبهما لأحد، انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧٠)، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص١٤٠). وقد قيل إن هذين البيتين لأبي بكر محمد بن باجه المعروف بابن الصانع، وقيل إنهما لابن سينا. انظر: مقدمة الملل والنحل، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٧٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٢٨) ونسبهما لأبي عبد الله الشهرستاني، وقد رد عليه الأمير الصنعاني قائلاً:

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومَنْ لاقاه من كل عالم

فما حار من يهدي بهدي محمد ولست تراه قارعاً سن نادم

انظر: حاشية درء التعارض (١/ ١٥٩)، وحاشية منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧٠) حيث بيَّن الدكتور محمد رشاد سالم أن كلمة (لعمري) ليست من البيتين، بل هي تابعة لما قبلها.

فهذا القائل ذهب لكل علمائهم وكل مدارسهم يطلب الحقيقة، فلم يصل إلى حقيقة، كل واحد يجعل له طريقًا، فإما أن يكون بعضهم حائرًا لا يدري أين يذهب، وإما نادمًا؛ لأنه عرف أنه ضال وضائع، فندم، هذا مآلهم؛ لأنهم لم يعتمدوا على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعلى هدي السلف الصالح الذي يدلّ على الطريق الصحيح؛ كما قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ [إبراهيم: ١] هم تركوا هذا الكتاب الذي يخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور: ظلمات الكفر، والشك، والجهل إلى نور العلم، والإيمان، واليقين، والبصيرة، وتأمّل كيف عدَّدَ الظلماتِ وأفردَ النورَ، لأن الحقَّ واحدٌ، أما الجهلُ، فهو ظلماتٌ كثيرةٌ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فالباطل متشعّب، أما الحق فهو واحد لا يختلف، ولا يميل أبداً، فصراط الله واحد، وأما السبل فهي كثيرة؛ لأن كل واحد يدعي أنه على الحق.

وَأَقَرُّوا عَلَى نُفُوسِهِمْ بِمَا قَالُوهُ مُتَمَثِّلِينَ بِهِ أَوْ مُنْشِئِينَ لَهُ فِيمَا صَنَّفُوهُ مِنْ كُتُبِهِمْ؛ كَقَوْلِ بَعْضِ رُؤَسَائِهِمْ:[٣٢]

نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلَالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا[١]

---

(١) بعضهم صرح بالحيرة والاضطراب، وهذه شهادة عليهم، والقائل من رؤسائهم، وهو أبو بكر الرازي، صاحب التفسير، حيث رجع في آخر أيامه وتاب إلى الله ﷻ، كما يذكر في هذه الأبيات، أن العقول وقفت، وأوثقت عن الوصول إلى الحق، وأصبح أهلها مستوحشين؛ لأنهم ساروا في طريق مظلم، وتعبوا من طول البحث =

---

(٣٢) هو المتكلم محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي، ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وستمائة.

انظر: وفيات الأعيان (٤/٢٥٠)، والوافي بالوفيات (٤/١٧٥)، وسير أعلام النبلاء (٢١/٥٠٠، ٥٠١)، والبداية والنهاية (١٣/٥٥)، ومجموع الفتاوى (٤/٧٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٩٥)، ودرء التعارض (١/١٦٠)، ومنهاج السنة النبوية (٥/٢٧١).

لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الكَلامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلاً، وَلا تَرْوِي غَلِيلاً، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ القُرْآنِ، أَقْرَأُ فِي الإِثْبَاتِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠]، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طهَ: ١١٠]، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي. اهـ.[1]

=الذي لم يؤد إلى نتيجة. تجد كتب عقائد علماء الكلام من هذا النوع: قال فلان، وقال فلان، بينهم اختلاف مستمر، وليس في كتبهم آية أو حديث، إنّما هي جدليات، أما عقائد أهل السنة، فهي مبنية على قال الله، قال رسوله، قال السلف الصالح.

(١) وهذه شهادة لأهل السنة؛ فهو ما وجد أسلم، ولا أتقى من طريقتهم، ولا أصح من الاستدلال بالقرآن، يقرأ في إثبات الصفة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ويؤمن بها، ويقرأ في نفي المشابهة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فيثبت لله صفات الكمال التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله على حقيقتها، وينفي عن الله المشابهة التي ظنوا أن من أثبت الصفات يصير مشبهاً، فلا تنافي بين قوله: =

وَيَقُولُ الآخَرُ مِنْهُمْ[٣٣]: لَقَدْ خُضْتُ البَحْرَ الخِضَمَّ، وَتَرَكْتُ أَهْلَ الإِسْلامِ وَعُلُومَهُمْ، وَخُضْتُ فِي الَّذِي نَهَوْنِي عَنْهُ، وَالآنَ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ مِنْهُ فَالْوَيْلُ لِفُلانٍ، وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي. اهـ[١]

= ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ومن جرب ذلك، عرف الحق، وسلم من الباطل الذى وقعت فيه المعطلة للصفات.

(١) هذا الكلام لأبي المعالي الجويني، وهو من أئمتهم وأقطابهم. يقول: ذهبت مع علماء الكلام (**وتركت أهل الإسلام وعلومهم**)؛ لأنه ذهب مع علماء المنطق والفلاسفة، وضيّع عمره في علم الجدل، ولم يتفقه في الكتاب والسنة، مع أن السلف نهوا عن علم الكلام وعلم الجدل، وقالوا: إنه لا يؤدي إلى نتيجة، وإنما يؤدي إلى حيرة =

---

(٣٣) هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله، النيسابوري، الفقيه الشافعي المتكلم، أحد أئمة الأشاعرة ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة، وتوفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١٢/ ١٢٨)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧١)، والعبر (٣/ ٢٩٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٦٥).

وَيَقُولُ الآخَرُ مِنْهُمْ[٣٤]: أَكْثَرُ النَّاسِ شَكًّا عِنْدَ المَوْتِ أَصْحَابُ الكَلامِ.[١] ثُمَّ هَؤُلاءِ المُتَكَلِّمُونَ المُخَالِفُونَ لِلسَّلَفِ إِذَا حُقِّقَ عَلَيْهِمُ الأَمْرُ لَمْ يُوجَدْ عِنْدَهُمْ مِنْ حَقِيقَةِ العِلْمِ بِاللَّهِ وَخَالِصِ المَعْرِفَةِ بِهِ خَبَرٌ، وَلَمْ يَقِفُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى عَيْنٍ وَلا أَثَرٍ،[٢]

= واضطراب. هذا قاله الجويني عند الموت، وهذا رجوع منه، وإقرار منه بخطأ هذه الطرق.

(١) هذه شهادة من أحدهم أيضاً على بطلان طريقة علماء الكلام، فهم يشكون في عقيدتهم عند الموت؛ لأنهم لم يأخذوا شيئًا ينجون به عند الموت، وإنما هم حائرون إلى أن غرغرت أرواحهم، وهم في حيرة واضطراب، نسأل الله العافية.

(٢) ما زال الشيخ - رحمه الله - يبين الفروق بين مذهب السلف في الأسماء والصفات وبين مذهب الخلف، فإن السلف - رحمهم الله -

---

(٣٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وما زال أئمتهم يخبرون بعدم الأدلة والهدى في طريقهم؛ كما ذكرناه عن أبي حامد وغيره، حتى قال أبو حامد الغزالي: **أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام**» اهـ. انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨).

تلقوا علمهم عن كتاب الله ﷻ، وعن سنة رسول الله ﷺ، تلقوها عن هذين المصدرين العظيمين: الكتاب والسنة، وبالتتلمذ على صحابة رسول الله ﷺ، وعلى التابعين والقرون المفضلة.

وأما الخلف فليست عندهم هذه المزية؛ فإن أغلبهم تلقوا علمهم عن المتكلمين، والمتكلمون المراد بهم: الذين يبنون عقيدتهم على علم الجدل والمنطق، وفرق بين من أخذ عقيدته عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعن سلف هذه الأمة، ومن أخذها عن هؤلاء الذين ليس عندهم شيء من العلم بالله وبما يليق به.

فالخلف لا يعرفون الله حق معرفته؛ لأنهم لم يثبتوا له أسماء وصفات تليق به؛ كما جاء في الكتاب والسنة، وإنما بنوا معرفتهم بالله على علم الكلام، وعلى عقولهم التي لا تدرك حقيقة العلم بالله ﷻ.

كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلاءِ المَحْجُوبُونَ المَنْقُوصُونَ المَسْبُوقُونَ الحَيَارَى المُتَهَوِّكُونَ[١] أَعْلَمَ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَحْكَمَ فِي بَابِ آيَاتِهِ وَذَاتِهِ مِنَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ،[٢]

---

(١) من أين يدركون هذا العلم، وهم لا يستدلون بالقرآن ولا بالسنة، وإنما يستدلون بطرائقهم الخاصة التي ابتكرها لهم قادتهم وأئمتهم من الفلاسفة والجدليين، وهي جهل بالله ﷻ؟!

هذه صفات الخلف الذميمة: أنهم متأخرون في الزمان، ومتأخرون في العلم والإدراك، متحيرون في الطريق؛ لأن علومهم إنما زادتهم حيرة وتشكيكاً، ولم تزدهم هداية، فكيف يكون هؤلاء أعلم من السلف الذين تلقوا علمهم عن كتاب الله، وعن سنة رسول الله، وعن حملة الكتاب والسنة؟! إذا قارنت بين هؤلاء وهؤلاء، أدركت الفرق.

(٢) الصحابة ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: المهاجرون: وهم الذين تركوا بلادهم وأوطانهم، وفروا بدينهم، وهاجروا إلى رسول الله ﷺ، وسكنوا معه في المدينة، وجاهدوا معه.

القسم الثاني: الأنصار: وهم أهل المدينة من الأوس والخزرج الذين

فتحوا بلادهم وبيوتهم وأموالهم لإخوانهم المهاجرين، واستقبلوهم بالترحاب والمحبة والمواساة؛ كما ذكرهم الله ﷻ في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال في الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، ثم أثنى على الذين اتبعوهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ بعد المهاجرين والأنصار ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، أما الذي يتنقص المهاجرين والأنصار ويقول: ليس عندهم علم بأسماء الله وصفاته، وإنما العلم بذلك عند الخلف. فهذا لم يتبعهم بإحسان، ولم يترضّ عنهم ويستغفر لهم، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، اتبعوهم بإحسان: أحسنوا الاتباع من غير غلو ومن غير تفريط، لم يتشددوا، ولم يتساهلوا، بل اتبعوهم باعتدال ووسطية ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، هذا فضل عظيم

يوجب علينا اتباع السلف والاقتداء بهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا﴾، وهذا يشمل من جاء بعدهم إلى يوم القيامة.

كل من سار على هذا المنهج، واقتفى هذا الأثر، فإنه يدخل في ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾، ويدخل في ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾، فلا يجد للسلف إلا المحبة والتوقير والاحترام، والاستفادة من علمهم، ويعتقد أنهم خير القرون وأفضل القرون وأعلم القرون بالله ﷻ. إن كان المتأخرون قد علموا أمور الدنيا والاختراعات، فهذا لا يدلّ على فضلهم؛ لأن هذا ليس بعلم شرعي، هذه أمور دنيوية ومتاع قليل، إنما العلم والفخر والشرف في العلم الذي جاء به الرسول ﷺ؛ لأنه هو الذي ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة، أما هذا العلم - وإن كان فيه شيئ من النفع - فهو قد يضر الإنسان، ويحمله على الكبر والظلم والعدوان. ما الذي استفادته البشرية الآن من هذه المخترعات وهذه الأسلحة الفتاكة وهذه القنابل الذرية المدمرة؟ استفادت الخسار والدمار والخطر، حتى الذين اخترعوها يخافون منها غاية الخوف، تهددهم غاية التهديد، لكن العلوم الدنيوية إذا استعين بها على عمل الآخرة، صارت خيرا.

مِنْ وَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ وَخُلَفَاءِ الرُّسُلِ، وَأَعْلامِ الهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى،[(١)]

(١) كيف يكون الخلف أفضل من السلف الذين من أعظم صفاتهم، أنهم ورثة الأنبياء؛ كما قال ﷺ: «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»[(٣٥)] ؟! كفى به شرفاً أن العلماء هم ورثة الأنبياء في العلم: «وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لم يُوَرِّثُوا دِينَارًا ولا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»، العلم الشرعي الذي جاءت به الرسل هذا هو الفخر، وهذا هو الخير والرشاد في الدنيا والآخرة. أمّا الذي لم يأخذ العلم عن الرسل، وإنما أخذه عن الفلاسفة وعلماءالمنطق والمفكرين، فهذا لم يرث خيراً، وإنما ورث شراً وشكاً وتحيراً وتردداً .

والسلف (خلفاء الرسل) في نشر العلم والدعوة إلى الله، العالم خليفة للرسول ﷺ في نشر العلم، وتعليم العلم، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا هو خليفة الرسول، أما الذي يختزن العلم، ولا يقوم بواجبه، فهذا ليس من خلفاء الرسل، هذا حفظ ما هو حجّة عليه، وهو ممن يكتمون العلم ولا يقومون به، قال تعالى=

(٣٥) سبق تخريجه (ص١٥).

الَّذِينَ بِهِمْ قَامَ الكِتَابُ، وَبِهِ قَامُوا،[١] وَبِهِمْ نَطَقَ الكِتَابُ، وَبِهِ نَطَقُوا،[٢]

= ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩]، مع أنهم علماء، لما كتموا العلم لعنهم الله، ولعنهم اللاعنون.

(١) (قام بهم القرآن) أي: حملوه، وعملوا به؛ لأن القرآن لابد له من حملة يحملونه، ويقومون به؛ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ١٢١]، (حق تلاوته): ليس هو مثل ما يظن بعض الناس أنه: التجويد، ومخارج الحروف، والغنة، والإدغام، والمدود، ليس هذا حق تلاوته، إنما هذا كيفية تلاوته، وحق تلاوته: العلم بمعانيه، والعمل به، أما علم التجويد فهو وسيلة لجودة التلاوة، إذا لم يبالغ فيه، وليس غاية.

(٢) (نطق الكتاب) بفضلهم وذكرهم، (وبه نطقوا) لا يتكلّمون إلا بمادل عليه القرآن ، فما دل عليه القرآن تكلموا به، وما لم يدل عليه القرآن تركوه.

الَّذِينَ وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ العِلْمِ وَالْحِكْمَةِ مَا بَرَزُوا بِهِ عَلَى سَائِرِ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ، فَضْلاً عَنْ سَائِرِ الأُمَمِ الَّذِينَ لاَ كِتَابَ لَهُمْ، وَأَحَاطُوا مِنْ حَقَائِقِ المَعَارِفِ وَبَوَاطِنِ الحَقَائِقِ بِمَا لَوْ جُمِعَتْ حِكْمَةُ غَيْرِهِمْ إِلَيْهَا لاستَحْيَا مَنْ يَطْلُبُ المُقَابَلَةَ. ثُمَّ كَيْفَ يَكُونُ خَيْرُ قُرُونِ الأُمَّةِ أَنْقَصَ فِي العِلْمِ وَالْحِكْمَةِ - لاَ سِيَّمَا العِلْمُ بِاللَّهِ وَأَحْكَامِ آيَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ - مِنْ هَؤُلاءِ الأَصَاغِرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ؟ (١)

---

(١) (الذين وهبهم الله العلم والحكمة) العلم وهو: المعرفة بفقه الكتاب والسنة، والحكمة: وضعه في موضعه، بحيث إنهم يتصرفون في هذا العلم الذي معهم تصرفاً حكيماً، ويضعونه في مواضعه اللائقة به؛ لأن الحكمة: وضع الشيء في موضعه، والحكمة أيضاً: إتقان الشيء وإحكامه، وهذه صفة العلماء الراسخين في العلم.

هذه الأمة بعلمائها هي أفضل الأمم، امتازت على سائر الأمم بهذه الميزة العظيمة: القرآن والسنة، والعلماء الربانيون الذين لا يوجد في الأمم السابقة مثلهم.

أما الأمم التي لا كتاب لها، كالوثنيين والملحدين، فهؤلاء لا قيمة لهم في البشرية، وأما أهل الكتاب فحرفوا كتابهم.

ولو قُوبل علم هذه الأمة بعلم غيرها من الأمم، لوُجِد الفرق العظيم

بين علم هذه الأمة وعلم الأمم السابقة ؛ لأن هذا القرآن جعله الله ﷻ حاكماً على الكتب السابقة ومهيمناً عليها. فهو أعظمها وأفضلها وأوسعها وأبقاها إلى يوم القيامة، والكتب السابقة اندرست وحُرِّفت وغُيِّرت إلا هذا القرآن، فإنه محفوظ من العبث والتغيير، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، حفظه الله؛ لم يُغيَّر، ولم يُبَدَّل إلى أن تقوم الساعة، وهو غض طري كما أُنزل على محمد ﷺ، ولا يتجرأ أحد على أن يُغير فيه ولا حرفاً واحداً، والحمد لله. هذا من حفظ الله له، وهذا من آيات الله ﷻ، وهذا يدل على فضل هذا الرسول وفضل هذه الأمة المحمدية.

كيف يكون علماء السلف بما فيهم القرون المفضلة أنقص علماً من الخلف؛ كما يقوله أهل الضلال الذين يتنقصون السلف؟

أَمْ كَيْفَ يَكُونُ أَفْرَاخُ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَأَتْبَاعُ الْهِنْدِ وَالْيُونَانِ، وَوَرَثَةُ الْمَجُوسِ وَالْمُشْرِكِينَ، [(١)] وضُلاَّلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ وَأَشْكَالُهُمْ وَأَشْبَاهُهُمْ، أَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْ وَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ الْقُرْآنِ وَالإِيمَانِ؟! [(٢)]

---

(١) الأفراخ: جمع فرخ، وهم تلاميذ الفلاسفة الذين يدَّعون الحكمة والمعرفة، دون أن يرجعوا إلى الوحي ولا إلى أتباع الرسل، وإنما يزعمون أنهم أفضل من الرسل وأعرف من الرسل. وأغلبهم في اليونان (الدولة القديمة). والذين تتلمذوا عليهم هم أفراخهم، مثل أفراخ الطيور، حيث تتلمذوا عليهم في أوكارهم وفي مدارسهم، وورثوا عنهم الجهل، والأفكار الخبيثة المنحرفة، واستغنوا بذلك عن اتباع الرسل - والعياذ بالله..

والفلاسفة يكونون من اليونان، ويكونون من الهند، فالهند دولة قديمة فيها فلاسفة. والمجوس عباد النيران، والمشركون الذين يعبدون الأصنام، وليس لهم كتاب، ولا يؤمنون بالكتب ولا بالرسل.

(٢) وأما اليهود والنصارى فهم أهل كتاب، وهم على قسمين:

القسم الأول: قسم آمنوا بالله ورسله، واستقاموا على طاعة الله، منهم من مات قبل بعثة الرسول محمد ﷺ وهو مستقيم ومؤمن بالأنبياء.

ومنهم من أدرك النبي ﷺ، وآمن، فحاز على الأجرين: أجر اتباع الرسل السابقين، وأجر اتباع محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] هذه في النصارى واليهود، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨] ﴿لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[آل عمران: ١١٣] ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ﴾ [آل عمران: ١٩٩] هؤلاء هم المؤمنون من أهل الكتاب.

القسم الثاني: الذين كفروا بالرسل من أهل الكتاب، وغيروا التوراة والإنجيل، وحرفوا، وبدلوا، وهذا غالب أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

و**(الصَّابِئُون)** قيل: إنهم جماعة من النصارى، وقيل: إنهم هم الذين لا دين لهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ [الحج: ١٧]، هذه هي الديانات الست ، منهم الصابئون: و الصابئ في الأصل هو الذي يخرج عن الدين، يُقال صبأ إذا خرج عن دينه، فالصابئون هم الذين خرجوا عن ديانة الرسل، وقيل: إن الصابئين على قسمين: =

وَإِنَّمَا قَدَّمْتُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ ؛ لأَنَّ مَن اسْتَقَرَّتْ هَـذِهِ الْمُقَدِّمَـةُ عِنْدَهُ عَلِمَ طَرِيقَ الْهُدَى أَيْنَ هُوَ فِي هَذَا البَابِ وَغَيْرِهِ ،(١)

=صابئون موحدون، وصابئون كفار، وهذا هو الظاهر ؛ فهناك من الصابئين أهل إيمان، وهم طائفة من أهل الكتاب . فكيف تكون هذه الطوائف أعلم بالله وبكتابه وبسنة رسوله من سلف الأمة؟.

(١) أصل هذا الكتاب جواب عن سؤال، سأله بقوله : ما يقول العلماء في أسماء الله وصفاته؟ فهو قبل أن يجيب السائل قدم هذه المقدمة، المسماة بمقدمة الحموية، وهي مقدمة عظيمة كان طلبة العلم يهتمون بها ويحفظونها ؛ لما فيها من القواعد الواضحة التي ينتفع بها طالب العلم، ويميز بين علم السلف وعلم الخلف. إن طريق الهدى هو ما كان عليه سلف هذه الأمة، وإن طريق الضلال هو ما كان عليه غالب الخلف.

وَعَلِمَ أَنَّ الضَّلالَ والتَّهَوُّكَ إِنَّمَا اسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ بِنَبْذِهِمْ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَمَّا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ البَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، وَتَرْكِهِم البَحْثَ عَنْ طَرِيقِ السَّابِقِينَ وَالتَّابِعِينَ، وَالْتِمَاسِهِمْ عِلْمَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ بِإِقْرَارِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلِشَهَادَةِ الأُمَّةِ عَلَى ذَلِكَ، وَبِدَلَالَاتٍ كَثِيرَةٍ،[1] وَلَيْسَ غَرَضِي وَاحِدًا مُعَيَّنًا، وَإِنَّمَا أَصِفُ نَوْعَ هَؤُلَاءِ، وَنَوْعَ هَؤُلَاءِ.[2]

---

(١) السبب الذي أوقع المتأخرين في الضلال أنهم نبذوا كتاب الله، فلا يستدلون به، وإنما يستدلون بقواعد المنطق وعلم الكلام، وغير ذلك من الاصطلاحات التي اصطلحوها: كالجسم، والجوهر، والعرض والتركيب، وغير ذلك من قواعدهم التي يطنطنون بها، هذا ديدنهم، أما من أخذ عقيدته من الكتاب والسنة وعن مذهب السلف، فهذا هو الذي يسير على الطريق الصحيح.

(١) يقول أنا لا أقصد واحداً معيناً، وإنما أقصد المجموعة، وهكذا طالب العلم حينما يرد على الخصوم لا يذكر أسماء معينين، وإنما يذكر المذهب والخطأ، ويرد عليه: من قال كذا وكذا، الذي قال كذا وكذا، ولا يقول: فلان. و النبي ﷺ ما كان يُعيِّن حينما ينتقد، بل يقول: =

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ: فَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ عَامَّةُ كَلامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، ثُمَّ كَلامُ سَائِرِ الأُمَّةِ مَمْلُوءٌ بِمَا هُوَ إِمَّا نَصٌّ وَإِمَّا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ العَلِيُّ(١)

= «ما بَالُ أَقْوَامٍ قالوا كَذَا وَكَذَا؟»(٣٦)، ولا يقول: ما بال فلان ابن فلان يعمل كذا وكذا؟ هذه طريقة الرسول ﷺ: يبين النوع، ولا يبين العين والأشخاص، إلا إذا كان الشخص الضال قد اغتر به الناس، وانخدعوا به، فلابد أن يُعيَّن، ويقال: فلان؛ لأجل أن يعرفه الناس. وعلماء الحديث يذكرون الأشخاص، ويقولون: فلان سيئ الحفظ، فلان كذاب، فلان وضاع، فلان مبتدع؛ لئلا يغتر الناس به.

فالتعيين إذا اقتضى الأمر والضرورة تعينه، فإنه يُعيّن، أما إذا لم يقتض فالأحسن ألا يُذكر الأشخاص.

(١) القرآن مملوء بما هو نص أو ظاهر في أسماء الله وصفاته.

والنص: هو الذي لا يحتمل غير معنى واحدٍ.

وأما الظاهر: فهو الذي يحتمل معنيين أحدهما أظهر من الآخر، فيُبقى

---

(٣٦) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

على الظاهر، حتى يرد ما يدل على خلافه.

والنص: يؤخذ به، ولا مجال للعدول عنه.

أما الظاهر: فيُبقى على ظاهره إلا إذا دل دليل على صرفه عن ظاهره إلى المعنى الآخر، فيؤخذ بما دل عليه الدليل.

القرآن مملوء بأن الله هو العلي الأعلى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وصف نفسه بأنه علي، ووصف نفسه بأنه الأعلى، وهو فوق مخلوقاته ﷻ: فوقهم بذاته، وفوقهم بقدره، وفوقهم بقهره، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، فالعلو له ثلاثة معانٍ: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

أهل الحق يثبتون المعاني الثلاثة كلها لله: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

أهل الضلال ينفون علو الذات، ويثبتون علو القدر وعلو القهر.

فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلِيٌّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، (١) وَأَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، (٢)

---

(١) (وهو فوق كل شيء) كما قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨] وصف نفسه بأنه فوق عباده، والفوقية معناها: فوقية الذات، فهو بذاته سبحانه فوق عباده: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١]. ، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته؛ ولهذا قال السلف[٣٧]: (بائن من خلقه.)

بائن يعني: منفصل، ليس في ذاته شيء من خلقه، ولا في خلقه شيء من ذاته ﷻ. وهذا رد على الحلولية الذين يقولون: إن الله حالٌ في كل مكان، تعالى الله عما يقولون .

(٢) العرش هو سقف المخلوقات، وهو أعلى المخلوقات، وأعظم المخلوقات، والله ﷻ فوق العرش فوقية تليق بجلاله، ليست كفوقية المخلوق على المخلوق؛ فلا يُقال: إنه محتاج للعرش، بل الله فوق العرش وليس محتاجاً إليه، بل العرش هو المحتاج إلى الله ﷻ=

---

(٣٧) انظر: شرح النونية لابن عيسى (١/ ٤٤٩)، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص٣٠٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص٢٤٠).

وَأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ، [(١)] مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠) [(٢)] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ٥٥]، [(٣)]

= ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١]، فالسماوات والأرض والعرش والمخلوقات كلها محتاجة إلى الله ﷻ، وأما الله فهو غني عنها، فليس معنى أنه على العرش أو ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أنه محتاج إليه، بل العرش هو المحتاج إلى الله؛ لأنه مخلوق، والله هو الذي يمسك العرش، ويمسك السماوات، ويمسك الأرض.

(١) (السماء) لفظ يطلق، و يُراد به معنيان:

يطلق، ويراد به العلو، فيُقال: الله في السماء، يعني: في العلو.

ويطلق ويراد به السماوات المبنية، فالله فوق السماوات الطباق المخلوقة.

(٢) هذا من أدلة علوه ﷻ؛ لأن الصعود إليه معناه الارتفاع إليه، فدل على علوه على خلقه. وقوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ معناه: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب؛ لأن القول لا ينفع إذا لم يكن معه عمل صالح.

(٣) قوله سبحانه للمسيح عليه السلام لما مكر به اليهود وأرادوا أن يقتلوه،

قال الله ﷻ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران: ٥٥]، فالله رفعه من بينهم، ولم يشعروا به، كما أن الله أخرج محمداً ﷺ من بين المشركين لما أراد الهجرة، وهم ينتظرون خروجه ليقتلوه، فخرج من بينهم، ولم يشعروا به ﷺ، وذهب هو وأبو بكر إلى غار ثور، واختفيا فيه؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، كما أن الله ﷻ أخرج المسيح عليه السلام من بين اليهود، ولم يشعروا به، ورفعه إليه ﷻ حيًا.

وقوله: (متوفيك) المراد بالتوفي هنا: وفاة النوم؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، فالنوم وفاة صغرى، فالذي أصاب المسيح عليه السلام هو وفاة النوم، وليس وفاة مفارقة الروح للبدن؛ لأنه عليه السلام رُفع حياً إلى السماء، وينزل في آخر الزمان؛ كما تواترت بذلك الأحاديث، وكما في القرآن: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، أي: قبل موت المسيح عليه السلام حينما ينزل في آخر الزمان.

الشاهد: قوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، والرفع إنما يكون إلى أعلى، فدل ذلك على علو الله تعالى على خلقه.

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [الْمَلِكُ: ١٦ ـ ١٧][1] ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النِّسَاءُ: ١٥٨] . ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [الْمَعَارِجُ: ٤][2]

---

(١) السماء لها معنيان:

المعنى الأول: السماء بمعنى: العلو، فتكون (في) على بابها ظرفية، و(في السماء) أي: في العلو.

المعنى الثاني: المراد بالسماء: السماء المبنية، فتكون (في) بمعنى: على، أي: على السماء، يعني: فوق السماوات، كما قال تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١]، يعني: على جذوع النخل، وكما في قوله تعالى: ﴿ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، يعني على الأرض.

(٢) ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ العروج معناه: الصعود، والملائكة تنزل إلى الأرض، وتصعد إلى الله ﷻ بأوامر الله، تنزل إلى الأرض بأمر الله؛ كما قال الله عنهم: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم: ٦٤]،

والشاهد من الآية: أن فيها دليلاً على أن الله في العلو ﷻ؛ لعروج الملائكة أي: صعودها إليه .

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السَّجْدَةُ : ٥]، (١) ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النَّحْلُ : ٥٠]، (٢) ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ[٣٨]، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥](٣)

---

(١) ﴿ يُدَبِّرُ ﴾ الله ﷻ ﴿ ٱلْأَمْرَ ﴾ من أوامره الكونية والشرعية ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي : ينزل الأمر إلى الأرض من الله في السماء، ثم يصعد إليه، وفي هذا دليل على أنه ﷻ في السماء ؛ لأن النزول يكون من أعلى.

(٢) لما ذكر سجود المخلوقات له قال : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ هذا فيه إثبات الفوقية لله ﷻ.

(٣) في ستة مواضع من القرآن كلها بلفظ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] يعني : ارتفع عليه ﷻ، وعلا عليه، وصعد عليه . والاستواء صفة من صفات الأفعال، أما العلو فهو صفة ذات، فهنا فرق بين العلو والاستواء :

العلو: صفة ذات ملازمة لله عز وجل.

---

(٣٨) هي : الأعراف : ٥٤، يونس : ٣، الرَّعْدُ : ٢، الْفُرْقَانُ : ٥٩، السَّجْدَةُ : ٤، الْحَدِيدُ : ٤.

وأما الاستواء: فهو صفة فعل يفعله إذا شاء؛ ولهذا قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] رتبه بـ (ثم) التي هي للتراخي، فالاستواء صفة فعل يفعلها ﷻ متى شاء، أما العلو فهو صفة ذات لازمة لله ﷻ، لا يكون ﷻ إلا في العلو.

هذه المواضع السبعة هي: الأعراف، ويونس، والرعد، وفي طه، وفي الفرقان، وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد، أثبت الله فيها استواءه على العرش، وأهل الضلال يقولون: (استوى) يعني: استولى على العرش، زادوا حرف (اللام)، مثلما زاد اليهود حرف (النون) في قولهم: (حنطة) بدل (حطة) في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، أي: حط عنا ذنوبنا، قيل لهم: قولوا: حطة، ولكنهم حرفوا، وقالوا: حنطة، قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩].

فالأشاعرة [٣٩] في زيادة اللام في (استوى) مثل اليهود زادوا، في التوراة حرفاً في (حطة)، هذا من ناحية.

الناحية الثانية: أنه لو كان المراد بالاستواء الاستيلاء على العرش،

---

(٣٩) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، توفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. انظر: تاريخ بغداد (١١/٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٨٥).

لم يكن للعرش ميزة، فالله مستولٍ على كل شيء من المخلوقات، فلماذا خص العرش؟

ثالثاً: الاستيلاء على الشيء يدل على أنه من قبل ليس في يده، وإنما هو في يد غيره، كما يقال: استولى الملك على البلد الفلاني. يعني: أنه من قبل ليس في ملكه، ولما تغلب على غيره فيه استولى عليه.

وقد أبطل شيخ الإسلام هذا التفسير من عشرين وجهاً في رسالة مستقلة[٤٠].

---

(٤٠) راجع (ص ٢٨).

﴿ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧](١) ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢](١) ﴿ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١١٤]،(٢) إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يَكَادُ يُحْصَى إلا بِكُلْفَةٍ.(٣)

---

(١) هذا في سياق قصة تجبر فرعون ومكابرته، وأنه قال لهامان وزيره ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦] يعني: بناء مرتفعاً؛ ليصعد عليه، ويبحث عن الله، فدل على أن موسى أخبر فرعون أن الله في السماء، وأراد فرعون أن يكذبه، ويتظاهر أمام الناس بتكذيب موسى، وأنه سيصعد على الصرح، ويبحث عن الله، فهو أراد أن يموه على الناس، وأن يُظهر كذب موسى عليه السلام بزعمه.

(١) والنزول لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل، فدل ذلك على علو الله؛ لأن القرآن نزل منه.

(٢) مثل: ﴿تَنزِيلٌ﴾، ﴿مُنَزَّلٌ﴾، ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، كلها تدل على علو الله.

(٣) إلى أمثال هذه الآيات التي تدل على علو الله عز وجل على مخلوقاته واستوائه على عرشه، مما لا يُحصى في القرآن إلا بكلفة؛ =

وَفِي الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ مَا لاَ يُحْصَى ، [١]

=ولهذا ذكروا أن أدلة العلو بلغت الألف[٤١].

(١) لما ذكر الأدلة من القرآن بيّن - رحمه الله - أن في السنة كذلك أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ، ويحتج بها على صفات الله تبارك وتعالى ؛ لأن الحديث الحسن من قسم الصحيح ؛ لأن السنة وحي من الله عز وجل، وليست من ابتداع الرسول ﷺ، بمعنى: أن الرسول هو الذي اخترعها أو قالها من عنده، وإنما هي وحي من الله عز وجل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣، ٤]. وقد أخبر الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة وصف ربه بالعلو والاستواء، كما يأتي.

والسنة النبوية هي الوحي الثاني بعد القرآن ؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ النساء: ٨٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور: ٥٤]، إلى غير ذلك. فسنة الرسول ﷺ حجة قاطعة، وهي الوحي الثاني بعد القرآن الكريم، وهي تُفسر القرآن، وتوضحه، وتدل عليه وتبيّنه ؛ =

---

(٤١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢١/٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية ص (٣٣١).

مِثْلُ قِصَّةِ مِعْرَاجِ(١) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَبِّهِ(٤٢)،

= فهي بيان من الرسول ﷺ للقرآن ؛ لأن الله وكل إلى نبيه بيان هذا القرآن: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقد بيَّن ﷺ غاية البيان، وعلى رأس ذلك العقيدة، فإنه ﷺ بيَّنها غاية البيان، ووضحها غاية الإيضاح، وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها.

(١) من ذلك قصة المعراج، والمعراج: مفعال مأخوذ من العروج، وهو الصعود إلى أعلى، فإن النبي ﷺ عُرج به من بيت المقدس إلى السماء مع جبريل عليه السلام، وجاوز السبع الطباق، وانتهى إلى مكان خاطب فيه الرب تعالى، وكلمه ربه، وهذا مذكور في أول سورة النجم: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٢ ـ ١٨]، فالمعراج ذكر في أول سورة النجم، أما الإسراء: وهو نقله ﷺ من المسجد الحرام ليلاً إلى المسجد الأقصى، =

---

(٤٢) أخرجها : البخاري في مواضع منها (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس عن أبي ذر رضي الله عنهما، وأحيانا يرويه عن مالك بن صعصعه رضي الله عنه.

وَنُزُولِ المَلائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَصُعُودِهَا إِلَيْهِ(٤٣)، وَقَوْلِ المَلائِكَةِ الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، (١) فَيَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ إِلَى رَبِّهِمْ فَيَسْأَلُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ(٤٤).

= فهذا مذكور في أول سورة الإسراء؛ قال ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

والشاهد من هذه القصة: ذكر العروج؛ لأن العروج لا يكون إلا إلى أعلى، فدل على أن الله ﷻ في العلو، وأن الرسول ﷺ عُرج به إليه.

(١) من السنة الدالة على العلو الأحاديث التي فيها ذكر نزول الملائكة =

---

(٤٣) أخرج البخاري (٦٤٠٨) من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فإذا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ قال فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قال فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وهو أَعْلَمُ منهم ما يقول عِبَادِي؟»، وفي رواية مسلم (٢٦٨٩): «فإذا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إلى السَّمَاءِ قال فَيَسْأَلُهُمْ الله عز وجل وهو أَعْلَمُ بِهِمْ من أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا من عِنْدِ عِبَادٍ لك في الأرض...» الحديث، وفيه دليل على نزول الملائكة وصعودها.

(٤٤) أخرجه البخاري (٥٥٥)، (٣٢٢٣)، (٧٤٢٩)، (٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الخَوَارِجِ(١): «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»(٤٥).

= من عند الله ﷻ، وصعودهم إليه، مثل: الملائكة الحفظة الذين ينزلون كل يوم، منهم من ينزل الفجر، ويستمر معنا إلى صلاة العصر، ومنهم من ينزل العصر، ويستمر معنا إلى الفجر: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ» يحصون أعمال بني آدم، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١٢]

(١) الخوارج: طائفة خرجت على المسلمين، ومذهبهم أنهم لا يرون السمع والطاعة لولي الأمر، ويُكفّرون المسلمين بالكبائر التي دون الشرك، ويستحلون دماءهم وأموالهم.

وهي طائفة قبيحة أمر النبي ﷺ بقتلها أينما وجدت، وقد خرجت بذرتهم في عهد النبي ﷺ؛ فقد جاءه رجل، والنبي ﷺ يقسم الغنائم، وقال له: يا محمد اعدل، فإنك لم تعدل. قال ﷺ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ» ثم قال ﷺ: «ألا تَأْمَنُونِي وأنا أَمِينُ من في السَّمَاءِ»(٤٦)،

---

(٤٥) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد ﷺ.

(٤٦) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٣) من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ.

أي: الله ﷻ ائتمنه على الوحي، فكيف لا يأتمنه الخلق على قسم الغنائم، وهو الأمين ﷺ، أمنه الله على وحيه، وأمنه على رسالته، فهو الأمين ﷺ. فهذا مذهب الخوارج: أنهم يطعنون حتى في النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ لما ذهب الرجل: «إنه يَخْرُجُ من ضِئْضِئِ هذا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ، وَأَظُنُّهُ قال لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»(٤٧)؛ لأنهم طائفة تشق عصا الطاعة، وتفرق جمع المسلمين، وتُكفر المسلمين، وتستحل دماءهم، كما وصفهم ﷺ بأنهم يقاتلون أهل الإيمان، ويدعون أهل الأوثان.

فالخوارج على طول عهدهم وامتداد تاريخهم ما قاتلوا الكفار أبداً، وإنما يقاتلون المسلمين، كما حصل في عهد علي بن أبي طالب ﷺ ومن جاء بعده، فإنهم يقاتلون المسلمين على امتداد التاريخ، ولايقاتلون الكفار مع المسلمين، هذه صفتهم: أنهم يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم، يشقون عصا الطاعة، ويعصون قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾ [النساء: ٥٩]، وأنهم يستحلون دماء المسلمين، يُكفرون بالذنوب التي

---

(٤٧) أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٤٦٦٧، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ.

دون الشرك: كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، يُكفرون بهذه الذنوب، من فعلها عندهم فهو كافر - نسأل الله العافية - وهذا نتيجة للجهل؛ لأنهم عندهم عبادة وحماس، لكن ليس عندهم علم، والجهل آفة، والعبادة إذا لم تكن على علم، فهي ضلال، والاجتهاد إذا لم يكن على فقه، فهو ضلال، لابد من العلم، ولابد من الفقه ؛ ولهذا يقول ابن القيم فيهم(٤٨):

وَلَهُم نُصُوصٌ قَصَّرُوا فِي فَهمِهَا فأتُوا مِنَ التقصيرِ فِي العِرفَانِ

يأخذون المتشابه، ويتركون المحكم، يستدلون بآيات وأحاديث متشابهة، ولا يردونها إلى الآيات والأحاديث التي تفسرها وتبينها، لا يردون المتشابه إلى المحكم؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، والواجب رد المتشابه إلى المحكم وتفسير النصوص بعضها ببعض، حمل المطلق على المقيد والعام على الخاص، والعمل بالناسخ وترك المنسوخ، وهكذا، كلام الله يُفسر بعضه بعضاً، وكلام الرسول ﷺ يفسر بعضه بعضاً، أما من أخذ بالمتشابه، وترك المحكم، فهذا زائغ، كالخوارج - نسأل الله العافية -. الشاهد من قوله: (ألا تَأْمَنُونِي، وأنا أَمِينُ من في السَّمَاءِ) الذي في السماء هو الله ﷻ، فوصف الله بأنه في السماء، =

---

(٤٨) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٦٢/٢).

وَفِي حَدِيثِ الرُّقْيَةِ[(١)] الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ». قَالَ ﷺ: «إِذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْكُمْ، أَو اشْتَكَى أَخٌ لَهُ، فَلْيَقُلْ رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ» وَذَكَرَهُ.[(٤٩)]

=يعني: في العلو، هذا الشاهد من الحديث، وقوله: (يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ) يعني: الخبر الذي ينزل من الله في السماء، يعني: الله ﷻ.

(١) الرقية هي: القراءة على المريض بشيء من القرآن أو من الأدعية الشرعية، وهي سبب للشفاء بإذن الله، وقد رقى النبي ﷺ ورُقي، رقته الملائكة.

فالرقية شرعية إذا كانت من الكتاب والسنة، وهي سبب من أسباب الشفاء بإذن الله. ومن جملة ما رقى به النبي ﷺ هذا الحديث: (رَبُّنَا اللَّهُ

---

(٤٩) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٥٧).

الَّذِي فِي السَّمَاءِ)، هذا محل الشاهد من الحديث ؛ حيث وصف ربه بأنه في السماء.

(أمرك في السماء والأرض) أما أمر الله ﷻ، وعلمه فهو في السماء والأرض .

(اغفر لنا حوبنا) الحوب : هو الذنب.

(أنزِل) : هذا دليل على علو الله ؛ لأن النزول لا يكون إلا من أعلى .

فالحديث فيه إثبات أن الله في السماء، وأنه هو الذي يُنزل الشفاء .

كما قال ﷺ : **«ما أَنْزَلَ الله دَاءً الا قد أَنْزَلَ له شِفَاءً عَلِمَهُ من عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ من جَهِلَهُ »**[٥٠].

---

(٥٠) أخرجه البخاري (٥٦٧٨) عن أبي هريرة ﷺ بدون عجزه ، وأخرجه بهذا اللفظ أحمد (١/ ٣٧٧) و ابن حبان في صحيحه (٦٠٦٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢١٨).

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الأَوْعَالِ(١) : « وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا(٥١).

---

(١) حديث الأوعال ذكره الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في آخر كتاب التوحيد ، =

---

(٥١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد في المسند (١/٢٠٦)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/٧٦، ٧٧)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٥٥، ٥٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٣٥)، والبزار في مسنده (٤/١٣٥)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٠)، والآجري في الشريعة (ص٢٩٢)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/١٠٥٠، ١٠٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/٣١٦، ٤١٠، ٤٤٧) من حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ.
قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في المناظرة حول الواسطية رداً على من طعن فيه : «قد أخرجه إمام الأئمة ابن خزيمة فى كتاب التوحيد الذى اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولاً إلى النبي ﷺ، والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه - أي عبد الله بن عميره - من الأحنف، ولم ينف معرفة الناس بهذا، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد كانت معرفته وإثباته مقدماً على نفى غيره وعدم معرفته» اهـ. انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٩٢).

وَهَذَا الحَدِيثُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ كَأَبِي دَاوُدَ، وَابْنِ مَاجَهْ، وَالتِّرْمِذِيِّ، وَغَيْرِهِمْ، فَهُوَ مَرْوِيٌّ مِنْ طَرِيقَيْنِ مَشْهُورَيْنِ، فَالْقَدْحُ فِيَ أَحَدِهِمَا لاَ يَقْدَحُ فِي الآخَرِ، وَقَدْ رَوَاهُ إِمَامُ الأَئِمَّةِ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ[٥٢] الَّذِي اشْتَرَطَ فِيهِ أَنَّهُ لاَ يَحْتَجُّ فِيهِ إِلا بِمَا نَقَلَهُ العَدْلُ عَنِ العَدْلِ، مَوْصُولاً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

=وهو حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر خلق السماوات والأرض وما بينها من المسافات العظيمة، وأن السماوات السبع بعضها فوق بعض، وأن فوق السماء بحر، وأن فوق البحر الكرسي، وقد وسع السماوات والأرض، وأن فوق الكرسي العرش، وقد وسع المخلوقات كلها، فهو أعظم المخلوقات، وأن الله فوق العرش، **هذا محل الشاهد من الحديث**: أن فيه إثبات أن الله فوق العرش وفوق المخلوقات، وبذلك يثبت العلو لله عز وجل.

---

(٥٢) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٣٥).

وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ لِلْجَارِيَةِ(١) «أَيْنَ اللَّهُ"؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(٥٣).

---

(١) معاوية بن الحكم السُلَمي لطم جارية له، يعني: ضربها غضباً عليها، ثم ندم على ضربها، وأراد أن يُكفر عن فعله، فأراد إعتاقها، وجاء إلى النبي ﷺ يستفتي في إعتاقها، والنبي ﷺ اختبرها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» لما قالت: (اللهُ فِي السَّمَاءِ)؛ وصفها النبي ﷺ بالإيمان، فدل هذا على فوائد عظيمة:

أولاً: فيه أنه يجوز السؤال بقول: أين الله؛ لأن النبي ﷺ قال أين الله، يعني: في أي جهة؟ فهذا أمر جائز، يُعلم به الجاهل.

ثانياً: فيه أن من وصف الله بالعلو، فهو مؤمن، من لم يثبت العلو لله ﷻ فوق السماوات، فهو كافر. ولا أشد على المعطلة من هذا الحديث «أَيْنَ اللَّهُ"؟»، يقولون: لا يجوز أن تقول أين الله؟ لأن الله في كل مكان عندهم، أو ليس له مكان لا داخل ولا خارج ولا يمنة ولا يسرة ولا .. =

---

(٥٣) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ.

قَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ مَوْضُوعٍ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ[1]، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[54].

=ولا .. إلى آخره، فيلزم أن يكون معدوماً عندهم.

(١) دلّ على أن الله فوق العرش ﷻ، والعرش هو أعلى المخلوقات، ليس فوقه شيء من المخلوقات، والله ﷻ فوق العرش فوقية تليق بجلاله ﷻ، ليس معناه أنه محتاج إلى العرش، أو أن العرش يحمله، بل هو الذي يحمل العرش بقدرته، ويمسكه بقدرته ﷻ.

وفيه: وصف الله بأنه يكتب ﷻ.

وفيه: أن بعض المخلوقات عنده ﷻ عندية مكان، وعندية شرف؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

---

(٥٤) هذا الحديث ورد بألفاظ متقاربة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٣١٩٤، ٧٤٠٤، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣)، ومسلم (٢٧٥١).

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ قَبْضِ الرُّوحِ[1] : «حَتَّى يَعْرُجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ»[55]. إِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحَيْنِ.

---

(١) الميت حين تُقبض روحه يُصعد بها إلى السماء، فإن كانت روح مؤمن، أُذن لها، وفُتحت لها السماوات، وانتهت إلى الله ﷻ، فيقول الله ﷻ: « **أَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي منها خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً اخرى** »[56]

وأما الكافر فإنه لا تُفتح له السماوات، بل تُغلق دونه أبواب السماء ـ والعياذ بالله ـ؛ قال تعالى: ﴿ **لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ** ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فتُطرح روحه إلى الأرض طرحاً بشدة، ويلقى من الهوان والذلة، وتذهب روحه إلى سجين؛ حيث يقول سبحانه: «**اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سِجِّينٍ**»، وهي أسفل سافلين ـ والعياذ بالله ـ.=

---

(٥٥) أخرجه بنحوه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وأحمد في المسند (٢/٣٦٤)، وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ..»

(٥٦) جزء من حديث البراء بن عازب ﷺ الطويل وأخرجه بهذا اللفظ الأمام أحمد في المسند (٤/٢٨٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٣/٥٤) ١٢٠٥٩ والحاكم في المستدرك (١/٩٣).

وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ﷺ الَّذِي أَنْشَدَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَقَرَّهُ عَلَيْهِ:[(١)]

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ   وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَ
وَأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ   وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا[(٥٧)]

=فالشاهد من الحديث: أن الروح يُصعد بها إلى الله، فدل على علو الله، وأن الله في السماء.

(١) من أقوال الصحابة في إثبات العلو لله قول عبد الله بن رواحة

---

(٥٧) قصة عبد الله بن رواحة ﷺ لما وقع على أَمَته، وأنكرت عليه زوجته، فقالت: إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن، فَعَرَّضَ عليها وذكر أبياتاً، فقالت: آمنت بالله وكذبت بصري. رواها الدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٦)، والدارقطني في السنن (١/١٢٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨/١١٢، ١١٣) بأسانيد فيها مقال، وقد قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٢٩٦): «رويناها من وجوه صحاح» اهـ. وتعقبه الذهبي في العلو (ص٤٩) بقوله: «روى من وجوه مرسلة» اهـ. وفي سنن الدارقطني أنه قرأ أبياتاً غير ما ذكر المؤلف فقال فيها:

أَتَانَا رسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَه   كَمَا لاح مَشهورٌ مِن الْفَجْرِ سَاطِع
أَتَى بِالْهُدى بعْدَ العمَى فقُلُوبنَا   بِه موقِنَات أَنَّ مَا قَالَ وَاقِع
يبيت يُجَافي جنْبه عَن فِراشِه   إِذَا استثْقلَتْ بِالْمُشْركِينَ المضَاجِع

والله أعلم.

الأنصاري ﷺ، وكان شاعراً فصيحاً من شعراء النبي ﷺ دافع عن الإسلام بشعره، ورد على المشركين بشعره، فهو مثل حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير ﷺ، هؤلاء الشعراء دافعوا عن دعوة الرسول ﷺ، وردوا على المشركين.

وقصته أن له مملوكة تسرى بها، فغضبت امرأته، وأخذتها غيرة النساء، فهو ﷺ ورى لها تورية، فصدقته فيها ؛ حيث أتى بهذه الأبيات، فظنت أن هذا من القرآن ؛ لأنه لما جاءت إليه أنكر أنه فعل شيئاً، قالت: إن الذي يكون عليه جنابة لا يقرأ القرآن، فاقرأ القرآن. فأتى بهذه الأبيات ؛ ليوهمها أنها من القرآن، فصدقته، وهي تورية(٥٨)، والتورية للإنسان أن يفعلها إذا لم يكن ظالماً، فصدقته بذلك، فقالت: آمنت بالله، وكذبت بصري، وذكر ذلك للنبي ﷺ، فأقره على ذلك.

الشاهد منه: (وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا) حيث أقره النبي ﷺ على هذه الكلمة: أن العرش فوق الماء، وأن الله فوق العرش .

---

(٥٨) قال في مختار الصحاح ص (٢٩٩) : وَرَّى الخبر تَوْرِيةً أي ستره وأظهره غيره كأنه مأخوذ من وراء الإنسان كأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر .اهـ

وَقَوْلُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ(١) الَّذِي أُنْشِدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ شِعْرِهِ فَاسْتَحْسَنَهُ(٥٩)، وَقَالَ: «آمَنَ شِعْرُهُ، وَكَفَرَ قَلْبُهُ».

مَجِّدُوا اللَّهَ فَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلُ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرَا
بِالْبِنَاءِ الأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرَا
شَرْجَعًا مَا يَنَالُهُ بَصَرُ العَيْنِ تَرَى دُونَهُ المَلائِكَ صُورَا

---

(١) (أمية بن أبي الصلت الثقفي) من شعراء الجاهلية، وكان عابداً متنسكاً على دين النصارى، وكان يظن أنه هو الذي سيبعث نبيًا، فأخذ يتحرى البعثة؛ ورشح نفسه أنه هو النبي الذي سيُبعث، فلما بُعث محمد ﷺ حسده، وكفر به،(٦٠) لكنه كان يقول أشعاراً في الجاهلية فيها حق، منها هذه الأبيات، والنبوة لا تُدرك بالتربية ولا بالتحري، وإنما هي اختيار من الله واصطفاء من الله، هو الذي يصطفي ﷻ، قال

---

(٥٩) روى مسلم في كتاب الشعر (٢٢٥٥) عن عَمْرِو بن الشَّرِيدِ عن أبيه قال رَدِفْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا فقال هل مَعَكَ من شِعْرِ أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ شيئا قلت نعم قال هِيهْ فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا فقال هِيهْ ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا فقال هِيهْ حتى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ.

(٦٠) انظر: تاريخ دمشق (٩/٢٥٥)، والمنتظم لابن الجوزي (٣/١٤٢)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/٢٤٩).

تعالى ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، فلا تُدرك النبوة بالتربية ولا بتهذيب النفس، مهما كان، وإنما هي فضل من الله، والله يختار من يعلم ﷻ أنه يصلح للنبوة ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فأمية بن أبي الصلت ما حصل على ما تطلع إليه ورشح نفسه له، فحسد النبي ﷺ.

(آمن شعره)؛ لأنه قال حقاً، ولكنه (كفر قلبه)؛ حيث لم يؤمن بمحمد ﷺ حسداً للنبي ﷺ، وغضباً على الله ـ والعياذ بالله ـ؛ لأن الله لم يبعثه.

الشاهد من قوله: (ربنا في السماء أمسى كبيراً)، وأقر النبي ﷺ ذلك، وهذا دليل على أن أهل الجاهلية يقرون بعلو الله.

وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الَّذِي فِي السُّنَنِ[(١)]: «إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[(٦١)].

---

(١) وهذا الحديث فيه وصف الله بالحياء، والحياء صفة حميدة يوصف الله بها على ما يليق بجلاله، وهو ليس مثل حياء المخلوقين، كما أنه يغضب ليس كغضب المخلوقين، ويرضى ويكره، فهو يوصف بالحياء أيضاً، ولكنه حياء خاص ولائق به تعالى.

يستحيي تعالى أن يمد عبده يديه إليه بالدعاء، فيردهما صفراً، يعني خاليتين، بل يستجيب تعالى لمن دعاه، ورفع يديه إليه؛ لأنه قريب مجيب.

الشاهد من هذا: وصف الله عز وجل بالحياء، وفيه وصفه سبحانه وتعالى بأنه في العلو؛ لأن مد اليدين إلى أعلى إشارة إلى العلو.

---

(٦١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وأحمد في المسند بنحوه (٥/٤٣٨)، وابن حبان (٣/١٦٠)، والبزار في مسنده (٦/٤٧٨)، والبيهقي في الكبرى (٢/٢١١)، والطبراني في الكبير بنحوه (٦١٣٠)، والحاكم في المستدرك بنحوه (١/٦٧٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/٢٣٥، ٢٣٦)، (٨/٣١٧) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه. وجوَّد إسناده الحافظ في الفتح (١١/١٤٧).

وَقَوْلُهُ:(١) «يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبُّ يَا رَبُّ..»[٦٢]،

---

(١) هذا في حديث المسافر، لما ذكر النبي ﷺ حديث: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ يا رَبِّ يا رَبِّ»، ومحل الشاهد من الحديث قوله: «يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ» أي: إلى الله جل وعلا؛ لأن الله في السماء، فهو يمد يديه إلى الله إشارة إلى العلو «يا رب يا رب» يكرّر الدعاء، وهذا فيه: الإلحاح بالدعاء وتكرار الدعاء؛ لأن هذا من أسباب الإجابة، لكن مع وجود هذه الأسباب للإجابة: أنه مسافر، وأنه رث الخلقة من السفر، وأنه يمد يديه إلى السماء، وأنه يكرر الدعاء ويلح، لا يستجاب دعاؤه بسبب المانع الذي عنده، وهو أن «وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ» =

---

(٦٢) هذا جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: «قال رسول الله ﷺ: أَيُّهَا الناس إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا ...» إلى أن قال: «يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ يا رَبِّ يا رَبِّ...».

إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يُحْصِيهِ إِلا اللَّهُ، مِمَّا هُوَ مِنْ أَبْلَغِ الْمُتَوَاتِرَاتِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، الَّتِي تُورِثُ عِلْمًا يَقِينِيًّا مِنْ أَبْلَغِ الْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ(١) أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ الْمُبَلِّغَ عَنِ اللَّهِ أَلْقَى إِلَى أُمَّتِهِ الْمَدْعُوِّينَ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ؛ كَمَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعَ الأُمَمِ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ، فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلامِ، إِلاَّ مَن اجْتَالَتْهُ الشَّيَاطِينُ عَنْ فِطْرَتِهِ.(٢)

=لأنه لم يأكل من الطيبات، و الله ﷻ يقول: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فهذا لم يأكل من الطيبات، وإنما أكل من الحرام؛ فلا يُقبل دعاؤه، وفي الحديث دليل على علو الله على خلقه في قوله: «يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ» أي: إلى الله.

(١) العلوم الضرورية هي التي لا يمكن إنكارها.

والمتواتر اللفظي: ما يرويه جماعة عن جماعة من بداية السند إلى نهايته، يستحيل تواطؤهم على الكذب.

والمتواتر المعنوي: هو حديث الآحاد الذي تكاثرت طرقه، وتعددت رواياته، حتى صار مدلوله متيقنًا.

(٢) الفطرة هي: ما خلق الله عليه الخلق من معرفته والإقرار بوحدانيته إلا من أفسدت فطرته الشياطين؛ قال ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ =

ثُمَّ عَنِ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ مِنَ الأَقْوَالِ مَا لَوْ جُمِعَ لَبَلَغَ مِئِينَ، أَوْ أُلُوفًا. ثُمَّ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلا عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ لاَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَلا عَنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ ـ الَّذِينَ أَدْرَكُوا زَمَنَ هَؤُلاَءِ وَالاخْتِلاَفَ ـ حَرْفٌ وَاحِدٌ يُخَالِفُ ذَلِكَ لاَ نَصًّا وَلا ظَاهِرًا.(١)

=على الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ»(٦٣)، أي: كل مولود يولد على الإسلام، وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

(١) كلام العلماء الذين يصفون الله بالعلو والاستواء كثير، لو جُمع، لبلغ المجلدات الضخمة من كلام أهل العلم سلفاً وخلفاً، وقد ألف الإمام ابن القيم كتاباً في هذا الموضوع سماه: **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**. وهذا إجماع قطعي من أهل العلم على إثبات العلو والاستواء لله، والإجماع حجة قاطعة .=

---

(٦٣) أخرجه البخاري (١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٨٥، ٤٧٧٥، ٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ، وَلا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى العَرْشِ،[١] وَلا أَنَّهُ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ،[٢] وَلا أَنَّ جَمِيعَ الأَمْكِنَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ،[٣]

=وليس هناك إمام معتبر جاء عنه حرف واحد يخالف هذه العقيدة .

(١) لم ينف أحد من الأئمة المعتبرين علو الله على خلقه أو استواءه على عرشه، بل كتبهم كلها مجمعة على إثبات ذلك .

(٢) كما تقوله الحلولية، حيث يقولون: إن الله في كل مكان. حتى إنهم لا ينزهونه عن الحشوش ودورات المياه والمواضع القذرة، تعالى الله عما يقولون، بل منهم طائفة يقولون: إنه حال في الأشخاص.

(٣) كما تقول الحلولية؛ لا فرق عندهم بين البحر والعرش، كله سواء، ولا يختص العرش بشيء، كلها مخلوقات، ولا ميزة لبعضها على بعض، والله في كل مكان منها، هو في السماء، وهو على العرش، وهو على البحر، وهو في الأرض، وهو في كل مكان . تعالى الله عما يقولون . والحق أنه فوق العرش عال على الخلق، وعلمه في كل مكان؛ كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]، =

وَلا أَنَّـهُ لاَ دَاخِـلُ العَـالَمِ وَلا خَارِجُـهُ [١]، وَلا مُتَّـصِلٌ وَلا مُنْفَـصِلٌ، [٢]وَلا أَنَّـهُ لا تجـوزُ الإِشَـارَةُ الحِـسِّيَّةُ إِلَيْـهِ بِالأُصْـبُعِ، وَنَحْوِهَا. بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خَطَبَ خُطْبَتَهُ العَظِيمَةَ يَوْمَ عَرَفَاتٍ، فِي أَعْظَمِ مَجْمَعٍ حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَعَلَ يَقُولُ: «أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟»، فَيَقُولُـونَ: نَعَمْ. فَيَرْفَـعُ أُصْـبُعَهُ إِلَـى السَّمَاءِ، وَيَنْكُبُهَـا إِلَـيْهِمْ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» غَيْرَ مَرَّةٍ[٦٤]، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ.[٣]

= وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥].

(١) كما تقوله المعطلة، الذين يقولون: ليس له مكان، لا داخل العالم ولاخارجه، ولا فوق ولاتحت، ولايمنة ولا يسرة.

(٢) بل يقول أهل السنة إن الله في جهة العلو بائن من خلقه ﷻ.

(٣) أي لايجوز رفع الإصبع إليه إشارة إلى علوه على خلقه، كما تقوله نفاة الصفات، بل أشار إليه النبي ﷺ في خطبه، خصوصاً خطبة حجة

---

(٦٤) سبق تخريجه (ص٤٤) وهو جزء من حديث طويل في صفة حجة النبي ﷺ، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

الوداع، رفع أصبعه إلى السماء وقال: «**أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قالوا: نعم، نشهد أنك قد بلغت، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء، وقال: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»، هذه إشارة إلى الله أنه في العلو، ما أشار إلي يمين أو إلى شمال أو إلى تحت، والجهمية وأتباعهم يقولون: لا تجوز الإشارة إلى الله؛ لأنه عندهم ليس في جهة، والرسول ﷺ فعل شيئاً لا يجوز عند الجهمية وأتباعهم، وقد أشار أشرف الخلق في أعظم مجمع، وهو مجمع المسلمين في عرفة، في أشرف يوم ، وأشرف مكان، أشار إلى الله في العلو بأصبعه الكريمة ﷺ.

(**وَأَمْثَالُ ذَٰلِكَ كَثِيرٌ**) أي: أمثال هذه الواقعة التي أشار فيها النبي ﷺ إلى ربه في السماء كثير ، لا يمكن حصره، ولا يصح إنكاره، ولا يمكن جحده.

فَإِنْ كَانَ الحَقُّ فِيمَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ السَّالِبونَ النَّافُونَ لِلصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، مِنْ هَذِهِ العِبَارَاتِ وَنَحْوِهَا دُونَ مَا يُفْهَمُ مِنَ الكتابِ وَالسُّنَّةِ إِمَّا نَصًّا وَإِمَّا ظَاهِرًا، فَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ عَلَى خَيْرِ الأُمَّةِ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ دَائِمًا بِمَا هُوَ نَصٌّ أَوْ ظَاهِرٌ فِي خِلافِ الحَقِّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ، وَلا يَبُوحُونَ بِهِ قَطُّ،(١)

---

(١) يقول ـ رحمه الله ـ: إذا كان الحق في الأسماء والصفات ما يقوله المتأخرون من أنها لا يجوز نسبتها إلى الله، ولا يوصف الله بها، ولا يُسمى بها، فإن معنى هذا: أن الكتاب والسنة ما جاءا لهداية الناس، بل جاءا لتضليل الناس؛ لأن الكتاب والسنة يدلاّن على خلاف ما يقوله هؤلاء، فإذا كان الحق معهم، فإن الكتاب والسنة إنما جاءا للتضليل والتلبيس على الناس، وكفى بهذا الاتهام ضلالاً وكفراً - والعياذ بالله -. لابد إما أن الحق ما دل عليه الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة - وهذا هو القطع واليقين -، وإما أن يكون الحق ما يقوله هؤلاء النفاة، وهذا يلزم منه بطلان ما جاء به الكتاب والسنة، لا ثالث لهذين الاحتمالين أبداً، وعلى الاحتمال الثاني يكون الله ورسوله و المؤمنون قالوا خلاف الحق، وكتموا الحق، وبيَّنَهُ الجهمية والمعتزلة.

وَلا يَدُلُّونَ عَلَيْهِ لاَ نَصًّا وَلا ظَاهِرًا، حَتَّى يَجِيءَ أَنْبَاطُ[٦٥] الفُرْسِ وَالرُّومِ، وَفُرُوخُ[٦٦] اليَهُودِ وَالْفَلاسِفَةُ، يُبَيِّنُونَ للأُمَّةِ العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ، أَوْ كُلِّ فَاضِلٍ أَنْ يَعْتَقِدَهَا.[١]

---

(١) والنبطي هو: الذي ليس له نسب ولا لغة، وإنما هو تابع لغيره، مثل: أنباط العراق الذين ليسوا معروفين، هل هم من العرب، أو هم من العجم؟ وإنما هم أناس يعيشون على الزراعة وعلى رعي الغنم، ليس لهم حضارة، وليس لهم علوم، وإنما هم أتباع للفرس، كيف يؤخذ قول هؤلاء، ويترك ما جاء به الكتاب والسنة؟!
و الفرس: هم أهل المشرق من المجوس وأتباعهم، والروم والرومان أهل الغرب .

---

(٦٥) قال في المعجم الوسيط (ص٨٩٨): الأنباط شعب سامي كانت له دولة في شمالي شبه الجزيرة العربية، وعاصمتهم سَلْع، وتعرف اليوم بالبتراء، والمشتغلون بالزراعة، واستُعمل أخيراً في أخلاط الناس من غير العرب» اهـ.

(٦٦) الفروخ: جمع فرخ، وهو ولد الطائر، وولد كل بائض وكل صغير من الحيوان والنبات والشجر وغيرها، ومن الرجال: الذليل. انظر: المعجم الوسيط (ص٦٧٩).

(فروخ اليهود والنصارى) يعني: تلاميذ اليهود والنصارى، أهل الضلال الذين ضلوا في دينهم، وحرفوا دينهم، وغيروا شرع الله ﷻ، وهؤلاء المعطلة تتلمذوا عليهم، فكيف يؤخذ بقول تلاميذ اليهود وتلاميذ النصارى وقول اليهود والنصارى، وهم معروفون بالضلال والانحراف ومخالفة الرسل وتغيير الشرع، هذا معروف عند اليهود والنصارى، فالذين تتلمذوا عليهم حكمهم حكمهم.

(الفلاسفة) الذين ليس لهم كتاب، وإنما يعتمدون على آرائهم وعقولهم، وأصل الفلسفة الحكمة، الفيلسوف هو الحكيم عندهم، وهم قوم لا يتبعون ديناً من الأديان، وليس لهم كتاب، وإنما يبنون على الآراء والعقول، وأغلب ما يكونون في بلاد اليونان.

كيف يتأخر البيان من الله ورسوله ومن السلف الصالح للعقيدة الصحيحة، حتى يأتي هؤلاء الخلوف الذين ليس لهم علم صحيح ولا عقيدة صحيحة، ويفسرون الكتاب والسنة على غير مراد الله ورسوله بهما؟!

لَئِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ المتكلّمُونَ الْمُتَكَلِّفُونَ هُوَ الاعْتِقَادَ الوَاجِبَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أُحِيلُوا فِي مَعْرِفَتِهِ عَلَى مُجَرَّدِ عُقُولِهِمْ، وَأَنْ يَدْفَعُوا بِمُقْتَضَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ نَصًّا أَوْ ظَاهِرًا، لَقَدْ كَانَ تَرْكُ النَّاسِ بِلا كِتَابٍ وَلا سُنَّةٍ أَهْدَى لَهُمْ وَأَنْفَعَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ،[1] بَلْ كَانَ وُجُودُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ضَرَرًا مَحْضًا فِي أَصْلِ الدِّينِ.[2]

---

(١) إذا كان الحق ما يقوله هؤلاء الجهمية وأفراخهم: أن الله ليس له أسماء ولا صفات، وإنما هو ذات مجردة ـ كما يقولون ـ، والكتاب والسنة مملوءان من أسماء الله وصفاته، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أحسن لهم؛ لأن الرسل ما جاؤوهم بالهداية ـ على هذا التقدير ـ، وأن الهداية هي بأقوال هؤلاء. إذاً ما فائدة الكتب الإلهية؟ وما فائدة إرسال الرسل؟ وإنما يتركون الناس على عقولهم وأفكارهم.

هذا من لوازم مذهبهم: أنه يلزم أن يكون العالم ليس بحاجة إلى الرسل والكتب؛ لأن عندهم ما يكفيهم من عقولهم وأفكارهم.

(٢) بل يكون وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً على الناس؛ لأنهما تضليل ـ على زعم هؤلاء ـ؛ لأنهما لم يصرحا بالحق في العقيدة، فيكون الكتاب والسنة جاءا للتضليل، وأن الحق هو في اتباع العقول =

فَإِنَّ حَقِيقَةَ الأَمْرِ عَلَى مَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ أَنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ العِبَادِ لاَ تَطْلُبُوا مَعْرِفَةَ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الصِّفَاتِ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، لاَ مِنَ الكِتَابِ، وَلا مِنَ السُّنَّةِ، وَلا مِنْ طَرِيقِ سَلَفِ الأُمَّةِ. وَلَكِنِ انْظُرُوا أَنْتُمْ فَمَا وَجَدْتُمُوهُ مُسْتَحِقًّا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَصِفُوهُ بِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مَوْجُودًا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَمَا لَمْ تَجِدُوهُ مُسْتَحِقًّا لَهُ فِي عُقُولِكُمْ فَلا تَصِفُوهُ بِهِ!.[١] ثُمَّ هُمْ هَهُنَا فَرِيقَانِ، أَكْثَرُهُمْ يَقُولُونَ: مَا لَمْ تُثْبِتْهُ عُقُولُكُمْ فَانْفُوهُ.[٢] وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ تَوَقَّفُوا فِيهِ،

= والأفكار، وما يقوله أصحاب الجدل وعلم الكلام والمنطق.

(١) أي: يلزم أيضاً ـ على كلام هؤلاء ـ أنه يجب أن يُقال للناس لا تأخذوا العقيدة من الكتاب والسنة؛ لأنهما ليس فيهما عقيدة صحيحة، بل خذوها من أقوال الناس وعقائدهم وأفكارهم، فإنها هي الصواب، فما دلت عليه عقولكم وأفكاركم في الله، فهو الحق، ولا تنظروا إلى الكتاب والسنة، ولا ما قاله السلف؛ لأنهم ليس عندهم علم بذلك.

(٢) **هذه الفرق الضالة على فريقين:**

فريق يعتمد على العقول، فيقول: ما أثبتته عقولكم، فأثبتوه في حق الله، وما نفته عقولكم، فانفوه، دون نظر إلى الكتاب والسنة؛ لأن

الكتاب والسنة ليس فيهما بيان للحق.

وفريق يقول: ما أثبتته عقولكم فأثبتوه، وما نفته عقولكم، فتوقفوا فيه، فيبقون في حيرة، وكأن الله ﷻ ترك الناس في حيرة متوقفين، لا يدرون أين الحق، هل يليق بالله أن يترك عباده في حيرة، لا يدرون أين الحق؟ تعالى الله عن ذلك.

الله ﷻ يقول: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨، ٣٩]، فالله أرجعنا إلى الهدى الذي ينزله على رسله، ما يتعلق بالله ﷻ وبأسمائه وصفاته هذا لا يمكن معرفته إلا من طريق الوحي؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ويقول ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، فلا يُقال في حق الله وأسمائه وصفاته إلا عن طريق الوحي المنزل من الله؛ لأن الله أعلم بنفسه من خلقه، والرسول ﷺ أعلم الخلق بالله ﷻ؛ لأن الله أرسله، وأنزل عليه الكتاب ليبينه للناس. فالمرجع إلى الكتاب والسنة، وكذلك في سائر علوم الغيب، العلوم الماضية والمستقبلة، كل هذه من علوم الغيب، لا نقول فيها إلا بما دل عليه الكتاب والسنة، ولا ننفي ونثبت بعقولنا وأفكارنا؛ لأن هذا شيء لا تدركه العقول ولا تحيط به الأفهام، =

وَمَا نَفَاهُ قِيَاسُ عُقُولِكُم الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ مُضْطَرِبُونَ اخْتِلافًا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ اخْتِلافٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ - فَانْفُوهُ، وَإِلَيْهِ عِنْدَ التَّنَازُعِ فَارْجِعُوا، فَإِنَّهُ الحَقُّ الَّذِي تَعَبَّدْتُكُمْ بِهِ، (١)

=وإنما علمه مقتصر على الوحي المنزل من الله ﷻ، و العلم المبلغ من الرسول ﷺ، هذه هي القاعدة في أمور الغيب أنه لا يُتكلم فيها إلا بوحي.

(١) أي: ما نفته العقول يُنفى؛ لأن العقول هي الدليل عند هؤلاء، ومعنى هذا أننا نبقى في حيرة، وأن الله تركنا، ولم يبين لنا، فهذا فيه أن الله ﷻ ترك عباده لم يبين لهم طريق الحق وطريق الصواب.

وإذا كان الله أحالنا على العقول، فهل العقول متساوية؟ العقول مختلفة مضطربة، ولهذا تجدهم في اضطراب واختلاف: هذا ينفي، وهذا يثبت، وهذا يضلل، وهذا يكفر، وهذا يفسق؛ لأن عقول البشر مختلفة، ليست على حد سواء، ثم هي قاصرة، ما تدرك الغيوب المستقبلة والماضية، فهي قاصرة ومضطربة ومختلفة.

وَمَا كَانَ مَذْكُورًا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِمَّا يُخَالِفُ قِيَاسَكُمْ هَذَا، أَوْ يُثْبِتُ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ عُقُولُكُمْ - عَلَى طَرِيقَةِ أَكْثَرِهِمْ - فَاعْلَمُوا أَنِّي أَمْتَحِنُكُمْ بِتَنْزِيلِهِ لاَ لِتَأْخُذُوا الهُدَى مِنْهُ، لَكِنْ لِتَجْتَهِدُوا فِي تَخْرِيجِهِ عَلَى شَوَاذِّ اللُّغَةِ، وَوَحْشِيِّ الأَلْفَاظِ، وَغَرَائِبِ الكَلامِ، وَأَنْ تَسْكُتُوا عَنْهُ مُفَوِّضِينَ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ، مَعَ نَفْيِ دَلالَتِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ، هَذَا حَقِيقَةُ الأَمْرِ عَلَى رَأْيِ هَؤُلاءِ المُتَكَلِّمِينَ.(١)

---

(١) يلزم على قولهم أن الله ﷻ يقول: إنما أنزلت القرآن؛ لأمتحنكم بتخريج هذه النصوص على عقولكم: من الذي يصيب، ومن الذي يخطئ؟ فكأن القرآن امتحان، وليس هدىً، هذا يلزم على قولهم في حق الله ﷻ أنه أنزل الكتاب ليمتحنهم فقط: من الذي يعرف الحق بعقله، ومن الذي لا يعرفه؟ فهذا يجب عليه التوقف والتفويض، مع اعتقاد أنه لايدل على معرفة الله، ويفسرون القرآن بالغرائب، ويحملونه على المحامل البعيدة وعلى وحشي اللغة المهجور، ويأتون بوجوه بعيدة يفسرون بها القرآن؛ حتى يتوصلوا بزعمهم إلى مراد الله، هذا معناه: التعجيز والتضليل للناس، والله ﷻ رحيم بعباده، رؤوف بعباده، يعلم ضعفهم، ويعلم قصور أفهامهم؛ ولذلك لم يكلهم إلى عقولهم، وإنما

أمرهم باتباع الوحي، من كان يعلم من الوحي علماً صحيحاً، فليأخذ به، ومن كان لا يعلم، فليسأل أهل العلم، ولا يتخبط في أمر لا يحسنه. والآن في وقتنا ظهرت الأفكار الغريبة، وحرية الرأي - كما يقولون -، والرأي والرأي الآخر، يعني: كأن ما عندنا وحي، ولا عندنا شرع، وإنما هي آراء، هذا رأيي، وهذا رأيك، أنت لا تحجر علي، وأنا لا أحجر عليك، وكلٌ يتبع رأيه. هذا هو الضلال - والعياذ بالله -؛ أنا وأنت وفلان نرجع إلى كتاب الله، نعرض رأيي ورأيك ورأي فلان على كتاب الله، فما شهد له الوحي، فهو الصحيح، وما خالف الوحي، فهو الباطل، ويجب الرجوع عنه، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، خير لكم من التخبط وأحسن مآلاً وعاقبة لكم؛ لأن الوحي معصوم من الله ﷻ، أما آراؤكم وأفكاركم فليست معصومة، بل هي عرضة للخطأ والنقص.

ويقول هؤلاء العقلانيون: ما أعجزكم تفسيره - ولو بالوجه البعيد والغريب -، فتوقفوا فيه، لكن اعتقدوا أن ظاهره غير مراد، وإنما المقصود منه لا يعلمه إلا الله. هذه طريقة المفوضة، ومعناه: أن الله أنزل علينا أحاجيَ وألغازًا لا نعلمها! والله أنزل الكتاب هدى للناس، ما أنزله للأحاجي والألغاز، نعم قد يخفى على بعض الناس معنى النصوص، لكن هؤلاء يرجعون إلى أهل العلم والبصيرة، =

وَهَذَا الكَلامُ قَدْ رَأَيْتُهُ صَرَّحَ بِمَعْنَاهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ،(١)

=وأعلم الناس بالقرآن والسنة بعد الرسول ﷺ هم الصحابة والتابعون والقرون المفضلة، فيُرجع إلى كلامهم وتفسيرهم.

هذا هو طريق الصواب، طريق الحق: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] اتبعوهم بالقول والعمل والأخلاق والسمت ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، حازوا على رضا الله ﷻ، هذا هو المقصود.

(١) يقول الشيخ: الذين يقولون: إن القرآن لا يدل على الحق صرح به طائفة منهم، حتى إن واحداً من أكابرهم يقول:

كتاب التوحيد لابن خزيمة ما جاء بالتوحيد، إنما جاء بالشرك[٦٧].

لماذا جاء بالشرك عنده؟ لأنه يثبت الأسماء والصفات لله، وهذه موجودة في الخلق، فإثباتها شرك بزعمهم. أو يقولون: إن إثبات الأسماء والصفات يقتضي أنها مشاركة لله ﷻ في القدم والأولية والأزلية، فيلزم تعدد القدماء، فيكون هذا فيه شرك عندهم.

---

(٦٧) هو الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ من سورة الشورى. انظر: التفسير الكبير للرازي (٢٧/ ١٣٠).

وَهُوَ لازِمٌ لِجَمَاعَتِهِمْ لِزُومًا لاَ مَحِيدَ عَنْهُ، [١]وَمَضْمُونُهُ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ لاَ يُهْتَدَى بِهِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَعْزُولٌ عَنِ التَّعْلِيمِ وَالإِخْبَارِ بِصِفَاتِ مَنْ أَرْسَلَهُ، وَأَنَّ النَّاسَ عِنْدَ التَّنَازُعِ لاَ يَرُدُّونَ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، بَلْ إِلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وإِلَى مِثْلِ مَا يَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بالأَنْبِيَاء؛ كَالْبَرَاهِمَةِ، وَالْفَلاسِفَةِ وَهُم الْمُشْرِكُونَ وَالْمَجُوسُ، وَبَعْضُ الصَّابِئِينَ.وَإِنْ كَانَ هَذَا الرَّدُّ لاَ يَزِيدُ الأَمْرَ إِلا شِدَّةً، [٢] وَلا يَرْتَفِعُ الخِلافُ بِهِ، [٣]

---

(١) الذي لا يصرح بهذا الكلام منهم يلزمه لزوما لا محيد عنه؛ حيث لم يجعل المرجع الكتاب والسنة.

(٢) و إن كان هذا الرد الذي رد به الشيخ عليهم في هذه الرسالة لا يزيدهم إلا عنادا وشدة في التمسك بآرائهم.

(٣) لأنهم لا يطلبون الحق، وإنما يجادلون بالباطل؛ ليدحضوا به الحق، مع أن الله ﷻ جعل القرآن رافعاً للخلاف؛ قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. هم يقولون: القرآن والسنة لا يرفعان الخلاف.

إِذْ لِكُلِّ فَرِيقٍ طَوَاغِيتُ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِمْ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ،[1] وَمَا أَشْبَهَ حَالَ هَؤُلاءِ الْمُتَكَلِّفِينَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].[2]

---

(١) كل فريق من هؤلاء الضلال له طاغوت، والطاغوت هنا: هو الذي يحكم بغير ما أنزل الله، فكل فريق لهم إمام وقائد يأخذون بكلامه ويحكمونه من دون الله، و الله ﷻ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، ويقول: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، فالطاغوت هو من حكم بغير ما أنزل الله، وقادتهم وأئمتهم طواغيت؛ لأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله، ويحكمون عقولهم وفلسفتهم وأفكارهم .

(٢) هذه الآية نزلت في قصة، وهي أن منافقاً ويهودياً وقعت بينهما خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ لعلمه أن الرسول لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق الذي يدعي الإيمان بالرسول: نتحاكم إلى كعب=

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) ﴾ [النساء: ٦١-٦٢].[١]

=ابن الأشرف اليهودي؛ لعلمه أنه يأخذ الرشوة، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [النساء: ٦٠] قال ﴿ يَزْعُمُونَ ﴾ يعني: يدعون الإيمان ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ يعني: إلى كعب بن الأشرف، بدلا من محمد ﷺ: ﴿ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ أن يكفروا بالطاغوت، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

(١) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [النساء: ٦١]، وهو القرآن ﴿ وَإِلَى الرَّسُولِ ﴾ وهو: السنة النبوية بعد وفاة الرسول ﷺ ﴿ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ ﴾ والمنافق هو: الذي يدعي الإيمان ويبطن الكفر﴿ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾، يصدون: يعرضون، والصاد هو الذي يميل عنقه من الكبر، وهو يزعم أنه مؤمن، فإذا كُشف أمرهم، =

فَإِنَّ هَؤُلاءِ إِذَا دُعُوا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الكِتَابِ وإِلَى الرَّسُولِ - وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ هُوَ الدُّعَاءُ إِلَى سُنَّتِهِ - أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّا قَصَدْنَا الإِحْسَانَ عِلْمًا وَعَمَلاً بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكْنَاهَا، وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَ الدَّلائِلِ العَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ.(١)

=وافتضحوا جاؤوا يعتذرون إلى الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ أنزل الله بهم عقوبة، وكشف أمرهم، وفضح سرهم ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ ﴾ يعني: الرسول ﷺ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ ما قصدنا بمخالفتك الضلال والكفر، وإنما اجتهدنا، قصدنا الإحسان إلى الناس والصلح بينهم.

(١) فالمتكلمون والفلاسفة الذين يأخذون العقائد من غير الكتاب والسنة لهم شبه بالمنافقين الذين على عهد الرسول ﷺ، والقرآن نزل إلى آخر الزمان يحكم في القضايا.

ثُمَّ عَامَّةُ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا دَلائِلَ إِنَّمَا تَقَلَّدُوا أَكْثَرَهَا عَنْ طَوَاغِيتَ مِنْ طَوَاغِيتِ الْمُشْرِكِينَ أَو الصَّابِئِينَ، (١) أَوْ بَعْضِ وَرَثَتِهِم الَّذِينَ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ مِثْلِ فُلانٍ وَفُلانٍ، أَوْ عَمَّنْ قَالَ كَقَوْلِهِمْ لِتَشَابُهِ قُلُوبِهِمْ:

---

(١) هذا المنهج الذي ساروا عليه من تحكيم العقول والإعراض عن الكتاب والسنة تلقوه من طواغيت سابقين أعداء للرسل: إما من اليونان، أو الفرس، أو من أي جهة من أعداء ا لرسل.

أو أخذوه عن ناس قلدوا من سبق، وساروا عليه من غير بصيرة وروية، يأخذون كتب المنطق وعقائد المنطق، ويدرسونها كأنها قضايا مسلمة، ولا يرجعون إلى القرآن والسنة، بل يدرسون كلام المناطقة في العقائد، يقولون: هذه يقينيات وبراهين، أما الكتاب والسنة فهي ظواهر ظنية لا تدل على اليقين.

عقائدهم الآن مبنية على هذا: في مدارسهم، وجامعاتهم، وكلياتهم، فالشر موجود، بل يزيد.

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]،[1] ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٣][2]

---

(١) لأن الإيمان ليس بالدعوى، وإنما الإيمان حقيقة،

فالإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح.

الذي يقول: إنه مؤمن كيف يتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله؟! لو كان مؤمناً، لتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، ففعله يخالف قوله، ويدل على اعتقاده في القلب أن الحكم بالكتاب والسنة ليس بصحيح.

(٢) هذا دليل على أنه لا هداية إلا بالكتاب المنزل: سواء التوراة، أو الإنجيل، أو الزبور، أو القرآن، الكتاب المنزل من الله ﷻ، لكن آخر الكتب هو القرآن الذي استقر عليه الأمر إلى أن تقوم الساعة، فإنه نسخ ما قبله، فلا يحكم في الفصل بين الناس في العقائد والخلافات إلا القرآن، والسنة تابعة للقرآن، أما الذي يحكم غير القرآن فهذا لا يمكن=

وَلازِمُ هَذِهِ المَقَالَةِ أَنْ لاَ يَكُونَ الكِتَابُ هُدًى لِلنَّاسِ، وَلا بَيَانًا وَلا شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَلا نُورًا، وَلا مَرَدًّا عِنْدَ التَّنَازُعِ،[1]

= أن يصل إلى حل أبداً، وإنما يصل إلى ظلم وحيرة واضطراب، في المقالات والاعتقادات أو الخصومات، فلا حل إلا في تحكيم الكتاب والسنة.

(١) من كان يريد منا أن نحكم العقول والمنطق والأفكار، فمعناه أن القرآن ليس كما وصفه الله بأنه هدى للناس، بل هو جاء للتعمية والتضليل، الله أنزل الكتاب هدى، فلا يحكم ولا يرفع النزاعَ بين الناس إلا الكتابُ، أما العقول والأفكار والآراء فلن تحل النزاع، كل واحد يتعلّق برأيه، وتأتي مقالة: أنت ما تفرض عليّ رأيك.

صحيح لا تفرض عليّ رأيك، لكن أفرض عليك الوحي الذي هو حاكم على الجميع، أما إذا رجعنا للآراء، فكل واحد يقول للآخر: أنت لا تفرض عليّ رأيك، لكن إذا قلنا: المرجع إلى الكتاب، انتهى النزاع، وانحلت الخصومة، ولذلك تجدهم في أمر مريج، ما انحل نزاعهم فيما بينهم، وتجد أهل السنة والجماعة ـ ولله الحمد ـ إخوة متحابين، ليس بينهم إشكال، ولا بينهم اختلاف؛ لأنهم يحكمون بما أنزل الله ﷻ، فتأمّل الفرق بين هؤلاء وهؤلاء.=

لأَنَّا نَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ مَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ المُتَكَلِّفُونَ أَنَّ الحَقَّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، لاَ نَصًّا وَلا ظَاهِرًا،[1]

= ولازم هذه المقالة أن لا يرد النزاع والاختلاف إلى الكتاب والسنة؛ لأنهما ليسا هدى ونورًا، ولا يحلان النزاع.

فقوله ـ رحمه الله ـ: **(ولازم هذه المقالة)** أي مقالة المعطلة، أن الأسماء والصفات لله لا تؤخذ من القرآن والسنة، إنما تؤخذ من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية ـ بزعمهم ـ، فلازم هذه المقالة أن ترك الناس بلا كتاب وبلا رسول أحسن، ما دامت العقول كافية، وعلم الكلام يكفي، فإن وجود الكتاب والسنة لا قيمة له ـ على مقالتهم ـ؛ لأن عندنا ما يكفينا من أفكارنا وعقولنا وتصوراتنا، هذا ما يلزم على كلامهم.

(١) نعلم علما ضروريا أن مقتضى قولهم: عزل للكتاب والسنة عن الاستدلال والحكم، استغناء عنهما بقواعد المنطق وعلم الكلام والجدل.

وَإِنَّمَا غَايَةُ الْمُتَحَذْلِقِ أَنْ يَسْتَنْتِجَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].[1]

---

(١) والاستدلال بآيات النفي لا يكفي، هناك آيات إثبات؛ كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢]، هذا إثبات، الحياة والقيومية، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، هذا إثبات، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٦]، هذا إثبات، فتوحيد الأسماء والصفات يعتمد على شيئين: على الإثبات، والنفي، إثبات الأسماء والصفات لله، ونفي المشابهة والتمثيل، كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ جمع بين النفي والإثبات، نفي المماثلة والمشابهة وإثبات الأسماء والصفات، هذه هي القاعدة القرآنية. أما أنه يعتمد على النفي فقط، فهذا ضلال، لا يدل عليه الكتاب والسنة.

والمتحذلق: الذي يُظهر الحذق، وهو ليس بحاذق.

فطريقة أهل الضلال أنهم يأخذون بعض النصوص، ويتركون بعضها، يأخذون ما يظنون أنه يؤيد قولهم، ويتركون ما يخالف قولهم، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ ﴾ [آل عمران: ٧

يأخذون المتشابه من الآيات، ويتركون المحكم منها، والعالم الراسخ يأخذ كلام الله كله، ويفسر بعضه ببعض، ويرد بعضه إلى بعض، يرد المتشابه إلى المحكم ولا يضرب كتاب الله بعضه ببعض، وإنما يعمل بكتاب الله كله.

فإذا استدل أهل الزيغ على مذهبهم بالآيات التي تدل على تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين على نفي الأسماء والصفات؛ لأنها بزعمهم تدل على ذلك، قلنا لهم: إن أسماء الله وصفاته لا تدل على ما توهمتم؛ فإن إثبات الأسماء والصفات لا يلزم منه تشبيه الله بخلقه في أسمائهم وصفاتهم، بدليل أن الله أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى عن نفسه التشبيه، فنحن نثبتها على وجه يليق بجلال الله؛ فليست الأسماء كالأسماء، ولا الصفات كالصفات، فنحن عملنا بالأدلة كلها، ولم نأخذ ببعض دون بعض كما فعلتم.

وَبِالاضْطِرَارِ يَعْلَمُ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّ مَنْ دَلَّ الخَلْقَ عَلَى أَنَّ اللّهَ لَيْسَ عَلَى العَرْشِ، وَلا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ لَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَةَ، وَهُوَ إِمَّا مُلْغِزٌ، أَوْ مُدَلِّسٌ، لَمْ يُخَاطِبْهُمْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.[1]

---

(١) أي: من استدلّ على نفي العلو لله على مخلوقاته، ونفى استواء الله على عرشه أخذاً من قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أن هذا قد أبعد الاستدلال؛ لأن الآية لا تدل على نفي الاستواء ونفي العلو، وإنما تنفي المشابهة والمماثلة، ولا تنفي علو الله على مخلوقاته علواً يليق به، واستواءه على عرشه استواء يليق به، وإثبات الوجه لله واليدين وصفات الذات وصفات الأفعال، فلا تدل الآية على نفي هذه الصفات التي ثبتت لله جل وعلا.

فهم ـ كما سبق ـ أخذوا جانب النفي، وتركوا جانب الإثبات كعادة أهل الضلال دائماً، يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، يأخذون ما يصلح لهم، ويتركون ما يخالف رأيهم، بل إن أهل الضلال في الأحاديث النبوية يأخذون ما يصلح لرأيهم، ولو كان حديثاً موضوعاً أو ضعيفاً، ويتركون الأحاديث الصحيحة التي تخالف قولهم، ويؤولونها، ويفسرونها بغير تفسيرها، ويلوون أعناقها؛ حتى تخضع=

وَلازِمُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يَكُونَ تَرْكُ النَّاسِ بِلاَ رِسَالَةٍ خَيْرًا لَهُمْ فِي أَصْلِ دِينِهِمْ ؛ لأَنَّ مَرَدَّهُمْ قَبْلَ الرِّسَالَةِ وَبَعْدَهَا وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا الرِّسَالَةُ زَادَتْهُمْ عَمًى وَضَلاَلاً.(١)

=لقولهم، هذه عادة أهل الضلال دائماً وأبداً، فيجب الحذر منهم ومن مذهبهم الباطل، وهذا ليس خاصاً في باب الأسماء والصفات، بل هو عام في كل مذاهبهم الباطلة ؛ لأنه يلزم عليه أن الله لم يخاطب الخلق بلسان عربي مبين ؛ كما قال تعالى عن القرآن أنه بلسان عربي مبين.

فهؤلاء جعلوا القرآن بمثابة الألغاز، يقولون: ليس هو على ظاهره، وله تفسير خفي، تفسير لا يعثر عليه إلا الحذَّاق من الناس. فجعلوا القرآن كأنه ألغاز، والله ﷻ جعله بياناً للناس وهدى ورحمة وشفاء، هم يقولون: القرآن ليس على ظاهره، القرآن له معنى لا يغوص عليه إلا الحذَّاق من الناس، وقد كذبوا في هذا، فالقرآن - ولله الحمد - واضح وميسر: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، يستفيد منه العامي والمتعلم والعالم، كل من سمع القرآن استفاد على قدر ما آتاه الله، فالقرآن واضح ولله الحمد.

(١) لو كانت العقول كافية والأفكار كافية، ما احتاج الناس إلى رسالة، بل إن الرسالة زادتهم بلبلة ؛ لأنها ليست على ظاهرها، إنما جاءت=

يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ لَمْ يَقُلِ الرَّسُولُ ﷺ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَلا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ: هَذِهِ الآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ لاَ تَعْتَقِدُوا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ،(١)

=بألغاز وأحاج وتدليس، فلو سلموا منها، لكان أحسن؛ لأنّ مردّهم قبل الرسالة وبعدها واحد؛ وهو العقول، إذن فليسوا بحاجة إلى الرسالة؛ لأن الرسالة عمّت عليهم الأمور تعمية، وأضلتهم؛ لأنها جاءت بما يخالف العقول ـ بزعمهم ـ، فهي ضلال.

(١) لم يقل الرسول ﷺ ولا قال السلف الصالح: إن هذه الآيات التي في أسماء الله وصفاته وتوحيده ليست على ظاهرها، فلا تعتقدوا ما دلت عليه، بل الرسول ﷺ علمنا القرآن، وبلغنا إياه، ولم يقل لنا: لا تستدلوا به، الرسول ﷺ علمنا القرآن وبلغنا القرآن، وأمره الله أن يبلغه للناس ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، والسلف قرؤوا القرآن، ولم يشكل عليهم، ولا توقفوا عند آية من آياته، أبداً، وإنما إذا أشكل عليهم شيء، ردوه إلى الواضح، وفسروه به؛ لأن كلام الله لا يتناقض، يفسر بعضه بعضاً، وإذا كان أحد لا يُحسن الاستدلال، فإنه يسأل أهل العلم ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، هذه طريقة السلف، فكون الله تعالى =

لَكِن اعْتَقِدُوا الَّذِي تَقْتَضِيهِ مَقَايِيسُكُمْ، أَو اعْتَقِدُوا كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ الحَقُّ، (١) وَمَا خَالَفَ ظَاهِرَهُ فَلا تَعْتَقِدُوا ظَاهِرَهُ، (٢) وَانْظُرُوا فِيهَا فَمَا وَافَقَ قِيَاسَ عقولِكِمْ فَاعْتَقِدُوهُ، وَمَا لاَ فَتَوَقَّفُوا فِيهِ أَو انْفُوهُ؟ (٣)

= لم يقل لنا: لا تعتقدوا ما ذكرته لكم في هذا القرآن، والرسول ﷺ لم يقل: لا تعتقدوا ما ذكرته في سنتي، والسلف الصالح من المهاجرين والأنصار والتابعين وأتباع التابعين والقرون المفضلة، ما أحد منهم توقف في هذه الآيات، بل قرؤوها، واعتقدوا ما تدل عليه، وفسروها، ولم تُشكل عليهم، ثم يأتي بعد ذلك حثالة من الناس، ويأتون بمنهج جديد يخالف ما دل عليه القرآن والسنة وما عليه السلف الصالح، ويقولون للناس هذا هو الهدى!!

(١) أي: لم يقل الله اعتقدوا ما تدل عليه عقولكم، وما يوافق عقلياتكم، و المقاييس العقلية: التى هي علم المنطق والجدل والكلام.

(٢) ولم يقل الله: وما خالف ما أنتم عليه من العلوم العقلية لا تعتقدوه على ظاهره، بل أولوه عن ظاهره.

(٣) هذه طريقتهم: إن وافق القرآن عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم، فإنهم لا يعملون به، وإنما يعملون بعقولهم، =

ثُمَّ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ بِأَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ ثَلاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً(٦٨)، فَقَدْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ،(١)

= وأما القرآن فيؤولونه عن ظاهره، أو يفوضون معناه، فهم: إما مؤولة، وإما مفوضة، هذه طريقة الخلف، ويقولون: إنها أعلم وأحكم من طريقة السلف.

(١) الرسول ﷺ أخبر عما يحدث في المستقبل؛ لأن الله أطلعه على ذلك من أجل مصلحة البشر، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، فالله يُطلع الرسول على شيء

---

(٦٨) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن جاء من طرق متعددة عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة، فقد روي من حديث أبي هريرة، و أنس، و سعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو، رضي الله عنهم أجمعين.
أخرجه أبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣)، وأحمد في المسند (٢/٣٣٢)، (٣/١٢٠)، وأبو يعلى في مسنده (٧/١٥٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٧)، والحاكم في المستدرك (١/٤٧، ٢١٧)، والطبراني في الكبير (١٩/٣٧٧)، (١٨/٧٠)، وفي الأوسط (٥/١٣٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/٢٠٨).

من الغيب: الماضي والمستقبل؛ من أجل أن يعلم الناس مصالحهم ودينهم، والرسول ﷺ أخبرنا عن المستقبل: أنه سيكون هناك اختلاف في هذه الأمة، فقال: «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**» أو «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، فالذين بقوا على الحق هم الناجون، أما الذين خرجوا عن الحق، فهم في النار، منهم من يكون في النار لكفره، ومنهم من يكون في النار لضلاله وفسقه، فليسوا على حد سواء، والذي يدخل النار لفسقه فقط هذا يُعذب فيها، ثم يُخرج منها، فهو من فسقة المؤمنين وعصاة المؤمنين، فقوله: «**كلها في النار**» هذا من باب الوعيد، ليس معناه أن كل مخالف كافر، وهو في النار مخلد فيها، هذا من أحاديث الوعيد، وهم يتفاوتون في دخولهم النار، منهم من يدخلها مخلداً فيها، ومنهم من يدخلها مؤقتاً، وهم عصاة المؤمنين.

فالحاصل أن كل من خالف ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، فهو من الفرق المخالفة لأهل الحق، وهو متوعد بالنار، ولا يبقى على الحق، ويكون من أهل النجاة من النار إلا من بقي على طريقة الرسول ﷺ. هذا مما أخبرنا به ﷺ إخباراً، معناه: التحذير من مخالفة ما جاء به، والتحذير من الافتراق، والحث على الاجتماع على الحق ولزوم طريقة الرسول وأصحابه، هذا الذي أخبرنا عنه الرسول ﷺ، وهذا معناه:

الحث على لزوم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وألا نغتر بالفرق وكثرتها، ونقول: ليس كل هؤلاء على ضلال. فأهل الضلال كثيرون، وأهل الحق قليلون؛ فلا نغتر بالكثرة، بل علينا أن ننظر ما عليه الناس، ما كان حقاً أخذناه، ولو لم يكن عليه إلا واحد، أو لم يكن عليه أحد، وما كان ضلالاً تركناه، ولو كان عليه أكثر الناس، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فالعبرة ليست بالكثرة، هذا دليل على أن الكثرة لا عبرة بها إذا كانت على غير حق، وأن القلة لا تزهد في الحق، ولو كان عليه واحد أو جماعة قليلة؛ لأن بعض الناس يغتر بالكثرة، ويزهد بالحق إذا كان ما عليه إلا قلة، والرسول ذكر لنا الخلاف، وذكر لنا طريق النجاة، قال: «مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، وهذا أيضاً في الأسماء والصفات والتوحيد، من كان على ما كان عليه الرسول وأصحابه في التوحيد والصفات، فهو من الفرقة الناجية، ومن كان مع الفرق المنحرفة في الأسماء والصفات، فهو من الفرق الضالة.

فهذا الحديث من معجزات الرسول ﷺ أنه أخبر عن شيء قبل حصوله وحصل. والغرض من ذلك التحذير عند حدوث الفرقة من الذهاب=

ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللَّهِ»[٦٩] [١].

=مع الفرق، والحث على الثبات على الحق، ولو كان ما عليه إلا قلة.

وأيضاً فيه: الحث على الصبر؛ لأن الذي على الحق قد يؤذى، ويُمتحن، ويُضرب، أو يُقتل، ويُسجن، فيصبر ولا ينجرف مع أهل الضلال، وإلا هو يلاقي أذى، ويلاقي شرًا.

(١) هذا من نعمة الله، أنه عند الاختلاف ما تركنا نتحير، بل أعطانا الطريق الصحيح الذي نمشي عليه، لكن هذا يحتاج إلى ثلاثة أمور:

أولاً: العلم الصحيح، وليس التعالم؛ فلا يمكن أن تسير على هذا الطريق إلا إذا تعلمت وعرفت الحق من الضلال.

الأمر الثاني: الصبر والثبات وعدم التزحزح، ولو أصابك ما أصابك، فإنك تصبر مهما كلّفك هذا الأمر.

الأمر الثالث: ألاّ تغتر بالكثرة، وإنما تنظر إلى من هو على الحق.

فقوله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي» كتاب الله الذي هو القرآن، والسنة التي هي الأحاديث الصحيحة، =

---

(٦٩) سبق تخريجه (ص٤٤).

وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: « هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»(٧٠).(١)

= لم يقل: إني تارك فيكم: عقولكم، وأفكاركم، وعلم الكلام، وعلم الجدل، والمنطق، بل قال: «كتاب الله وسنتي» هذا هو سبيل النجاة، هذا يوجب على المسلم أن يتمسك بالكتاب والسنة.

(١) «الفرقة الناجية» أي: الناجية من النار؛ لقوله: «كلها في النار إلا واحدة»، ولما سُئل: من هي يا رسول الله هذه الفرقة التي تنجو من النار؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»

(اليوم): يوم الرسول ﷺ، هذا هو الضابط لطريق النجاة؛ لأن كثيراً من الناس اغتر بالكثرة، يقول: كل الناس على هذا، ثم ينجرف مع الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(٧٠) هذا جزء من حديث الافتراق السابق تخريجه، وجاءت هذه الزيادة من طريق عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، رواها الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١٢٨/١)، والآجري في الشريعة (ص١٥، ١٦)، واللالكائي (١١٢/١) وقال: حديث ثابت. وصححه البغوي في شرح السنة (٢١٣/١)، ومدار الحديث بهذه الزيادة على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، قال الحافظ في التقريب: «ضعيف في حفظه ...». انظر: الضعفاء للعقيلي (٣٣٢/٢)، والكامل في ضعفاء الرجال (٢٧٩/٤).

فَهَلاَّ قَالَ مَنْ تَمَسَّكَ بِظَاهِرِ القُرْآنِ فِي بَابِ الاعْتِقَادِ فَهُوَ ضَالٌّ؟[١] وإنَّما الهُدَى رُجُوعُكُمْ إِلَى مَقَايِيسِ عقولِكُمْ، وَمَا يُحْدِثُهُ المُتَكَلِّمُونَ مِنْكُمْ بَعْدَ القُرُونِ الثَّلاثَةِ. وَإِنْ كَانَ قَدْ نَبَغَ أَصْلُهَا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ التَّابِعِينَ.[٢]

---

(١) هل قال الرسول: لا تمسكوا بظاهر ومدلول القرآن؛ لأن من تمسك به، فهو ضال كما يقوله هؤلاء؟! حاشا وكلا، بل قال: من تمسك به، فهو الناجي: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» وقال: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي**» الكتاب والسنة.

(٢) لأن هذا الجدل وهذه القواعد المنطقية وهذا البلاء إنما حدث بعد القرون المفضلة الأربعة أو الثلاثة، قال ﷺ: : «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...**»قال الراوي: لا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، ثم قال: «**إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ وَيَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ ولا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ**»[٧١] إلى آخر ما قاله ﷺ في وصف الخلوف. فهذه الفتن إنما حدثت بعد القرون المفضلة .=

---

(٧١) سبق تخريجه (ص٦٧).

ثُمَّ أَصْلُ هَذِهِ المَقَالَةِ - مَقَالَةِ التَّعْطِيلِ لِلصِّفَاتِ - إِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ تَلامِذَةِ اليَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ، وضُلَّالِ الصَّابِئِينَ؛[1]

=نعم، منها شيء حدث في عصر آخر الصحابة وعصر التابعين، لكن لم يظهر؛ لأن الإسلام قوي، ولم تظهر الفرق إلا بعد مضي القرون المفضلة عند ضعف المسلمين.

(١) لما فرغ - رحمه الله - من المقارنة بين ما دل عليه الكتاب والسنة من العقائد الصحيحة وما عليه المتأخرون من العقائد الباطلة، أراد أن يبين سند أهل الضلال، من أين جاءهم هذا المذهب، من أين أخذوه؟ لأنه بين أن أهل السنة والجماعة أخذوا مذهبهم من الكتاب والسنة ومما عليه السلف الصالح، وهؤلاء المتأخرون أهل الضلال من أين أخذوا مذهبهم؟ أخذوه من اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فهم أخذوه من هذه الأمم الكافرة.

فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ حُفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ المَقَالَةَ فِي الإِسْلامِ هُوَ الجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ[٧٢]، وَأَخَذَهَا عَنْهُ الجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ[٧٣]؛ وَأَظْهَرَهَا فَنُسِبَتْ مَقَالَةُ الجهميَّةِ إِلَيْهِ.(١)

---

(١) الجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ: في آخر الدولة الأموية، قتله الأمير خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى، لما خطب خطبة العيد ـ رحمه الله ـ قال: (أَيُّهَا النَّاسُ، ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا)، فنزل عن المنبر وذبحه. وهكذا كان أمراء الإسلام يقتلون الزنادقة والملاحدة؛ كفاً لشرهم.

---

(٧٢) هو مؤسس مذهب التعطيل، قتله خالد القسري يوم الأضحى سنة أربع وعشرين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٣/٥)، والبداية والنهاية (٣٥٠/٩).

(٧٣) الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شراً عظيماً، رأس في التعطيل، قتله سَلْم بن أحوز سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٨٦/١)، والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (١٥٩/٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٩٠).

وابن القيم نظم هذا في قوله :[٧٤]

مِنْ أَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدُ الْـ ... قَسْرِيّ يَـومَ ذَبـائِحِ الْقُرْبَـانِ

إِذْ قَـالَ إِبْـرَاهِيمُ لَـيْسَ خَلِيلَـهُ ... كَلاَّ وَلاَ مُوسَى الْكَلِيمُ الدَّانِي

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ ... للهِ درّكَ مِـنْ أَخِـي قُرْبَـانِ

والجهم بن صفوان أخذ هذا المذهب عن الجعد، ونسبت إليه الجهمية، فالجعد أصَّل المذهب ، لكن نُسب إلى الجهم؛ لأنه هو الذي أظهر هذه المقالة الخبيثة، فنُسبت إليه.

---

(٧٤) انظر: النونية بشرح ابن عيسى (١/٥٠- ٥١).

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الجَعْدَ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ سَمْعَانَ، وَأَخَذَهَا أَبَانُ عَنْ طَالُوتَ بْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ، وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ السَّاحِرِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ[75].(١) وَكَانَ الجَعْدُ هَذَا فِيمَا قِيلَ مِنْ أَهْلِ حرَّانَ،(٢)

---

(١) هذا سند الجهمية، إمامهم الجهم بن صفوان أخذ عن الجعد بن درهم، عن أبان بن سمعان، عن طالوت، عن لبيد بن الأعصم اليهودي، الذي سحر النبي ﷺ. يا له من سند قبيح!

(٢) فهو أخذ هذه المقالة عن اليهود، وأيضاً أخذها عن جماعة النمرود في أرض حران، وهم الصابئة الذين يعبدون الكواكب، فهو أخذها عن اليهود و الصابئة. وهذا معنى قول الشيخ فيما سبق عن قول جهم: إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئة.

---

(٧٥) ذكر هذه السلسلة ـ سلسلة التعطيل ـ: ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/١٩)، والصفدي في الوافي بالوفيات (١١/٦٨)، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٩/٧٢).

وَكَانَ فِيهِمْ[١] خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّابِئَةِ وَالْفَلاسِفَةِ، بَقَايَا أَهْلِ دِينِ النَّمْرُودِ[٧٦]، وَالْكَنْعَانِيِّينَ[٧٧] الَّذِينَ صَنَّفَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي سِحْرِهِمْ،[٢]

(١) أي: في أهل حران أخلاط من أصحاب الملل الكفرية تلقى الجعد مقالته عنهم.

(٢) وهو الرازي، حيث صنف كتاباً قبيحاً اسمه: «السر المكتوم في مخاطبة النجوم»[٧٨].

(٧٦) هو النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، كان أحد ملوك الدنيا استمر في ملكه أربعمائة سنة، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حاج إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية. انظر: تاريخ الطبري (١٤٢/١)، والمعارف لابن قتيبة (ص٣١)، والبداية والنهاية (١٤٨/١).

(٧٧) نسبة إلى كنعان بن سام بن نوح، قوم من العتاة الجبابرة كانوا يسكنون الشام ويعبدون الكواكب السبعة، انظر: البداية والنهاية (١٤٠/١)، والبدء والتاريخ (٢٧/٣)، والمنتظم لابن الجوزي (٢٥١/١).

(٧٨) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٦): (قد ذكر أبو عبد الله الرازي أن أنواع السحر ثمانية الأول: سحر الكذابين، والكشدانيين؛ الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة وهي السيارة وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم وأنها تأتي بالخير والشر وهم الذين بعث الله إليهم إبراهيم الخليل ﷺ مبطلا لمقالتهم =

وَالنَّمْرُودُ هُوَ: مَلِكُ الصَّابِئَةِ الكَنْعَانِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا أَنَّ كِسْرَى مَلِكُ الفُرْسِ وَالْمَجُوسِ، وَفِرْعَوْنَ مَلِكُ القِبْطِ الكُفَّارِ، [١] وَالنَّجَاشِيَ مَلِكُ الحَبَشَةِ النَّصَارَى، فَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ، لاَ اسْمُ عَلَمٍ. [٢]

---

(١) من ملك الفرس يقال له: كسرى، ومن ملك الروم يقال له: هرقل، ومن ملك الحبشة يقال له: النجاشي، ومن ملك مصر يقال له: فرعون.

(٢) فهذه الألقاب اسم جنس وليست علمًا على شخص معين.

=

ورادًا لمذهبهم وقد استقصى في كتاب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم المنسوب إليه كما ذكرها القاضي بن خلكان وغيره ويقال إنه تاب منه . وقيل : بل صنفه على وجه إظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد وهذا هو المظنون به .) ا.هـ

.

كَانَت الصَّابِئَةُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ إِذْ ذَاكَ عَلَى الشِّرْكِ[١] وَعُلَمَاؤُهُمْ الفَلاسِفَةُ،[٢] وَإِنْ كَانَ الصَّابِئُ قَدْ لاَ يَكُونُ مُشْرِكًا، بَلْ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].[٣]

---

(١) الصابئة على قسمين:

قسم موحدون: وهم المذكورون في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، فذكرهم الله في أهل الملل، فهؤلاء صابئة موحدون.

وقسم مشركون: وهم جماعة النمرود الذين يعبدون الكواكب.

(٢) الفلاسفة ليسوا علماء وحي؛ لأنهم ليس عندهم كتاب ولا رسل، وإنّما يعتمدون على عقولهم وعلى حكمتهم ـ كما يزعمون ـ.

(٣) دلّ هذا على أن هناك من الصابئة من هم من أهل الإيمان، وأما الصابئة المشركون، فهم يعبدون غير الله.

لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ، أَوْ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ،(١) كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا وَصَارُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ،(٢) فَأُولَئِكَ الصَّابِئُونَ الَّذِينَ كَانُوا إِذْ ذَاكَ، كَانُوا كُفَّارًا مُشْرِكِينَ وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الكَوَاكِبَ، وَيَبْنُونَ لَهَا الهَيَاكِلَ.(٣)

---

(١) أكثر الصابئة مشركون، وقليل منهم صابئة موحدون.

(٢) أصل اليهود والنصارى كانوا على الإيمان؛ لأن اليهود أتباع موسى عليه السلام، والنصارى أتباع عيسى بن مريم عليه السلام، لكن بعد ذلك حرفوا وبدلوا وغيروا، وبقي منهم بقايا على الدين الصحيح، منهم من مات قبل البعثة، وكفروا، ومنهم من بقي إلى أن بُعث محمد ﷺ، فآمنوا به، فآمنوا بجميع الرسل، ولذلك حازوا الأجر العظيم. أما غالبهم فإنهم حرفوا ديانتهم، وغيروها، وبدلوها، وكفروا بالله؛ كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة: ١]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]

(٣) (كانوا إذ ذاك) يعني على وقت الخليل عليه السلام، كانوا كفاراً ومشركين، وهم في أرض بابل من أرض العراق.=

وَمَذْهَبُ النُّفاةِ مِنْ هَؤُلاءِ فِي الرَّبِّ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إلا صِفَاتٌ سَلْبِيَّةٌ، [١] أَوْ إِضَافِيَّةٌ [٢] أَوْ مُرَكَّبَةٌ مِنْهَا، [٣]

=ومنهم جماعة في حران ـ التي قيل أن الجعد منها ـ شمالي الشام.

(١) السلبية من السلب (النفي)، فلا يصفون الله إلا بالنفي، فيقولون: الله ليس له وجه، ليس له يد، ليس له ..، الله ليس في جهة: لا فوق، ولا تحت، ولا يمنة، ولا يسرة، إلى آخره، ليس عندهم إلا النفي في حق الله ﷻ، حتى يجعلوه معدوماً ـ تعالى الله عن ذلك ـ .

(٢) والصفة الإضافية التي لا تُتصور إلا مع غيرها، مثل: والد، هذا ما يُتصور إلا إذا كان معه ولد، وكلمة فوق لا يُتصور إلا إذا كان تحته شيء، هذه الصفات الإضافية، وهي الصفة التي لا تُتصور إلا بإضافتها إلى غيرها.

(٣) أو مركبة من السلبية والإضافية، وكلاهما باطل .

وَهُم الَّذِينَ بُعِثَ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ إِلَيْهِمْ.(١) فَيَكُونُ الجَعْدُ أَخَذَهَا عَنِ الصَّابِئَةِ الفَلاسِفَةِ.(٢) وَكَذَلِكَ أَبُو نَصْرٍ الفَارَابِي(٧٩) دَخَلَ حَرَّانَ،(٣) وَأَخَذَ عَنْ فَلاسِفَةِ الصَّابِئِينَ تَمَامَ فَلْسَفَتِهِ،(٤)

---

(١) إبراهيم عليه السلام أرسله الله إلى الصابئة في بلاد بابل من العراق، ثم لما تمردوا عليه، وعصوا، وألقوه في النار، وأنجاه الله منها، هاجر إلى الشام: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، فهاجر من أرض بابل إلى أرض الشام، ووضع بعض ذريته في الشام، ووضع بعضهم في مكة وهو إسماعيل وأمه ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

(٢) الجعد أخذ مقالته عن ثلاث فرق من أهل الضلال: عن الصابئة، وعن اليهود، وعن الفلاسفة.

(٣) أبو نصر الفارابي هو المعلم الثاني للفلسفة، والمعلم الأول للفلسفة أرسطو اليوناني.

(٤) هذا مبلغ علم الفارابي أنه ذهب إلى الصابئة المشركين، =

---

(٧٩) هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي، ولد حوالي سنة تسع وخمسين ومائتين، وتوفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. انظر: وفيات الأعيان (٥/١٥٤)، والوافي بالوفيات (١/١٠٢)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٤١٨).

وَأَخْذَهَا الجَهْمُ أَيْضًا ـ فِيمَا ذَكَرَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[٨٠] ـ لَمَّا نَاظَرَ "السُّمَنِيَّةَ"[٨١] بَعْضَ فَلاسِفَةِ الهِنْدِ،[١] وَهُم الَّذِينَ يَجْحَدُونَ مِنَ العُلُومِ مَا سِوَى الحِسِّيَّاتِ.[٢]

=وتتلمذ عليهم وأخذ الضلال عنهم، ومع هذا يفتخر به الجهال من المسلمين، كما يفتخرون بابن سينا الإسماعيلي والنصير الطوسي الشيعي، وغيرهم من أقطاب الضلال.

(١) هذه آفة أيضاً رابعة، وهي أن الجهم أخذ عن السُمنية وهم فلاسفة الهند البراهمة.

(٢) لا يؤمنون إلا بما يرونه، أما ما غاب عنهم فلا يؤمنون به، لا يؤمنون أن هناك ربا ولا بعثًا ولا نشورًا، ولا يؤمنون بالماضي، =

(٨٠) انظر: تفصيل ذلك في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص١٩ ـ ٢١)، واعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/٣٨٠، ٣٨١)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٢٨ ـ ١٣٠)، ومجموع الفتاوى (٤/٢١٧ ـ ٢١٩).

(٨١) السُّمَنِيَّةُ بضم السين وفتح الميم نسبة إلى سومنات قرية بالهند، وهي فرقة من عبدة الأصنام تقول بقدم العالم.

انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٥٣)، ولسان العرب (١٣/٢٢٠)، ومختار الصحاح (ص١٣٢)، والمصباح المنير (١/٢٩٠)، والتعاريف للمناوي (ص٤١٥).

فَهَذِهِ أَسَانِيدُ جَهْمٍ تَرْجِعُ إِلَى اليَهُودِ وَالصَّابِئِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْفَلاسِفَةِ الضَّالِّينِ إِمَّا مِنَ الصَّابِئِينَ، وَإِمَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.[١] ثُمَّ لَمَّا عُرِّبَتِ الكُتُبُ الرُّومِيَّةُ فِي حُدُودِ المِائَةِ الثَّانِيَةِ زَادَ البَلاءُ[٢]

=إنما يؤمنون بالحاضر الذي يرونه فقط، هؤلاء يسمون الآن الماديين، لأنه لا يؤمنون إلا بالمادة المحسوسة.

(١) هذه أسانيد جهم، الذي تتلمذ على أهل الضلال، هذه حصيلته، وهذه نتيجته وعاقبته.

أخذها من الفرق الأربع: عن اليهود، وعن الصابئين المشركين، وعن الفلاسفة: فلاسفة اليونان، وفلاسفة الهند.

(٢) يريد الشيخ أن يبين متى دخل الضلال على المسلمين، فيقول: بداية دخول الضلال على المسلمين لما عُربت الكتب الرومية على عهد المأمون، وهي تشتمل على: الفلسفة، وعلم الكلام، والمنطق، يسمونها: براهين، وأدلة؛ لأنهم ليس عندهم شيء من الوحي، وإنما يعتمدون على عقولهم، وعلى ما يقوله قدماؤهم، ويتوارثونه، وكان الإسلام سالماً من هذه الكتب، وكان المسلمون مقتصرين على كتاب الله وعلى سنة رسول الله وعلى كلام السلف من الصحابة والتابعين، ولم يحدث خلل عند المسلمين؛ بسبب أنها لم تدخل عليهم هذه الكتب،

وليست بلغتهم، ولا يعرفونها؛ لأنها كتب أعجمية، وكانوا مستغنين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم في عهد المأمون العباسي[٨٢]، وكان مغرماً بتلك الكتب الأجنبية بسبب البطانة التي عنده من المعتزلة الذين يعتمدون على علم المنطق، وهو ولي الخلافة بعد أخيه الأمين، لما توفي هارون الرشيد - رحمه الله - خلفه من بعده ابنه الأمين، ثم إن المأمون ثار عليه، وشق عصا الطاعة عليه، وانتهى الأمر بتولي المأمون، وكان رجلاً ذكياً وقوياً، لكنه استوزر أهل الضلال من المعتزلة، كبشر المريسي وابن أبي دؤاد، وكان يميل إلى هؤلاء، فأثروا عليه في عقيدته، واستمالوه إلى هذه الكتب، ومدحوها عنده، وكان مغرماً بالثقافة والعلوم، فتأثر بها - وهكذا الإنسان يتأثر بجلسائه وبطانته، إذا كانوا بطانة سوء - فاعتنق مذهب الاعتزال، والقول بخلق القرآن، وأراد أن يُجبر الناس على القول بخلق القرآن، وامتحن الناس محنة شديدة، وقتل منهم من قتل، وضرب منهم من ضرب، وضرب الإمام أحمد وسجنه، ولكن الإمام أحمد - رحمه الله - ثبت، وصمد، وصبر على

---

(٨٢) المأمون هو: أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠، وتوفي سنة ٢١٨هـ، أمر بتعريب كتب الأوائل، ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن وبالغ في ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٢٧٢)، وتاريخ بغداد (١٠/١٨٣).

الضرب والحبس والإهانة، وتطاول المأمون على الأئمة، كل هذا بسبب جلساء السوء، وإلا فهو في الأصل ليس منهم، لكن أثروا عليه، فاعتنق مذهبهم، وظنه حقاً، وأنه براهين وأدلة، فانطلى عليه هذا المذهب، ولكن الله قيض الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ فثبت، واقتدى الناس به، وصبر على السجن والضرب والمحنة، ثم لما مات المأمون خلفه أخوه المعتصم، وسار على نفس خط المأمون، وواصل المحنة، وضرب الإمام أحمد، وسجنه. ثم جاء عهد الواثق (٨٣)، من بعد المعتصم(٨٤)، ثلاثة خلفاء كلهم على هذا المنوال، والإمام أحمد ـ رحمه الله ـ ثابت لا يتضعضع، والناس ينظرون إليه ماذا يقول؟ فكانوا يضربونه؛ ليقول بخلق القرآن، وهو يقول: هاتوا لي دليلاً من كتاب الله أو من سنة رسول الله، القرآن منزل غير مخلوق. ثم إن الله =

---

(٨٣) الواثق هو: الواثق بالله هارون بن محمد بن هارون أبو جعفر، بويع يوم وفاة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ وهو ابن سبع وثلاثين سنة وتسعة أشهر، وتوفي بسامراء سنة ٢٣٢ هـ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وكان ممن امتحن الإمام أحمد. انظر: مروج الذهب (٤٧٧/٣)، سير أعلام النبلاء (٣٠٦/١٠)، وتاريخ بغداد (١٤- ١٥).

(٨٤) المعتصم هو: محمد بن الرشيد هارون العباسي أبو إسحاق، ولد سنة ١٨٠ هـ، امتحن الناس بخلق القرآن ودام ذلك حتى أزاله المتوكل، مات سنة ٢٢٧. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٠/١٠) والشذرات (٢/ ٦٣، ٦٤).

مَعَ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ الضُّلَّالِ ابْتِدَاءً، مِنْ جِنْسِ مَا أَلْقَاهُ فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ.(١)

= أذن بالفرج، فمات الواثق، ويقال: إنه رجع في آخر أيامه، والله أعلم، لكن مات، وجاء بعده المتوكل ابن المعتصم(٨٥)، فناصر السنة، ورفع المحنة، وكرَّم الإمام أحمد، فعند ذلك انتصر الحق على يد المتوكل ـ رحمه الله ـ، وقرَّب الإمام أحمد، وكرَّمه، وأيده، فزالت المحنة والحمد لله، وانتصر أهل الحق، واندحر أهل الباطل.

(١) هناك ناس أهل ضلال، لكن كانوا ساكتين على ضلالهم، فليس كلّ المجتمع يكون صالحاً وصافياً، لا بد أن يكون فيه من أهل الضلال، لكن إذا رأوا قوة الحق، سكتوا، فإذا سنحت لهم الفرصة، أظهروا ما عندهم؛ ولذلك لما عُربت هذه الكتب، ظهر شرهم واستعانوا بها سلاحاً في نحور المسلمين، مثل ما تشاهدون اليوم لما جاءت هذه الفتنة من الكفار على الإسلام وأهل الإسلام، ظهر من المسلمين من يؤيد

---

(٨٥) هو: أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور القرشي العباسي البغدادي، ولد سنة خمس ومائتين، وبويع عند موت أخيه الواثق في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين، توفي سنة سبع وأربعين ومائتين.

انظر: تاريخ بغداد (٧/١٦٥، ١٧٢) والبداية والنهاية (١٠/٣١٠ ومابعدها).

الكفار، ويدعو بدعوتهم، ظهر من أولاد المسلمين ومن المنتسبين إلى العلم من انحاز إلى صف الكفار، يؤيدهم، ويُحبذ أفكارهم، ويروج لها، هذه سنة الله في خلقه أنه يبتلي عباده؛ ليتميز المؤمن الصادق من المنافق ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ [التوبة: ١٦]، ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾، [آل عمران: ١٧٩] لا نعرف أهل الشر إلا عند الفتن.

وَلَمَّا كَانَ فِي حُدُودِ المِائَةِ الثَّانِيَةِ[١] انْتَشَرَتْ هَـٰذِهِ المَقَالَةُ الَّتِي كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَهَا مَقَالَةَ الْجَهْمِيَّةِ،[٢] بِسَبَبِ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيِّ[٨٦] وَطَبَقَتِهِ،[٣]

---

(١) ولما جاءت المئة الثانية من الهجرة زاد البلاء، وظهرت مقالة الجهمية، وظهرت المقالات المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، وكلما تأخر الزمان، يزداد الشر، كما قال ﷺ: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إلا الذي بَعْدَهُ شَرٌّ منه حتى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»[٨٧].

(٢) نسبة إلى الجهم بن صفوان ـ كما سبق ـ، وأنه أخذها عن الجعد بن درهم، والجعد بن درهم أخذها عن اليهود.

(٣) أحد جلساء المأمون، وهو بشر بن غياث المريسي المعتزلي، الذي ناصب الإمام أحمد العداوة والبغضاء، وحث المأمون على أذيته =

---

(٨٦) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي، من موالي آل زيد بن الخطاب ﷺ، جرد القول بخلق القرآن ودعا إليه، كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، مات سنة ثماني عشرة ومائتين وقد قارب الثمانين.

انظر: تاريخ بغداد (٧/٥٦)، والأنساب (٥/٢٦٧)، والوافي بالوفيات (١٠/٩٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/١٩٩، ٢٠٠).

(٨٧) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) .من حديث أنس ﷺ.

وَكَلامُ الأَئِمَّةِ مِثْلُ: مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَبِشْرٍ الْحَافِي، وَغَيْرِهِمْ، فِي هَؤُلاءِ كَثِيرٌ، فِي ذَمِّهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ.[1]

=وضربه، بل أمر المأمون بقتله، وقال: اقتله، وأنا أتحمل دمه. ولكن الله عصم المأمون من ذلك.

(١) كلام الأئمة في ذم هؤلاء الذين أدخلوا على الإسلام ما ليس منه - كبشر المريسي وأحمد بن أبي دؤاد، وغيرهم من علماء الضلال - والتحذير منهم كثير معروف، وهذا مما ينصر الله به دينه، فأهل الحق يردون على أهل الباطل، وينقضون شبههم: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

وَهَذِهِ التَّأْوِيلاتُ المَوْجُودَةُ اليَوْمَ بِأَيْدِي النَّاسِ مِثْلُ أَكْثَرِ التَّأْوِيلاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ[٨٨] فِي كِتَابِ (التَّأْوِيلاتِ)، [١]

---

(١) التأويلات: جمع تأويل، والتأويل يُطلق ويراد به: التفسير، ويُطلق ويراد به: صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا هو المقصود هنا، ويُطلق ويراد به: ما يؤول إليه الأمر في النهاية، والشيخ يقصد المعنى الثاني، وهو صرف اللفظ عن ظاهره؛ لأنهم صرفوا النصوص عن ظاهرها، وقالوا: ظاهرها غير مراد، إنما يراد بها معانٍ أخرى. أو لا يعلمها إلا الله، ويفوضونها، هذا مذهب أهل الضلال.

---

(٨٨) هو شيخ المتكلمين أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، درس مذهب الأشاعرة على أبي الحسن الباهلي تلميذ أبي الحسن الأشعري، دعي إلى غزنة وجرت له مناظرات، وكان شديد الرد على ابن كرام، ثم عاد إلى نيسابور فسموه في الطريق سنة ست وأربعمائة، وكان مولده سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٢١٤، ٢١٥)، والعبر (٣/٩٧)، والوافي بالوفيات (٢/٢٥٤)، والأنساب (٢/٢١١)، وشذرات الذهب (٣/١٨١).

وَذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الرَّازِيُّ[٨٩] فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ (تَأْسِيسَ التَّقْدِيسِ)، [١]

---

(١) هو فخر الدين الرازي صاحب التفسير، له كتاب سماه: «تأسيس التقديس» جمع فيه التأويلات التي يعتقدها، ويذهب إليها، فهو أسوأ كتاب في هذا الموضوع، وجاء شيخ الإسلام ابن تيمية ونقضه بكتاب ضخم اسمه «نقض التأسيس»[٩٠]، وهو من عيون مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية.

---

(٨٩) سبقت ترجمته (ص٩٠).

(٩٠) مطبوع في دار العاصمة بتحقيق جماعة من طلاب الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد طبعته وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.

وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهَا فِي كَلامِ خَلْقٍ غَيْرِ هَؤُلاءِ، مِثْل: أَبِي عَلِيٍّ الجُبَّائِيِّ[(٩١)]، وَعَبْدِ الجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ الْهَمْدَانِيِّ[(٩٢)]، وَأَبِي الحُسَيْنِ البَصْرِيِّ[(٩٣)]، وَأَبِي الوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ[(٩٤)]،

---

(٩١) هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام البصري، أبو علي الجبائي، شيخ طائفة الاعتزال في زمانه، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه، كان مولده في سنة خمس وثلاثين ومائتين، وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة.
انظر: وفيات الأعيان (٤/٢٦٧)، والبداية والنهاية (١١/١٢٥).

(٩٢) هو عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمذاني الاسترابادي المعتزلي صاحب التصانيف المشهورة في الاعتزال وتفسير القرآن، توفي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة بالري، ودفن في داره.
انظر: تاريخ بغداد (١١/١١٣)، وسير أعلام النبلاء (١٧/٢٤٤، ٢٤٥).

(٩٣) هو شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف الكلامية أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، توفي ببغداد في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وأربعمائة وقد شاخ.
انظر: تاريخ بغداد (٣/١٠٠)، ووفيات الأعيان (٤/٢٧١).

(٩٤) هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبدالله البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم صاحب التصانيف، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. انظر: الوافي بالوفيات (٢٠/٦٦)، (٢١/٢١٨)، و سير أعلام النبلاء (١٩/٤٤٣).

وَأَبِي حَامِدٍ الْغَزَّالِيِّ[٩٥]، وَغَيْرِهِمْ؛ هِيَ بِعَيْنِهَا التَّأْوِيلاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا بِشْرٌ الْمَرِيسِيُّ ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُوجَدُ فِي كَلامِ بَعْضِ هَؤُلاءِ رَدُّ التَّأْوِيلِ وَإِبْطَالُهُ أَيْضًا، وَلَهُمْ كَلامٌ حَسَنٌ فِي أَشْيَاءَ.[١]

---

(١) الشيخ ـ رحمه الله ـ يقول: يوجد في كلام هؤلاء شيء من الخير ومن الحق، ولا ينبغي إذا كان الإنسان له حسنات، وعنده خير أن نغضي عن الباطل الذي عنده والضلال الذي عنده، بل نبين هذا، ولا نتأثر بمن يقولون بالموازنات، ويريدون أن يغطوا الأخطاء التي عند بعض الناس، وهذا غش للمسلمين وترويج للباطل.

---

(٩٥) .هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وتفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، ومن أشهر مصنفاته كتاب إحياء علوم الدين، فيه أحاديث كثيرة، وغرائب، ومنكرات، وموضوعات، توفي بطوس سنة خمس وخمسمائة. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٧٣)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ١٩١)، والصواعق المرسلة (٣/ ٨٤٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٢٧).

فَإِنَّمَا بَيَّنْتُ أَنَّ عَيْنَ تَأْوِيلاتِهِمْ هِيَ عَيْنُ تَأْوِيلاتِ الْمَرِيسِيِّ، [١] وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ كِتَابُ الرَّدِّ الَّذِي صَنَّفَهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ [٩٦] أَحَدُ الأَئِمَّةِ الْمَشَاهِيرِ فِي زَمَانِ الْبُخَارِيِّ، صَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ: (رَدُّ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى الكَاذِبِ العَنِيدِ فِيمَا افْتَرَى عَلَى اللَّهِ فِي التَّوْحِيدِ) [٢]

---

(١) التأويلات التي في كتب الأشاعرة، وكتب المعتزلة، وكتب الماتُريدية، هي تأويلات المريسي الذي هو رأس الضلالة.

(٢) عثمان بن سعيد الدارمي - رحمه الله - من أئمة أهل السنة ومن المحدثين، رد على هذا الخبيث بشر المريسي، برد حافل جيد، وبأسلوب قوي، والكتاب مطبوع، واسمه: =

---

(٩٦) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الامام العلامة الحافظ الناقد أبو سعيد التميمي الدارمي السجستاني صاحب المسند الكبير والتصانيف، ولد قبل المائتين بيسير، له رد على المريسي والجهمية، وهو الذي يشير إليه شيخ الإسلام هنا، وهو مطبوع باسم «رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد»، أو «نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد».

انظر: تاريخ دمشق (٣٨/٣٦١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/٣١٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/٣٠٢)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٢٧٧).

حَكَى فِيهِ هَذِهِ التَّأْوِيلاتِ بِأَعْيَانِهَا عَنْ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ بِكَلامٍ يَقْتَضِي أَنَّ الْمَرِيسِيَّ أَقْعَدُ بِهَا، وَأَعْلَمُ بِالْمَنْقُولِ وَالْمَعْقُولِ مِنْ هَؤُلاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ اتَّصَلَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ، ثُمَّ رَدَّ ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ بِكَلامٍ إِذَا طَالَعَهُ الْعَاقِلُ الذَّكِيُّ عَلِمَ حَقِيقَةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَتَبَيَّنَ لَهُ ظُهُورُ الْحُجَّةِ لِطَرِيقِهِمْ، وَضَعْفُ حُجَّةِ مَنْ خَالَفَهُمْ.(١)

= «رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد».

(١) وهذا من لطف الله أنه يقيض لأهل الباطل من يرد عليهم في كل زمان ومكان، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يستمع للمخذل والمرجف، بل يستمر، ويمضي في بيان الحق، ورد الباطل. هذا هو الواجب على العالم، لاسيما عند الحاجة، فإنه لا يسكت، ولا يترك أهل الضلال يعيثون في الأرض فساداً، ويضللون الناس، ويروجون أفكارهم، بل يجب على العلماء أن يبينوا، ويردوا على هؤلاء. وهذا من رحمة الله أنه لا يخلو وقت من قائم لله بحجة يرد على أهل الباطل، وينصر الحق وأهله.

ثُمَّ إِذَا رَأَى الأَئِمَّةَ ـ أَئِمَّةَ الهُدَى ـ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى ذَمِّ الْمَرِيسِيَّةِ وَأَكْثَرُهُمْ كَفَّرُوهُمْ أَوْ ضَلَّلُوهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّ هَذَا القَوْلَ السَّارِيَ فِي هَؤُلاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ هُوَ مَذْهَبُ الْمَرِيسِيَّةِ: تَبَيَّنَ الهُدَى لِمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ هِدَايَتَهُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ.(١)

---

(١) بعض العلماء كفَّر الجهمية بما قالوه من الكفر والضلال، وبعضهم لا يكفر المقلدين منهم، لكن يحكم عليهم بالضلال، لكن من كان منهم عالماً، ويتعمد التضليل، فهو كافر بلا شك؛ لأنه معاند لكتاب الله وسنة رسوله، لكن أجمعوا على ذمهم وتضليلهم، وإن اختلفوا في تكفيرهم أو عدم تكفيرهم.

إذا عرف من يريد الحق أن هذه التأويلات التي عندهم، هي التأويلات المريسية التي نشأت من تعريب كتب الروم في وقت المأمون؛ يتبين له الحق ـ إن كان يريد الحق ـ، أما من لا يريد الحق، فهذا تقوم عليه الحجة، وقد وجد في زماننا من يمجد هؤلاء الضلال والملاحدة، ويسفه من رد عليهم وبين باطلهم. ولكل قوم وارث، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

وَالْفَتْوَى لاَ تَحْتَمِلُ البَسْطَ فِي هَذَا البَابِ، وَإِنَّمَا نُشِيرُ إِشَارَةً إِلَى مَبَادِئِ الأُمُورِ، وَالْعَاقِلُ يَسِيرُ فَيَنْظُرُ.[(١)]
وَكَلامُ السَّلَفِ فِي هَذَا البَابِ مَوْجُودٌ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ لاَ يُمْكِنُ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا إِلا قَلِيلاً مِنْهُ، مِثْلُ كِتَابِ (السُّنَنِ) لِللاَّلَكَائِي[(٩٧)]، [(٢)]

---

(١) هذه الفتوى التي كتبها الشيخ جواباً لمن سأله عن مذهب أهل العلم في الأسماء والصفات لا تحتمل البسط والتفصيل، وهذا اعتذار منه ـ رحمه الله ـ عن البسط ؛ لأن الفتوى يجب أن تكون مختصرة .
(٢) هو الإمام هبة الله اللالكائي صاحب شرح أصول أهل السنة، وهو شرح حافل ومرجع كبير من مراجع أهل السنة.

---

(٩٧) هو الإمام الحافظ المجود المفتي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي، الشافعي، توفي في رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة، وكتابه المذكور ذكره الذهبي والخطيب البغدادي وغيرهما، وهو مطبوع باسم: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة».
انظر لترجمته: تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٩)، والوافي بالوفيات (٢٧/ ١٥٤).

وَ(الإِبَانَةِ) لابْنِ بَطَّةَ[٩٨]، وَ(السُّنَّةِ) لأَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ[٩٩]، وَ(الأُصُولِ) لأَبِي عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيِّ[١٠٠]، وَكَلامِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ البَرِّ[١٠١]،

---

(٩٨) هو الإمام القدوة العابد المحدث الفقيه شيخ العراق، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد ابن حمدان العكبري الحنبلي، المعروف بابن بطة، ولد سنة أربع وثلاثمائة، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وله كتاب «الإبانة الصغرى»، و«الإبانة الكبرى»، وكلاهما مطبوع. لترجمته انظر: تاريخ بغداد (١٠/٣٧١)، وسير أعلام النبلاء ٦/٢٢٩)، والبداية والنهاية (١١/٣٢١، ٣٢٢).

(٩٩) هو الإمام الحافظ عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الخراساني الهروي، الفقيه المالكي، ولد سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة، وتوفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ومن مصنفاته: كتاب السنة، ذكره الذهبي في السير.
انظر: تاريخ بغداد (١١/١٤١)، وسير أعلام النبلاء (١٧/٥٥٤، ٥٥٥).

(١٠٠) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافرى الأندلسي المقرى المحدث الحافظ عالم أهل قرطبة، الطلمنكي نسبة إلى مدينة (طلمنكة) بالأندلس، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة.
انظر: العبر (٣/١٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٧/٥٦٦)، والوافي بالوفيات (٨/٢٣).

(١٠١) هو الإمام العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف المليحة، ولد يوم الجمعة لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاث مائة، =

وَ(الأَسْـمَاءِ وَالـصِّفَاتُ) لِلْبَيْهَقِـي[١٠٢] وَقَبْـلَ ذَلِـكَ (الـسُّنَّةُ) للطبرانِي[١٠٣]،

=

وتـوفي سنة ثـلاث وستين وأربـع مائـة يـوم الجمعـة آخـر يـوم شـهر ربيـع الآخِـر.
انظـر: سـير أعـلام النـبلاء (١٨/١٥٣)، والـوافي بالوفيـات (٢٩/٩٩)، والبدايـة والنهاية (١٢/١٠٤)، وشذرات الذهب (٣/٣١٤).

(١٠٢) هـو الإمـام العلـم الحـافظ أبـو بكـر أحمـد بـن الحسين بـن علي الخسروجردي الشافعي، له تصانيف كثيرة مشهورة، ومنها كتاب (الأسماء والصفات) الـذي أشـار إليـه شـيخ الإسـلام مطبـوع في مجلـدين، وهـذا الكتـاب فيـه تـأويلات على مـذهب الأشـاعرة مخالفـة لمـذهب أهـل الـسنة، ولـد سـنة أربـع وثمـانين وثلاثمائـة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور.
انظر: العبر (٣/٢٤٤)، والأنساب (١/٤٣٨)، وشذرات الذهب (٣/٣٠٤).

(١٠٣) هو الإمام الحافظ سـليمان بـن أحمـد بـن أيـوب اللخمـي أبـو القاسـم الطبرانـي نسبة إلى طبرية
صاحب المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير، ولـه كتـاب مسند الـشاميين، وغير ذلك من المصنفات المفيدة؛ مولده سنة ستين ومـائتين بطبريـة الـشام، وسـكن أصـبهان إلى أن تـوفي بهـا يـوم الـسبت لليلـتين بقيتـا مـن ذي القعـدة سـنة سـتين وثلاثمائة.
انظـر: تـاريخ دمـشق (٢٢/١٦٣)، والعـبر (٢/٣٢١)، وسـير أعـلام النـبلاء (١٦/١١٩).

وَلأَبِي الشَّيْخِ الأَصْبَهَانِي[(١٠٤)]، وَلأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنْدَهْ[(١٠٥)]، وَلأَبِي أَحْمَدَ العَسَّالِ الأَصْبَهَانِي[(١٠٦)]،

---

(١٠٤) هو الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ صاحب التصانيف، ولد سنة أربع وسبعين ومائتين، وله كتاب (العظمة)، و(السنة) - وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام، توفي في المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٦٩)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٣٨٢).

(١٠٥) هو الإمام الحافظ محدث الإسلام محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، الثقة الرحالة، صنف التاريخ والناسخ والمنسوخ، ولد سنة عشر وثلاثمائة، وتوفي في أصفهان في صفر سنة ست وتسعين وثلاثمائة، له من المصنفات كتاب (الإيمان)، و(التوحيد)، و(الرد على الجهمية)، و(السنة) وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام.
انظر: تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٩)، وتاريخ أصبهان (٢/ ٢٧٨)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨، ٢٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٣٦)، وشذرات الذهب (٣/ ١٤٦).

(١٠٦) هو الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد أبو أحمد العسال الأصبهاني، أحد الأئمة الحفاظ وأكابر العلماء، توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، له من المصنفات: (تفسير القرآن)، و(التاريخ)، و(العظمة)، و(السنة)، وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام. انظر: تاريخ بغداد (١/ ٢٧٠)، والعبر (٢/ ٢٨٨، ٢٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٦، ٧)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٣٧)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٨٠).

وَقَبْلَ ذَلِكَ (السُّنَّةُ) لِلْخَلَّالِ[١٠٧]، وَ(التَّوْحِيدُ) لابْنِ خُزَيْمَةَ[١٠٨]، وَكَلامُ أَبِي العَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ[١٠٩]، وَ(الرَّدُّ عَلَى الجهميَّةِ) لِجَمَاعَةٍ[١١٠]، وَقَبْلَ ذَلِكَ (السُّنَّةُ) لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ[١١١]،

---

(١٠٧) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه شيخ الحنابلة وعالمهم أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، ولد في سنة أربع وثلاثين ومائتين أو في التي تليها، وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، له من المصنفات كتاب (الجامع في الفقه) في عشرين مجلداً، و(العلل) في ثلاث مجلدات، و(السنة) في ثلاثة مجلدات، وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام. انظر: تاريخ بغداد (١١٢/٥)، والعبر (١٥٤/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٩٧/١٤).

(١٠٨) هو كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، للإمام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف، قال عنه أبو حاتم بن حبان التميمي: «ما رأيت على وجه الأرض من يحفظ صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها، حتى كأن السنن كلها بين عينيه، إلا محمد بن إسحاق ابن خزيمة فقط» اهـ، وقال الإمام أبو العباس بن سريج ـ وذُكر له ابن خزيمة ـ: «يستخرج النكت من حديث رسول الله بالمنقاش» اهـ.

انظر: سير الأعلام (٣٦٥/١٤ ـ ٣٧٣)، وتذكرة الحفاظ (٧٢٠/٢ ـ ٧٢٨)، وشذرات الذهب (٢٦٢/٢، ٢٦٣).

(١٠٩) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي القاضي بشيراز، ويلقب بالباز الأشهب، صنف نحو أربعمائة مصنف، وكان أحد أئمة الشافعية،

و(السُّنَّةُ) لأَبِي بَكْرِ بْنِ الأَثْرَمِ[(١١٢)]، وَ(السُّنَّةُ) لِحَنْبَلٍ[(١١٣)]، وَلِلْمَرْوَذِيِّ[(١١٤)]،

=

قام بنصرة المذهب ،ورد على المخالفين، وتوفي ببغداد سنة ست وثلاثمائة. انظر: تاريخ بغداد (٤/٢٧٨)، ووفيات الأعيان (١/٦٦)، والوافي بالوفيات (٧/١٧١).

(١١٠) سيأتي قريباً ذكر بعضهم.

(١١١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني، كان من أروى الناس عن أبيه، ولد في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة تسعين ومائتين، وكتابه (السنة) الذي أشار إليه شيخ الإسلام مطبوع متداول.

انظر: تاريخ بغداد (٩/٣٧٥)، وطبقات الحنابلة (١/١٨٠)، والعبر (٢/٩٢).

(١١٢) هو الحافظ الثبت الثقة أحد الأئمة المشاهير أحمد بن محمد بن هاني الطائي الأثرم، تلميذ الإمام أحمد، توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وله من المصنفات كتاب (السنن)، و(العلل)، و(السنة) وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام، ولم أقف عليه مطبوعاً. انظر: طبقات الحنابلة (١/٦٦)، والعبر (٢/٢٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/٦٢٣).

(١١٣) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد أبو علي الشيباني، وهو ابن عم الإمام أحمد بن محمد بن حنبل وتلميذه، ولد قبل المائتين، وتوفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين، له من المصنفات: (الفتن)، و(المحنة)، و(السنة) وهو الذي

=

وَلأَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيِّ[115]، وَلابْنِ أَبِي شَيْبَةَ[116]، وَ(السُّنَّةُ) لأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ[117]، وَكِتَابُ (الرَّدُّ عَلَى الجهميَّةِ) لِعَبْدِاللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيِّ[118] شَيْخِ الْبُخَارِيِّ،

=

أشار إليه شيخ الإسلام. انظر: طبقات الحنابلة (١/١٤٣)، والعبر (٢/٥٧)، وسير أعلام النبلاء(١٣/٥١).

(١١٤) هو أحمد بن محمد بن الحجاج أبو بكر المروذي الفقيه، أحد الأعلام، وأجل أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، توفي في سادس جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومائتين، وكتاب (السنة) له مطبوع ومتداول.
انظر: طبقات الحنابلة (١/٥٦)، والعبر (٢/٦٠)، وسير أعلام النبلاء(١٣/١٧٣).

(١١٥) هو الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن يحيى بن عمران الأزدي السجستاني، صاحب السنن والتصانيف المشهورة، وأحد أئمة الحديث الرحالين إلى الآفاق في طلبه، جمع وصنف وخرج وألف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة والعراق وخراسان وغير ذلك، كان مولده في سنة ثنتين ومائتين، وتوفي بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثوري. انظر: تاريخ بغداد (٩/٥٥)، والعبر (٢/٦٠)، والبداية والنهاية (١١/٥٤)، وشذرات الذهب (٢/١٦٧).

وَكِتَابُ (خَلْقُ أَفْعَالِ العِبَادِ) لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ البُخَارِيِّ، وَكِتَابُ (الرَّدُّ عَلَى الجهميَّةِ) لِعُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيِّ(١١٩)، وَكَلامُ عَبْدِ

=

(١١٦) هو الإمام أحد الأعلام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي، ولد سنة تسع وخمسين ومائة، وتوفى في المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتين.
انظر: تاريخ بغداد (٦٦/١٠)، والعبر (٤٢١/١)، والوافي بالوفيات (٢٣٧/١٧).

(١١٧) هو الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني البصري الحافظ قاضي أصبهان، ولد سنة ست ومائتين، وتوفي سنة سبع وثمانين ومائتين، وله أكثر من ثلاثمائة مصنف، منها كتاب (السنة)، وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام، وهو مطبوع في مجلدين، بتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.
انظر: العبر (٨٥/٢)، والبداية والنهاية (٨٤/١١)، وشذرات الذهب (١٩٥/٢).

(١١٨) هو الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان بن أخنس بن خنيس أبو جعفر الجعفي البخاري المسندي، توفي في ذي القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٦٤/١٠)، والوافي بالوفيات (٢٣٦/١٧)، والعبر (٤٠٥/١).

(١١٩) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الامام العلامة الحافظ الناقد أبو سعيد التميمي الدارمي السجستاني صاحب المسند الكبير والتصانيف، ولد قبل المائتين

=

العَزِيزِ المَكِّيِّ[(١٢٠)] صَاحِبِ (الْحَيْدَةُ) فِي الرَّدِّ عَلَى الجهميَّةِ، وَكَلامُ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الخُزاعِيِّ[(١٢١)]، وَكَلامُ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ[(١٢٢)]،

=

بيسير، وطوف الأقاليم في طلب الحديث، له رد على المريسي والجهمية، وهو الذي يشير إليه شيخ الإسلام هنا، وهو مطبوع باسم «رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد»، أو «نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد»، وراجع ما سبق (ص٧٩).

انظر: تاريخ دمشق (٣٦١/٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٣١٩/١٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣٠٢/٢)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٢٧٧).

(١٢٠) هو الإمام عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي، وهو صاحب كتاب (الحيدة)، توفي سنة أربعين ومائتين.

انظر: الشذرات (٩٥/٢)، وتهذيب التهذيب (٣٦٣/٦)، والعبر (٤٣٤/١).

(١٢١) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث أبو عبد الله الخزاعي الأعور الفارض المروزي، حبس بسامر بسبب محنة القرآن حتى مات سنة ثمان وعشرين ومائتين.

انظر: تاريخ بغداد (٣٠٦/١٣)، والوافي بالوفيات (٩٨/٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٥٩٥/١٠).

(١٢٢) هو الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، المعروف بابن راهويه، ولد سنة إحدى وستين ومائة، وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين، كان إماماً مذكوراً مشهوراً من أهل مرو، سكن نيسابور، وكان متبوعاً له أقوال واختيارات، وهو من أقران الإمام أحمد بن حنبل، ، وقال عنه: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل

=

وَيَحْيَى بْنِ يَحْيَى النَّيْسَابُورِي[١٢٣]، وَأَمْثَالِهِمْ، وَقَبْلَ هَؤُلاءِ عَبْدُ اللهِ ابْنُ المُبَارَكِ[١٢٤] وَأَمْثَالُهُ وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ.

=

إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً. انظر: تاريخ بغداد (٣٤٥/٦)، وتاريخ دمشق (١١٩/٨)، والأنساب (٣٤/٣)، والوافي بالوفيات (٢٥١/٨)، وشذرات الذهب (٨٩/٢)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨٣/٢).

(١٢٣) هو الإمام الحافظ يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن أبو زكريا التميمي المنقري النيسابوري، ولد سنة اثنتين وأربعين ومائة، وتوفي سنة ست وعشرين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء(٥١٢/١٠)، والأنساب (٣٩٧/٥)، وشذرات الذهب (٥٩/٢).

(١٢٤) هو الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، مولى بني حنظلة من أهل مرو، كان مولده بها سنة ثماني عشرة ومائة، ومات في شهر رمضان منصرفاً من طرسوس سنة إحدى وثمانين ومائة، طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، ورحل سنة إحدى وأربعين ومائة، ولقي التابعين، وأكثر الترحال والتطواف إلى الغاية في طلب العلم والجهاد والحج والتجارة. انظر: الطبقات الكبرى (٤٩٧/٥)، والوافي بالوفيات (٢٢٥/١٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨، ٣٧٩).

وَعِنْدَنَا مِنَ الدَّلائِلِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ مَا لاَ يَتَّسِعُ هَذَا الْمَوْضِعُ لِذِكْرِهِ،[١]

---

(١) الدلائل السمعية هي: النصوص الواردة في الكتاب والسنة. والدلائل العقلية هي: البراهين التي يثبتها العقل الصريح المذكورة في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤ وآل عمران: ١٣]، ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وليس المراد بها علم الكلام والمنطق التي يعتمد عليها الجهمية والمعتزلة.

وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهُمْ شُبُهَاتٌ مَوْجُودَةٌ، لَكِنْ لَا يُمْكِنُ ذِكْرُهَا فِي الْفَتْوَى، فَمَنْ نَظَرَ فِيهَا وَأَرَادَ إِبَانَةَ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الشُّبَهِ فَإِنَّهُ يَسِيرٌ.[١]

وَإِذَا كَانَ أَصْلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ - مَقَالَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ - مَأْخُوذًا عَنْ تَلَامِذَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَالصَّابِئِينَ، وَالْيَهُودِ،[٢]

---

(١) يعتذر عن ذكر كل شبهات المتكلمين مع الرد عليها؛ لأن الفتوى محددة، وهي جواب عن سؤال فقط، ومن أراد الرد على بقية الشبهات، فهو موجود في الكتب المطولة له ولغيره، فليراجعها.

(٢) سبق بيان أن الجهم أخذها عن الجعد، والجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأبان أخذها عن طالوت، وطالوت أخذها عن لبيد بن الأعصم، اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، فأصل مقالة الجهمية ومن تفرع عنهم من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم مأخوذة عن دين المجوس ودين اليهود ودين المشركين، ودين الصابئين وبراهمة الهند؛ كما سبق بيانه ولم تؤخذ من الكتاب والسنة.

فَكَيْفَ تَطِيبُ نَفْسُ مُؤْمِنٍ بَلْ نَفْسُ عَاقِلٍ أَنْ يَأْخُذَ سُبُلَ هَؤُلاءِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، وَيَدَعُ سَبِيلَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.(١)

---

(١) المغضوب عليهم: اليهود، والضالون: النصارى، كما في آخر سورة الفاتحة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] المغضوب عليهم هم: كل من عنده علم، ولم يعمل به، سواء من اليهود أوغيرهم، والضالون هم: الذين يعملون على غير دليل، وهم: المبتدعة من النصارى، ومن سار على نهجهم. فالإنسان إما أن يسير في طريق المنعم عليهم، وهم: الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح، وإما في طريق المغضوب عليهم، وهم: العلماء الذين لا يعملون بعلمهم، وإما في طريق الضالين الذين يعبدون الله على جهل، وليس عندهم علم، و في مقدمتهم: النصارى، والصوفية، والصوفية يزهدون في العلم، إلى الآن يقولون: لا تتعلموا؛ لأن ذلك يشغلكم عن العبادة، تفرغوا للعبادة والذكر والتجوال والخروج، طلب العلم سيعوقكم عن هذه الأمور، ويقولون لمن يغررون به: سوف يُفتح على قلبك، ويأتيك علم بدون أن تتعلم، وغلاتهم يقولون: إننا نأخذ العلم عن الله مباشرة، ولسنا بحاجة =

فَصْلٌ

ثُمَّ القَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا البَابِ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ لاَ يَتَجَاوَزُ القُرْآنَ وَالْحَدِيثَ.(١)

= إلى الرسول، ولا إلى العلماء، والحاصل أنهم كلهم يزهدون في العلم، ويحثون على العمل بدون علم.

(١) لما فرغ الشيخ ـ رحمه الله ـ من المقدمة انتقل إلى بداية الجواب الذي سُئل عنه، وهو: ما القول في أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة؟ وضع قاعدة للجواب، فقال: الأصل في هذا أن ما جاء في الكتاب والسنة، فهو حق على حقيقته، نثبته لله ﷻ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. هذه هي القاعدة العظيمة في هذا الباب: ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من أسماء الله وصفاته، فإننا نثبته من غير أن نتدخل بأفكارنا وآرائنا، فلا نحرف كلام الله عن مواضعه، ولا نعطل أسماء الله وصفاته، ثم أيضاً لا نُشبه أسماء الله وصفاته بأسماء المخلوقين وصفاتهم.

ثم بين ما يقوله سلف هذه الأمة، وهو أنهم يثبتون ما جاء في الكتاب والسنة، لا يتعدون الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته، فما =

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ[١٢٥] ﷺ: لاَ يُوصَفُ اللّهُ إلا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ لاَ يُتَجَاوَزُ القُرْآنُ وَالْحَدِيثُ.[١] وَمَذْهَبُ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ،[٢]

= قاله الله ورسوله قالوا به، وما نفاه الله ورسوله نفوه، وما لم يرد في الكتاب والسنة سكتوا عنه، ولم يدخلوا فيه.

(١) ومن السابقين من الأئمة الإمام أحمد، وهذه مقالته: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يُتجاوز الكتاب والسنة، لا تحرف الأدلة الواردة في ذلك من الكتاب والسنة عن معانيها.

(٢) والتحريف له معنيان:

الأول: تحريف اللفظ، وهو: أن يُغيِّر اللفظ بزيادة أو نقص.

والثاني: تحريف معنوي، وهو: أن يُفسَّر اللفظ بغير معناه الصحيح.

---

(١٢٥) ذكره بمعناه ابن قدامة في اللمعة (ص٩)، والذهبي في تاريخ الإسلام (ص٨٧)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية (١/٣١)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٣٢).

وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ،(١) وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا وُصِفَ اللَّهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ حقٌّ لَيْسَ فِيهِ لُغْزٌ وَلا أَحَاجٍ، بَلْ مَعْنَاهُ يُعْرَفُ مِنْ حَيْثُ يُعْرَفُ مَقْصُودُ الْمُتَكَلِّمِ بِكَلامِهِ: لا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ أَعْلَمَ الخَلْقِ بِمَا يَقُولُ، وَأَفْصَحَ الخَلْقِ فِي بَيَانِ العِلْمِ، وَأَنْصَحَ الخَلْقِ فِي البَيَانِ وَالتَّعْرِيفِ وَالدَّلالَةِ وَالإِرْشَادِ.(٢)

---

(١) التكييف هو: البحث عن الكيفية، بأن يُتكلم عن كيفية الأسماء والصفات، فيقول: كيف استوى؟ كيف يسمع؟ كيف يبصر؟ كيف يأتي يوم القيامة؟...إلى آخره.

(٢) أي: نعتقد أن ما وصف الله به نفسه أنه على حقيقته وعلى ظاهره وعلى معناه المعلوم، ولا نقول: إنه على غير ظاهره ـ كما تقوله المؤولة ـ، ولا نقول: إنه لا يعلم معناه إلا الله ـ كما تقوله المفوضة ـ؛ لأن هذا معناه أن الله أنزل علينا شيئاً لا نعلم معناه، فيكون هذا من الأحاجي والألغاز التي لا تُعرف، والله ﷻ أمرنا بتدبر القرآن كله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص: ٢٩]، فلولا أن القرآن كله يُفهم معناه لما أمرنا الله بتدبره، كيف يأمرنا بتدبر شيء لا يُعرف معناه؟ هذا محال؛ فمعنى الأسماء والصفات معلوم، ولكن كيفيتها مجهولة لنا؛ ولهذا يقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: «الاستواء=

وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ(١) لاَ فِي نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَذْكُورَةِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلا فِي أَفْعَالِهِ، فَكَمَا يُتَيَقَّنُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَهُ ذَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَلَهُ أَفْعَالٌ حَقِيقِيَّةٌ، فَكَذَلِكَ لَهُ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَهُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لاَ فِي ذَاتِهِ وَلا فِي صِفَاتِهِ، وَلا فِي أَفْعَالِهِ، وَكُلُّ مَا أَوْجَبَ نَقْصًا أَوْ حُدُوثًا فَإِنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ حَقِيقَةً، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْكَمَالِ الَّذِي لاَ غَايَةَ فَوْقَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ لامْتِنَاعِ الْعَدَمِ عَلَيْهِ، وَاسْتِلْزَامُ الْحُدُوثِ سَابِقَه الْعَدَمِ، وَلافْتِقَارِ الْمُحْدَثِ إِلَى مُحْدِثٍ، وَلِوُجُوبِ وَجُودِهِ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.(٢)

= معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»

(١) الله تبارك وتعالى لـه أسماء وصفات، والمخلوقون لهم أسماء وصفات، ولكن لا تشابه بين صفات الله وصفات خلقه. كما أن الله له ذات لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك أسماؤه وصفاته لا تشبه أسماء وصفات المخلوقين؛ لأن الأسماء والصفات تتبع الذات الموصوفة بها، فكما أن ذاته لا يعلم كيفيتها إلا الله، فكذلك أسماؤه وصفاته لا يعلم كيفيتها إلا الله عز وجل، فالكلام في الأسماء والصفات مثل الكلام في الذات.

(٢) لأن الله منزه عن النقص، والنقص ضد الكمال، والله سبحانه له

الكمال المطلق الذي لا يعتريه زوال ولا نقص، الحدوث هو حصول الشيء بعد أن لم يكن، وهذا لا يليق بالله ﷻ، فهو ﷻ بأسمائه وصفاته أزلي، ليس قبله شيء؛ لأن الحادث يستوجب أمرين:

أولاً: يستوجب أنه مسبوق بعدم، لا يُقال: حادث إلا إذا كان مسبوقاً بعدم.

ثانياً: أن الحادث لابد له من مُحدث، والفعل لابد له من فاعل. والله منزه عن هذا: منزه عن العدم، وعن الحدوث في ذاته وأسمائه وصفاته ﷻ.

وَمَذْهَبُ السَّلَفِ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَبَيْنَ التَّمْثِيلِ،[١] فَلا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللَّهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، كَمَا لاَ يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلْقِهِ.[٢] وَلا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ،[٣]

---

(١) مذهب السلف وسط بين التعطيل الذي هو مذهب النفاة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين يغلون في التنزيه، حتى ينفوا عن الله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات فرارًا من التشبيه، وبين الممثلة الذين يغلون في إثبات الأسماء والصفات، ويشبهون صفات الله بصفات خلقه، فالمعطلة غلوا في التنزيه، والمشبهة غلوا في الإثبات، وأهل السنة توسطوا؛ فأثبتوا لله أسماء وصفات خلافاً للمعطلة، ونفوا عنه المشابهة خلافاً للممثلة والمشبهة، فهم وسط ولله الحمد، سلموا من الآفتين: من التعطيل، ومن التمثيل.

هذه القاعدة في مذهب السلف أنه دائماً مذهب الاعتدال بين طوائف الضلال ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فكما أن الأمة وسط بين الأمم، فأهل السنة وسط بين الفرق الضالة.

(٢) خلافاً للممثلة والمشبهة، فتشبيه الخالق بمخلوق نقص في حق الله ﷻ.

(٣)ولا يغلون في التنزيه حتى ينفوا ما أثبته لنفسه من الأسماءوالصفات.

فَيُعَطِّلُونَ أَسْمَاءَهُ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلا ، وَيُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ.(١)

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ فَرِيقَي التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ ، أَمَّا المُعَطِّلُونَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ إلا مَا هُوَ اللائِقُ بِالْمَخْلُوقِ ، ثُمَّ شَرَعُوا فِي نَفْيِ تِلْكَ المَفْهُومَاتِ ، فَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ التَّمْثِيلِ وَالتَّعْطِيلِ ، مَثَّلُوا أَوَّلاً ، وَعَطَّلُوا آخِرًا ، وَهَذَا تَشْبِيهٌ وَتَمْثِيلٌ مِنْهُمْ لِلْمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِالْمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَاءِ خَلْقِهِ وَصِفَاتِهِمْ ، وَتَعْطِيلٌ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ هُوَ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ اللائِقَةِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.(٢)

---

(١) الإلحاد هو: الميل، ومنه سمي اللحد في القبر؛ لأنه مائل عن سمت القبر، فالإلحاد في اللغة: الميل، والمراد به هنا: الميل عن الحق، قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[الأعراف: ١٨٠]، يلحدون فيها: إما بالتعطيل والتحريف، وإما بالتكييف والتمثيل، والحق إثباتها كما جاءت على ما دلت عليه.

(٢) المعطلة ممثلة؛ لأنهم جمعوا بين التعطيل والتمثيل ؛ لأنهم لم=

فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ القَائِلُ: لَوْ كَانَ اللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ لَلَزِمَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنَ العَرْشِ، أَوْ أَصْغَرَ أَوْ مُسَاوِيًا، وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الكَلامِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ كَوْنِ اللَّهِ عَلَى العَرْشِ إِلاَّ مَا يَثْبُتُ لأَيِّ جِسْمٍ كَانَ عَلَى أَيِّ جِسْمٍ كَانَ، وَهَذَا اللازِمُ تَابِعٌ لِهَذَا المَفْهُومِ. أَمَّا اسْتِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلالِ اللَّهِ وَيَخْتَصُّ بِهِ، فَلا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنَ اللَّوَزِمِ البَاطِلَةِ الَّتِي يَجِبُ نَفْيُهَا.(١)

=يفهموا من صفات الله إلا ما هو مثل صفات المخلوقين ؛ فلذلك نفوها بحجة التنزيه، فهم مثلوا أولاً، ثم عطلوا ثانياً . والممثلة كذلك مثلوا أولاً، ثم عطلوا ثانياً، حيث عطلوا الله عن كماله ووصفوه بالنقص وأن صفاته مثل صفات المخلوقين، فالممثلة عطلوا الكمال عن الله ﷻ، والمعطلة عطلوا الأسماء والصفات، فنفوها وكلا الفريقين معطل وممثل.

(١) المعطلة يقولون: إذا استوى على العرش، والعرش مخلوق، فإما أن يكون الله مثل العرش في الحجم، أو إنه أكبر من العرش، أو أصغر من العرش - تعالى الله عما يقولون - ؛ لأن قولهم هذا لا يليق بالله، وإنما هذا في المخلوق، المخلوق إذا صار فوق المخلوق، فلا يخلو إما أن يكون مثله أو أكبر منه أو أصغر منه، أما الخالق فلا يلزم في حقه ؛ لما بين الخالق والمخلوق من الفرق، ثم هذا بحث في الكيفية، ونحن لا نعلم الكيفية.

وَصَارَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْمُمَثِّلِ: إِذَا كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا، أَوْ عَرَضًا،(١) وَكِلاهُمَا مُحَالٌ: إِذْ لاَ يُعْقَلُ مَوْجُودٌ إِلاَّ هَذَانِ،(٢)

---

(١) الجوهر: هو الذي يقوم بنفسه، والعرَض: هو الذي لا يقوم بنفسه[126] مثل: الألوان والروائح، والله ﷻ منزه عن هذا؛ لأن هذا لم يرد في الكتاب والسنة، فنحن نسكت عن ذلك.

(٢) وهذا التصور يكون في المخلوق، فالمخلوق لابد إما أن يكون جوهراً، وإما أن يكون عرضاً، أما الخالق فلا يلزم في حقه هذا ﷻ.

فهم دائماً يقيسون الخالق على المخلوق؛ فلذلك ضلوا، ولو أنهم ذهبوا مذهب أهل السنة، وقالوا: لا يلزم صفات الخالق ما يلزم لصفات المخلوقين، لسلموا من هذا كله، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

---

(١٢٦) انظر: الحدود الأنيقة (ص٧١)، قال: «الجوهر: ما يقبل التحيز، والعرض ما لا يقوم بذاته بل بغيره»، وغاية المرام للآمدي (ص١٧٩)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (ص٣٠١)، والجواب الصحيح (٥/٦).

أَوْ قَوْلِهِ: إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى العَرْشِ فَهُوَ مُمَاثِلٌ لاسْتِوَاءِ الإِنْسَانِ عَلَى السَّرِيرِ أَو الفَلَكِ؛[١] إِذْ لاَ يُعْلَمُ الاسْتِوَاءُ إِلا هَكَذَا،[٢]

---

(١) هذا من تأويلهم الباطل، يقولون: لو أثبتنا الاستواء، للزم أن الله محتاج إلى العرش؛ مثل ما يحتاج الإنسان إلى السرير ينام عليه، أو يجلس عليه، أو الكرسي، أو السطح، أو السفينة، أو الدابة، المخلوق محتاج إلى هذه الأشياء، لكن الخالق ليس محتاجًا إلى هذه الأشياء، وإنما هي المحتاجة إلى الله ﷻ، أما الله فغني عنها وعن غيرها، فكيف تقيسون المحتاج بالذات إلى الغني بالذات؟ هذا غلط.

(٢) وبناء على ذلك نفوا الاستواء عن الله؛ لأنهم ما فهموا منه إلا مثل استواء المخلوق على المخلوق، فنفوه بزعمهم تنزيهاً لله.

نقول: فهمكم هذا غلط من أصله؛ لأنه ليس بلازم، ولم تعرفوا حق الله ﷻ، ولم تقدروا الله حق قدره، إلا أنكم جعلتموه مثل المخلوق - تعالى الله عن ذلك -.

فَإِنَّ كِلاهُمَا مَثَّلَ وَكِلاهُمَا عَطَّلَ حَقِيقَةَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ،[١] وَامْتَازَ الأَوَّلُ بِتَعْطِيلِ كُلِّ مُسَمًّى للاسْتِوَاءِ الْحَقِيقِيِّ، وَامْتَازَ الثَّانِي بِإِثْبَاتِ اسْتِوَاءٍ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ المَخْلُوقِينَ.[٢]

---

(١) كما سبق أن المعطلة ممثلة، والممثلة معطلة، كل منهما جمع بين الوصفين الذميمين .

(٢) يعني: المعطلة اختلفوا عن الممثلة: المعطلة نفوا، والممثلة أثبتوا، وغلوا في الإثبات، وأولئك نفوا، وغلوا في التنزيه، والوسط هو الخير، لا إفراط ولا تفريط؛ ننزه الله، لكن لا ننفي عنه أسماءه وصفاته، ولا نمثلها بصفات المخلوقين .

وَالْقَوْلُ الفَاصِلُ: هُوَ مَا عَلَيْهِ الأُمَّةُ الوَسَطُ:(١) مِنْ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلالِهِ وَيَخْتَصُّ بِهِ، فَكَمَا أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَلا يَجُوزُ أَنْ يَثْبُتَ لِلْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ خَصَائِصُ الأَعْرَاضِ الَّتِي كَعِلْمِ المَخْلُوقِينَ وَقُدْرَتِهِمْ، فَكَذَلِكَ هُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ وَلا يَثْبُتُ لِفَوْقِيَّتِهِ خَصَائِصُ فَوْقِيَّةِ المَخْلُوقِ عَلَى المَخْلُوقِ وَمَلْزُومَاتِهَا.(٢)

---

(١) وهم أهل السنة والجماعة، و قولهم هو: الوقوف على ما جاء في الكتاب والسنة من غير تدخل بالأفكار والعقول، بل نثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله على ما جاء في النصوص، ونثبت معناه على ما جاء في اللغة التي نزل بها، ولا نتدخل فيما وراء ذلك؛ لأن هذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]. لا تجعل علم الخالق كعلم المخلوق ولا قدرة الخالق كقدرة المخلوق، بل قدرة الخالق تختص به، وعلمه يختص به، وكذلك المخلوق الضعيف له قدرة وعلم وصفات تختص به.

(٢) فهو تعالى ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يونس: ٣]، واستواؤه على العرش يقتضي أنه فوق العرش؛ لأن (على) تدل على الفوقية، =

وَاعْلَمْ أَنْ لَيْسَ فِي العَقْلِ الصَّرِيحِ ،[١] وَلا فِي النَّقْلِ الصَّحِيحِ[٢] مَا يُوجِبُ مُخَالَفَةَ الطَّرِيقَةِ السَّلَفِيَّةِ أَصْلاً ،[٣] لَكِنَّ هَذَا المَوْضِعَ لاَ يَتَّسِعُ لِلْجَوَابِ عَنِ الشُّبُهَاتِ الوَارِدَةِ عَلَى الحَقِّ ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ شُبْهَةٌ وَأَحَبَّ حَلَّهَا فَذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ.

=فقوله : ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ يعني : فوق العرش ، وهل كونه فوق العرش مثل كون المخلوق فوق السرير ، أو فوق السطح؟ ليس كذلك ؛ لأن المخلوق محتاج إلى ما تحته ليحمله ، فلا يقاس الله ﷻ بخلقه أبداً ؛ فاستواؤه وعلمه وقدرته وذاته وأسماؤه وصفاته خاصة به لائقة به تعالى ، لا تشابه بينها وبين صفات وأسماء المخلوقين وخصائصها ولوازمها.

(١) العقل الصريح هو: العقل السالم من الشكوك والأوهام.

(٢) النقل الصحيح هو: الذي جاء به القرآن أو السنة الصحيحة ، ليس فيهما ما يخالف طريقة السلف أبداً ، بل طريقة السلف توافق العقل الصريح والنقل الصحيح . أما هؤلاء الضلال فإنهم مخالفون للنقل الصحيح وللعقل الصريح .

(٣) فإن اختلفا ، فإما أن العقل غير صريح ، وإما أن النقل غير صحيح.

ثُمَّ المُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسَلَفِ الأُمَّةِ - مِنَ المُتَأَوِّلِينَ لِهَذَا البَابِ - فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ، (١)

---

(١) المخالفون لأهل السنة في باب الأسماء والصفات لا يتفقون أبدًا؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم وعقولهم، والأهواء والعقول تختلف، كلٌّ له رأي، وكلٌّ له عقل على قدره يخالف عقل الآخر، ويخالف هوى الآخر؛ فلذلك اختلفوا في هذا الباب. أما من اتبع الكتاب والسنة فإنهم لا يختلفون؛ لأنهم لم يتبعوا أهواءهم وعقولهم، وإنما اتبعوا ما جاء في الكتاب والسنة، فاجتمعت كلمتهم في هذا الباب وفي غيره. هذا هو السر في كون أهل السنة والجماعة لم يختلفوا في باب الأسماء والصفات، وفي كون غيرهم من الفرق اختلفوا. فالله ﷻ يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فجعل سبيله واحداً لا يختلف، ولا يختلف من سار عليه، وجعل ما خالفه سبلاً كثيرة لا حصر لها، وأخبر أنها تتفرق بأهلها، فلا تجد فرقة متفقة مع فرقة أخرى، وفي النهاية كل الفرق لا تصل إلى نتيجة؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] مريج: مختلف، متناقض، متضارب، وقال ﷻ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فَإِنَّ مَنْ يُنْكِرُ الرُّؤْيَةَ، يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ يُحِيلُهَا، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ فِيهَا إِلَى التَّأْوِيلِ، [١] وَمَنْ يُحِيلُ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً، [٢] وَأَنْ يَكُونَ كَلامُهُ غَيْرَ مَخْلُوقٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ يَقُولُ: إِنَّ العَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ فَاضْطُرَّ إِلَى التَّأْوِيلِ، [٣]

---

(١) من ينكر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة - التي بإثباتها تواترت الأدلة - من ينكرها يبني إنكاره على العقل، يقولون: لأننا إذا أثبتنا الرؤية، لزم أن يكون الله في جهة، والله عندهم ليس في جهة، إلى غير ذلك من الشبهات. ولو أنهم اتبعوا أدلة الكتاب والسنة، وآمنوا بها، ولم يتدخلوا فيها بعقولهم، لسلموا.

(٢) من يقول: يستحيل أن يكون لله علمٌ، ويستحيل أن الله يقدر؛ لأن هذه صفات المخلوقين، والله ﷻ ليس كالمخلوقين، وإذا أثبتنا لله العلم والقدرة شبهناه بالمخلوقين؛ لأن هذه الصفات موجودة فيهم، هذه شبهتهم، ولم يفطنوا إلى أن الله ﷻ له علم لا يشبه علم المخلوقين، وقدرة لا تشبه قدرة المخلوقين، كما أن له ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين.

(٣) يقولون: لأنه إذا أثبتنا الكلام لله، لزم على ذلك محاذير.

منهم من يقول: إن فيه مشابهة للمخلوق؛ لأن المخلوق يتكلم، =

بَلْ مَنْ يُنْكِرُ حَقِيقَةَ حَشْرِ الأَجْسَادِ،(١) وَالأَكْلَ وَالشُّرْبَ الْحَقِيقِيَّ فِي الجَنَّةِ يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إلَى التَّأْوِيلِ،(٢)

=ولا مشابهة بين المخلوق والخالق.

ومنهم من يقول: إن الكلام من الحوادث، والله ليس محلاً للحوادث. إلى غير ذلك من الخرافات. ولو أنهم سلموا لله، وأثبتوا أن الله يتكلم على وجه يليق بجلاله ﷻ، لسلموا من هذه الخواطر.

(١) من ينكر البعث يقول: إن الأموات إذا صاروا تراباً وعظاماً لا يمكن أن يعودوا أحياءً كما كانوا، هذا مستحيل في العقل عندهم.

قاسوا الله على خلقه، والله لا يقاس بخلقه؛ لأنه على كل شيء قدير، فالذي بدأهم أول مرة، وهم من العدم ألا يقدر على إعادتهم؟ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]

(٢) هذا فرع عن إنكارهم البعث، ينكرون أن يكون هناك جنة ونار، يقولون: ليس هناك إلا الحياة الدنيا، لا توجد دار أخرى، ولا هناك جنة ونار، إنما هي حياتنا الدنيا، نموت، ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر، ويقولون: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ أَحَالَ ذَٰلِكَ، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى التَّأْوِيلِ.(١) وَيَكْفِيكَ دَلِيلاً عَلَى فَسَادِ قَوْلِ هَؤُلَاءِ أَنْ لَيْسَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَاعِدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِيمَا يُحِيلُهُ العَقْلُ،(٢)

=[المؤمنون: ٣٥، ٣٧]، (نموت ونحيا) يعني: يموت قوم، ويحيا قوم، هذه مقالتهم؛ لأنهم لا يؤمنون بقدرة الله على كل شيء.

(١) وكذلك من ينفي الاستواء على العرش والعلو على المخلوقات لله ﷻ يقول: العقل يحيل هذا ؛ لأنه إذا قلنا: إنه مستوٍ عله العرش، فهو محتاج إلى العرش، وأنه صار في جهة، والله ليس في جهة، فهم وضعوا قواعد من عند أنفسهم، وصاروا يحكمونها على الكتاب والسنة.

نقول: العقل لا يحيط بالله ﷻ؛ هذا شيء خارج عن مدارك العقول، العقل السليم لا يحيل هذا، بل يُسَلِم لله ﷻ، ويؤمن بالله، ويصدق بخبر الله وخبر الرسول ﷺ ، ويعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله لا يعجزه شيء.

(٢) يكفيك دليلاً على فساد قولهم أنهم لم يتفقوا على حجة واحدة يعتمدون عليها في نفيهم ما نفوه، واضطرابهم دليل على فساد قولهم.

بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ جَوَّزَ أَوْ أَوْجَبَ مَا يَدَّعِي الآخَرُ أَنَّ العَقْلَ أَحَالَهُ.[١] فَيَالَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ عَقْلٍ يُوزَنُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ،[٢] فَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ حَيْثُ قَالَ: أَوَ كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لِجَدَلِ هَؤُلاَءِ[٣]؟[١٢٧]

---

(١) هذا دليل على اضطرابهم وفساد قولهم؛ حيث لم يتفقوا على شيء في عقيدتهم.

(٢) هل العقل يوازن الكتاب والسنة؟ فالكتاب والسنة وحي من الله العليم الخبير، والعقول إنما هي أفكار البشر ومداركهم، فهل تقاس أفكار البشر وعقولهم بالوحي المنزل الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]؟ لا يمكن هذا، لا يمكن أن يوزن الكتاب والسنة بالعقول.

(٣) هذا الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، الذي تضرب إليه آباط الإبل للأخذ من علمه - رحمه الله - ينكر ويقول: **(أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل)** يعني: أكثر جدالاً **(نترك ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم)** فهو ينكر الاعتماد على العقل؛ لأن العقلانين=

---

(١٢٧) انظر: اعتقاد أهل السنة (١/١٤٤)، وحلية الأولياء (٦/٣٢٤)، وسير أعلام النبلاء (٨/٨٩)، وتذكرة الحفاظ (١/٢٠٨).

وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلاءِ مَخْصُومٌ بِمَا خُصِمَ بِهِ الآخَرُ، (١) وَهُوَ مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: بَيَانُ أَنَّ العَقْلَ لاَ يُحِيلُ ذَلِكَ. (٢)

الثَّانِي: أَنَّ النُّصُوصَ الوَارِدَةَ لاَ تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ. (٣)

=يعتمدون على جدليات مختلفة؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ٨ - ١٠].

(١) يعني: أن كل واحد من هؤلاء العقلانيين مردود عليه ومُبْطَل قوله بما رد به على الآخر، فلم يصح من أقوالهم شيء؛ لأنها مختلفة ومخالفة للكتاب والسنة.

(٢) فقولهم: العقل يحيل كذاوكذا، هذه دعوى لا دليل عليها، ثم إن العقل لا يستدل به على ما لا يحيط به ولا يدركه، فقولهم باطل من وجوه: **الوجه الأول ما ذكرناه.**

(٣) والوجه الثاني: أن النصوص الواردة صريحة، ليست محتملة حتى تُؤَوّل؛ لأن الذي يقبل التأويل غير الصريح. فقوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، صريح في الاستواء على العرش، لا يحتمل غير معنى الاستواء على العرش، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] صريح في العلو، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] صريح في علو الله على خلقه، لا يحتمل التأويل =

الثَّالِثُ: أَنَّ عَامَّةَ هَذِهِ الأُمُورِ قَدْ عُلِمَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ جَاءَ بِهَا بِالاضْطِرَارِ، كَمَا عُلِمَ أَنَّهُ جَاءَ بِالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ،[1]

= ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] صريح في إثبات العلم لله، لا يحتمل التأويل، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، صريح في إثبات القدرة لله، لا يحتمل التأويل.

(١) **الثالث من الأمور التي تُبطل قولهم:** أننا نعلم أن الرسول ﷺ جاء بهذه الأمور، وهي إثبات الأسماء والصفات، وما دام جاء بها الرسول فالواجب التصديق بها واتباعه، فالذي لا يصدقها يُكذب الرسول ﷺ، ومن كذَّب الرسول، فقد كفر، الرسول ﷺ جاء بهذه الأمور، وهي الأسماء والصفات، فيجب الإيمان بها، كما أنه جاء بالصلاة، هم يصلون، ويصدقونه، لماذا لا يصدقون بأسماء الله وصفاته، مع أن كلا الأمرين جاء به الرسول ﷺ؟ فإذا كنتم تنفون الأسماء والصفات، إذاً انفوا الصلاة والزكاة والصيام والحج، وانفوا جميع الشرائع، أما أنكم تثبتون شيئاً، وتنفون شيئاً أهم منه، فهذا من الباطل. فالواجب قبول كل ما جاء به الرسول ﷺ، وإلا يكون الإنسان ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. بل إن الإيمان بالأسماء والصفات أولى من =

فَالتَّأْوِيلُ الَّذِي يُحِيلُهَا عَنْ هَذَا بِمَنْزِلَةِ تَأْوِيلاتِ القَرَامِطَةِ[١٢٨] وَالْبَاطِنِيَّةِ[١٢٩] فِي الحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالصَّلاةِ وَسَائِرِ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّبُوَّاتُ.[١]

= الإيمان بالأحكام العملية ؛ لأن الأسماء والصفات من العقيدة.

(١) القرامطة : أتباع حمدان بن قرمط الشيعي الباطني ؛ لأن الشيعة أقسام، منهم الباطنية، وهم أخبثهم.

والباطنية: هم الذين يقولون: إن الشريعة لها ظاهر وباطن، الظاهر للعوام، وأما الباطن فلا يفهمه إلا الخواص . فالصلاة هي الدعاء فقط=

---

(١٢٨) نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط، وهم طائفة من الباطنية خرجوا على المسلمين في زمن المعتضد سنة إحدى وثمانين ومائتين، واقتلعوا الحجر الأسود من البيت الحرام. انظر: تلبيس إبليس (ص١٢٦، ١٢٧)، والفرق بين الفرق (١/ ٢٦٦)، وفضائح الباطنية (ص١٢)، وإيثار الحق على الخلق في رد الخلافات لابن الوزير (ص١٢٣).

(١٢٩) سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر، ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطن على أبطال الشرائع. انظر: الملل والنحل (١/ ١٩٢)، وتلبيس إبليس (ص١٢٤)، والفرق بين الفرق(١/ ٢٦٦)، وفضائح الباطنية (ص١١).

الرَّابِعُ: أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ العَقْلَ الصَّرِيحَ يُوَافِقُ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ،[١] وَإِنْ كَانَ فِي النُّصُوصِ مِنَ التَّفْصِيلِ مَا يَعْجِزُ العَقْلُ عَنْ دَرْكِ تَفْصِيلِهِ، وَإِنَّمَا عَقَلَهُ مُجْمَلاً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الوُجُوهِ،[٢] عَلَى أَنَّ الأَسَاطِينَ مِنْ هَؤُلاءِ وَالْفُحُولَ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ العَقْلَ لاَ سَبِيلَ لَهُ إِلَى اليَقِينِ فِي عَامَّةِ المَطَالِبِ الإِلَهِيَّةِ.[٣] وَإِذَا كَانَ هَكَذَا فَالْوَاجِبُ تَلَقِّي عِلْمِ ذَلِكَ مِنَ النُّبُوَّاتِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

=والصيام هو كتم الأسرار، والحج قصد المشائخ، فتأويل المعطلة للصفات وصرفها عن ظاهرها هو من جنس تأويل هؤلاء الملاحدة، بل هو أشد؛ لأنه يتعلق بإفساد العقيدة.

(١) الوجه الرابع: مما يدل على بطلان قول المعطلة للصفات: أن يُبين أن العقل الصريح - يعني: السالم من النقص والتلوث - وهو العقل السليم لا يخالف النقل الصحيح عن الرسول ﷺ، والمعطلة زعموا أن نصوص الصفات تخالف العقل؛ فلذلك أولوها.

(٢) العقل يوافق النصوص في الجملة، أي: في حدود ما يدركه، وهناك أشياء لا يدركها العقل، مثل ما في الجنة من النعيم، لا يدركها العقل أبداً، ومثل ما في النار، هذه أمور غيبية لا يدركها العقل.

(٣) (الأساطين) يعني: الأكابر من هؤلاء الفلاسفة وعلماء الكلام=

وَمِن المَعْلُومِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ، (١) لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ (٢) وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا،

= يسلمون أن هناك أشياء لا يدركها العقل، ولا يحيط بها، وهذا حجة عليهم.

إذا كان العقل يعجز عن مدارك النصوص على سبيل التفصيل، فإنه لا يُرجع إليه، وإنما يرجع في هذا إلى ما جاءت به النبوات، ويُسَلِّم لها، ولا ندخل في متاهات لا نُحسن الخروج منها. هذا هو طريق السلامة.

(١) كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣] والهدى هو: العلم النافع ودين الحق هو: العمل الصالح.

ومن العلم النافع ما ذكره في حق الله ﷻ: من وحدانيته، وأسمائه، وصفاته، هذا أصل العلم النافع وأساس العلم النافع الذي جاء به الرسول ﷺ، والرسول ﷺ جاء بالبيان التام لكل ما يحتاجه البشر من أمور دينهم، فكيف يكون بعثه الله بالهدى ولم يبين للناس هذا الباب؟

(٢) أي: على سائر الأديان، وقد تحقق هذا، فظهر الإسلام على اليهودية والنصرانية وسائر الأديان، وانتشر في المشارق والمغارب، وظهر بالحجة والدليل والبرهان.

وَأَنَّهُ بَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ أُمُورِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ.(١) وَالإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يَتَضَمَّنُ الإِيمَانَ بِالْمَبْدَأ وَالْمَعَادِ،(٢) وَهُوَ الإِيمَانُ بِالْخَلْقِ وَالْبَعْثِ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]،(٣)

---

(١) الرسول ﷺ بيَّن للناس أمور دينهم وعقيدتهم، فبيَّن لهم: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب والرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، بيَّن لهم: أركان الإيمان وأركان الإسلام، وبيَّن لهم شُعب الإيمان، وبيَّن لهم ﷺ البيان الكامل الشافي، فكيف يترك باب الأسماء والصفات لم يبينه، وقد بيَّن لأمته كل شيء؟.

(٢) أركان الإيمان ستة منها: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر.

تارة يذكر أركان الإيمان كلها، وتارة يذكر الإيمان بالله واليوم الآخر فقط؛ لأن الإيمان بالله يقتضي الإيمان بمبدأ الخلق، والإيمان باليوم الآخر يقتضي الإيمان بالمعاد، والمبدأ هو خلق المخلوقات من عدم، والمعاد هو إعادة الخلق يوم القيامة بعد الموت.

(٣) ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر؛ لأن الإيمان بالله يقتضى الإيمان بالمبدأ والمعاد.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨]،[١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [الروم: ٢٧].[٢] وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ مَا هَدَى اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَكَشَفَ بِهِ مُرَادَهُ.[٣]

---

(١) ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ ﴾ في البداية، ﴿ وَلَا بَعْثُكُمْ ﴾ أي: احياؤكم بعد الموت، ﴿ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ فالذي يقدر على نفس واحدة يبدؤها ويعيدها قادر على خلق الناس وإعادتهم جميعاً، لا يُعجزه شيء، ولافرق بين قدرنه على نفس واحدة، وقدرته على جميع الأنفس.

(٢) ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ﴾ هذا الإيمان بالمبدأ، ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ هذا الإيمان بالمعاد، ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ أي: في نظر العقول، وإلا فكل الأشياء هينة على الله ﷻ، والله ﷻ كل شيء عليه يسير، لا يعجزه شيء، لكن هذا من باب التنزل معهم في نظر العقول، وهو أن الذي يقدر على البداية يقدر على الإعادة من باب أولى.

(٣) بيَّن الله ﷻ الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر في آيات كثيرة هدى الله بها عباده، وبين بها مراده ﷻ، فمن الإيمان بالله الإيمان بأسمائه =

وَمَعْلُومٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ،[١] وَأَنْصَحُ لِلأُمَّةِ مِنْ غَيْرِهِ،[٢] وَأَفْصَحُ مِنْ غَيْرِهِ عِبَارَةً وَبَيَانًا،[٣]

= وصفاته، ففي هذا حجة على الذين يظنون أن النصوص لا تفيد العلم في أسماء الله وصفاته؛ لأنها عندهم أدلة ظنية، وأما العقول عندهم، فهي أدلة يقينية. والواجب العكس، أن النصوص هي اليقينية، وأما العقول فهي ظنية .

(١) من صفات الرسول ﷺ أنه أعلم الخلق، وأنه أفصح الخلق لساناً، وأنه أنصح الخلق، فإذا اجتمعت فيه هذه الصفات، فإنه لابد أن يبين للناس، وكونه يبين أمور العقيدة أولى من كونه يبين أحكام المعاملات والبيع والشراء؛ لأن العقيدة هي الأساس، فهو لا يكتم شيئاً.

فالخلل إنما يأتي من قلة العلم، أو يأتي من عدم القدرة على البيان، أو يأتي من الغش والكتمان، وهذه كلها منتفية عن الرسول ﷺ، فهو أعلم الخلق، وأفصح الخلق، وأنصح الخلق .

(٢) و الناصح لايكتم شيئا تحتاجه الأمة.

(٣) وعنده المقدرة على البيان؛ لأنه أفصح الخلق لساناً ﷺ. فلا أحد يساوي الرسول ﷺ في الفصاحة.

بَلْ هُوَ أَعْلَمُ الخَلْقِ بِذَلِكَ وَأَنْصَحُ الخَلْقِ لِلأُمَّةِ، وَأَفْصَحُهُمْ،[١] وَقَد اجْتَمَعَ فِي حَقِّهِ ﷺ كَمَالُ العِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ.[٢] وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ وَالْفَاعِلَ إِذَا كَمُلَ عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَإِرَادَتُهُ: كَمُلَ كَلامُهُ وَفِعْلُهُ،[٣]

---

(١) هذا تأكيد.

(٢) اجتمع في حقه كمال العلم والقدرة وهي: الفصاحة والبيان، والإرادة: إرادة البيان وعدم الكتمان والغش للناس.

(٣) إذا تكاملت هذه الصفات في غير الرسول كمُل علمه وبيانه وقدرته، فكيف بالرسول ﷺ الذي أرسله الله، وحَمَّله الرسالة، وأمره بالبلاغ، أن يُبلغ الناس ما أُنزل إليه؟ كيف يترك باب الأسماء والصفات دون أن يبينه، حتى يأتي هؤلاء، ويبينونها للناس، ويقولون: إن المراد بها كذا، وليست على ظاهرها؟!

وَإِنَّمَا يَدْخُلُ النَّقْصُ إِمَّا مِنْ نَقْصِ عِلْمِهِ، وَإِمَّا مِنْ عَجْزِهِ عَنْ بَيَانِ عِلْمِهِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ البَيَانَ. وَالرَّسُولُ ﷺ هُوَ الغَايَةُ فِي كَمَالِ العِلْمِ، وَالْغَايَةُ فِي كَمَالِ إِرَادَةِ البَلاغِ الْمُبِينِ، وَالْغَايَةُ فِي القُدْرَةِ عَلَى البَلاغِ الْمُبِينِ.

وَمَعَ وُجُودِ القُدْرَةِ التَّامَّةِ، وَالإِرَادَةِ الجَازِمَةِ: يَجِبُ وُجُودُ الْمُرَادِ، فَعُلِمَ قَطْعًا أَنَّ مَا بَيَّنَهُ مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ حَصَلَ بِهِ مُرَادُهُ مِنَ البَيَانِ،[1]

---

(١) هذه هي النتيجة من تكامل هذه الصفات في الرسول ﷺ، وهي القطع بأنه بين للناس كل ما يحتاجون إليه، وفي مقدمة ذلك أنه بين للناس أسماء الله وصفاته على وجه لا لبس فيه ولا غموض.

وَمَا أَرَادَهُ مِنَ البَيَانِ هُوَ مُطَابِقٌ لِعِلْمِهِ، وَعِلْمُهُ بِذَلِكَ هُوَ أَكْمَلُ العُلُومِ، فَكُلُّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ غَيْرَ الرَّسُولِ ﷺ أَعْلَمُ بِهَذِهِ مِنْهُ، أَوْ أَكْمَلُ بَيَانًا مِنْهُ، أَوْ أَحْرَصُ عَلَى هَدْيِ الخَلْقِ مِنْهُ، فَهُوَ مِنَ المُلْحِدِينَ لاَ مِنَ المُؤْمِنِينَ،[١] وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ السَّلَفِ هُمْ فِي هَذَا البَابِ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِقَامَةِ.[٢]

---

(١) من اتهم الرسول ﷺ بعدم البيان، وأن غيره أقدر منه على ذلك، خصوصًا في باب الأسماء والصفات، كما هو مقتضى قول الجهمية والمعتزلة، فهذا من الملاحدة، لا من المؤمنين.

(٢) الصحابة ومن سلك سبيلهم ممن جاء بعدهم في باب الأسماء والصفات وفي غيره على سبيل الاستقامة؛ لأنهم يؤمنون بأن الرسول ﷺ جاءهم بالحق، وبلغهم إياه، وبيَّنه لهم، فهم على سبيل الاستقامة، بخلاف الملحدين الذين قالوا في الرسول: إنه لم يبين ما يجب لله ﷻ، وما يليق به.

وَأَمَّا الْمُنْحَرِفُونَ عَنْ طَرِيقِهِمْ فَهُمْ ثَلاثُ طَوَائِفَ: أَهْلُ التَّخْيِيلِ، [١] وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ، [٢] وَأَهْلُ التَّجْهِيلِ. [٣] فَأَهْلُ التَّخْيِيلِ: هُم الْمُتَفَلْسِفَةُ [٤] وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ مُتَكَلِّمٍ وَمُتَصَوِّفٍ، وَمُتَفَقِّهٍ. [٥]

---

(١) أهل التخييل: الذين يقولون: إن ما جاء به الرسول ﷺ ليس حقيقة، وإنما هو شيء تخيله، وأبداه للناس لأجل مصلحتهم.

(٢) أهل التأويل: هم الذين يؤولون نصوص الأسماء والصفات عن معانيها الصحيحة إلى معانٍ أخرى، كما هو عمل الجهمية والمعتزلة ومن جاء بعدهم.

(٣) أهل التجهيل: هم المفوضة الذين يقولون: إن الرسول ﷺ لا يعلم معاني ما أنزل الله إليه في الأسماء والصفات، وإنما هي ألفاظ لا تُعلم، ولا يُعرف معناها، نتلوها، ونفوض معناها إلى الله، فالرسول والصحابة يجهلون معاني هذه النصوص، ويفوضون معناها إلى الله.

(٤) الفلاسفة: هم الذين يدعون الحكمة ومعرفة الأمور، ولا يؤمنون بالرسل، بل يرون أنهم أعلم من الرسل، وأنهم يعرفون ما لا يعرفه الرسل.

(٥) المتكلم: هو الذي يستدل بعلم الجدل وعلم الكلام في المناظرة، ولا يستدل بالكتاب والسنة.

والمتصوف: في الأصل هو المبالغ في الزهد والتعبد، وقد اختلفوا في وجه تسميتهم بذلك، اختلفوا في تفسيره، فمنهم من يقول: إن التصوف مأخوذ من الصوف؛ لأن المتصوفة يلبسون الصوف، ويتقشفون؛ لذلك سموا بالصوفية؛ لأن شعارهم لبس الصوف من الزهد، وهذا أقرب.

ومنهم من يقول: سموا بالصوفية نسبة إلى أهل الصفة الذين على عهد النبي ﷺ، وهم الذين وفدوا على المدينة لطلب العلم، وليس لهم أهل فيها ولا مال، فأنزلهم النبي ﷺ في صفة في المسجد، وجعل يطعمهم من الصدقات ومما يسر الله ﷻ، وهذا ليس بصحيح، ليس اسم الصوفية مأخوذ من هذا؛ لوجود فرق بين هؤلاء وهؤلاء.

ومنهم من يقول: سموا الصوفية من الصفاء؛ لأن قلوبهم صافية، وهذا أيضاً غلط، والصحيح الأول: أنهم سموا صوفية؛ لأنهم يتقشفون، ويظهرون النسك والزهد، ويلبسون الصوف.

وكانوا في أول أمرهم لم ينحرفوا، فهم عباد، لكنهم يشقون على أنفسهم، كالجنيد، وبشر الحافي، وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، هؤلاء متعبدة وعلماء، ومتمسكون بالعقيدة الصحيحة، لكن فيما بعد تطور التصوف، فدخلته البدع، ودخله تصوف الفلاسفة من الهنود وغيرهم، ودخلته القبورية، بل تطور إلى وحدة الوجود ـ والعياذ بالله ـ كمذهب ابن عربي، وابن سبعين وغيرهم من غلاة الصوفية.

وهكذا الخروج عن الكتاب والسنة وإن كان في أوله عن مقصد صحيح،

وعن حب للخير إلا أنه ينحرف بأصحابه، أما الذين تمسكوا بالكتاب والسنة، فإنهم سلموا من هذا، أما التصوف فلكونه خارجاً عن الكتاب والسنة آل بأصحابه إلى الإلحاد ـ والعياذ بالله ـ.

فهذا مما يدل على وجوب لزوم الكتاب والسنة في العبادة وفي غيرها، والكتاب والسنة فيهما الخير. ولما قال جماعة من الصحابة في عهد النبي ﷺ، قال واحد منهم: أنا أصوم ولا أفطر، قال الثاني: أنا أصلي ولا أنام، قال الثالث: أنا لا أتزوج النساء. فلما علم النبي ﷺ بمقالتهم غضب، وخطب، وقال: «ما بَالُ أَقْوَامٍ قالوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١٣٠)، فالاعتدال والاستقامة ولزوم الكتاب والسنة هما الخير عاجلاً وآجلاً.

فلا يخرج عن الكتاب والسنة إلا من يؤول إلى الضلال، وإن كان في بداية أمره يريد الخير ونيته صالحة، لكن يتطور الأمر، والشيطان لا يقف عند حد، وإنما يتدرج بالإنسان. ولا يقمع الشيطان إلا التمسك بالكتاب والسنة.

والمتفقه: الذي لم يتكامل فقهه يضر نفسه، ويضر الناس إذا أفتى بغير علم.

---

(١٣٠) سبق تخريجه (ص١٠٦).

فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَا ذَكَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ لِلْحَقَائِقِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ الجُمْهُورُ، لاَ أَنَّهُ بَيَّنَ بِهِ الحَقَّ، وَلا هَدَى بِهِ الخَلْقَ، وَلا أَوْضَحَ الحَقَائِقَ.(١)

ثُمَّ هُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ:(٢)

مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَعْلَمِ الحَقَائِقَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

---

(١) أصحاب التخييل يقولون: إن هذا الذي قاله الرسول ليس حقيقة، وإنما هو تخييل لأجل مصلحة الناس، فهو من الكذب من أجل المصلحة، كما يقولون ـ قبحهم الله.

(٢) ثم انقسموا إلى قسمين:

- القسم الأول: من يقول: إن الرسول يعرف الحقيقة، ولكنه لم يبينها. وهذا معناه التضليل للناس.
- القسم الثاني: من يقول: الرسول لا يعرف الحقيقة؛ ولذلك تكلم بخلافها. وهذا تجهيل للرسول.

وَيَقُولُونَ: إِنَّ مِنَ الفَلاَسِفَةِ الإِلَهِيَّةِ[١] مَنْ عَلِمَهَا،[٢] وَكَذَلِكَ مِنَ الأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُسَمُّونَهُمْ أَوْلِيَاءَ مَنْ عَلِمَهَا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مِنَ الفَلاسفةِ أَو الأَوْلِيَاءِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالآخِرِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَهَذِهِ مَقَالَةُ غُلاةِ الْمُلْحِدِينَ مِنَ الفَلاسِفَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ: بَاطِنِيَّةِ الشِّيعَةِ، وَبَاطِنِيَّةِ الصُّوفِيَّةِ.[٣]

---

(١) الفلاسفة على قسمين: فلاسفة يعترفون بالإله، وفلاسفة ملاحدة لا يعترفون برب.

(٢) الفيلسوف عندهم أعلم من الرسول، والصوفية عندهم الولي فوق الرسول، ولهذا يقولون[١٣١]:

مَقَامُ النُّبُوَّة فِي بـرزخٍ   فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِي

(٣) الباطنية هم غلاة الشيعة، ومنهم: الإسماعيلية، والفاطميون، ومنهم القرامطة، ومنهم طوائف يدعون أن النصوص لها باطن ولها ظاهر، الظاهر يعلمه العوام وأما الباطن فلا يعلمه إلا خواصهم. من باطنية الصوفية ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والحلاج.

---

(١٣١) هذا البيت منسوب لابن عربي. انظر درء التعارض (٢٠٤/١٠) والفتوحات المكية (٢٥٢/٢).

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَل الرَّسُولُ عَلِمَهَا لَكِنْ لَمْ يُبَيِّنْهَا، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِمَا يُنَاقِضُهَا، وَأَرَادَ مِنَ الخَلْقِ فَهْمَ مَا يُنَاقِضُهَا؛ لأَنَّ مَصْلَحَةَ الخَلْقِ فِي هَذِهِ الاعْتِقَادَاتِ الَّتِي لاَ تُطَابِقُ الحَقَّ.

وَيَقُولُ هَؤُلاءِ: يَجِبُ عَلَى الرَّسُولِ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى اعْتِقَادِ التَّجْسِيمِ(١) مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِلَى اعْتِقَادِ مَعَادِ الأَبْدَانِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ،(٢)

---

(١) إثبات الصفات يسمونه التجسيم؛ لأن الصفات عندهم لا تقوم إلا بجسم، فالذي يثبت الصفات مجسم، وأهل السنة يقولون: التجسيم لم يأت في الكتاب والسنة إثباته ولا نفيه.

(٢) ويقولون: ليس هناك بعث، لكن الرسول أخبر عن البعث من أجل أن يردع الناس عن الأخلاق السيئة، فكذب عليهم من باب التخويف لهم.

وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ؛ لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ دَعْوَةُ الخَلْقِ إِلاَّ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الكَذِبَ لِمَصْلَحَةِ العِبَادِ.(١) فَهَذَا قَوْلُ هَؤُلاءِ فِي نُصُوصِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ.

وَأَمَّا الأَعْمَالُ فَمِنْهُمْ مَنْ يُقِرُّهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْرِيهَا هَذَا المَجْرَى، وَيَقُولُ: إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ،(٢)

---

(١) يقولون: الرسول فعل هذا من أجل مصلحة الخلق، لا يمكن دعوتهم إلا بطريقة التخييل؛ ولذلك جاء بها.

(٢) ما سبق بيانه عنهم إنما هو في أمر العقيدة، أما الأعمال وهي: الصلاة، والصيام، والحج، والطاعة، فمنهم من ينكرها، ومنهم من يقرها من أجل مصلحة العوام، أما الخواص فلا يحتاجون للعبادة؛ ولذلك غلاة الصوفية لا يصومون، ولا يصلون، ولا يحجون، ولا يحرمون شيئاً، بل يستبيحون المحرمات، ويقولون: التحليل والتحريم للعوام، أما الخواص فليس عليهم تحليل ولا تحريم؛ لأنهم عرفوا الحق، ولا يحتاجون إلى التحليل والتحريم.

وَيُؤْمَرُ بِهَا العَامَّةُ دُونَ الخَاصَّةِ،(١) وَهَذِهِ طَرِيقَةُ البَاطِنِيَّةِ المَلاحِدَةِ، وَالإِسْمَاعِيلِيَّةِ[١٣٢]، وَنَحْوِهِمْ.(٢)

---

(١) الخاصة عندهم هم: الأولياء، والأقطاب الذين وصلوا إلى الله؛ فلا يحتاجون إلى رسل، ولا يحتاجون إلى شريعة، ولا يحرم عليهم شيء، ولا يجب عليهم شيء.

(٢) الإسماعيلية: نسبة إلى إسماعيل بن جعفر؛ لأن أئمة الشيعة معروفون، منهم جعفر الصادق، وكان له ولدان: موسى الكاظم[١٣٣] بن جعفر الصادق وإسماعيل بن جعفر، وإسماعيل مات قبل أبيه، أما موسى الكاظم فإنه عاش بعد أبيه، فهو الذي آلت إليه الإمامة عند الجعفرية؛ ولذلك أتباعه يسمون بالموسوية والجعفرية، =

---

(١٣٢) هي إحدى فرق الشيعة الباطنية، نسبوا إلى إسماعيل بن جعفر، وزعموا أن دور الإمامة يتم بسبعة، وهم يزعمون أن الشريعة لها ظاهر وباطن، وأن الظاهر للعوام، والباطن للخواص، وغرضهم من هذا إبطال الشرع والانسلاخ من الدين. انظر: تلبيس إبليس (١/١٢٥)، ومجموع الفتاوى (٤/١٦٢)، والتعاريف للمناوي (ص٦٢).

(١٣٣) موسى الكاظم، ولد سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة، وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة. انظر: تاريخ بغداد (١٣/٢٧)، وسير أعلام النبلاء(٦/٢٧٠)، والبداية والنهاية (١٠/١٨٣)، وشذرات الذهب (١/٣٠٤).

وَأَمَّا أَهْلُ التَّأْوِيلِ[(١)] : فَيَقُولُونَ : إِنَّ النُّصوصَ الوَارِدَةَ فِي الصِّفَاتِ لَمْ يَقْصِدْ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَعْتَقِدَ النَّاسُ البَاطِلَ، وَلَكِنْ قَصَدَ بِهَا مَعَانِيَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ تِلْكَ المَعَانِيَ، وَلا دَلَّهُمْ عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرُوا فَيَعْرِفُوا الحَقَّ بِعُقُولِهِمْ، ثُمَّ يَجْتَهِدُوا فِي صَرْفِ تِلْكَ النُّصُوصِ عَنْ مَدْلُولِهَا، وَمَقْصُودُهُ امْتِحَانُهُمْ وَتَكْلِيفُهُمْ، وَإِتْعَابُ أَذْهَانِهِمْ وَعُقُولِهِمْ فِي أَنْ يَصْرِفُوا كَلامَهُ عَنْ مَدْلُولِهِ وَمُقْتَضَاهُ، وَيَعْرِفُوا الحَقَّ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ، وَهَذَا قَوْلُ المُتَكَلِّمَةِ وَالجهميَّةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.[(٢)]

= والقسم الثاني قالوا: إسماعيل هو الأكبر، وقد انتقلت الإمامة من أبيه جعفر إليه؛ لأنه هو الكبير، ويسمون بالإسماعيلية.

(١) هذا الصنف الثاني، وهم أهل التأويل الذين صنَّف الشيخ ـ رحمه الله ـ هذه الرسالة رداً عليهم، وهم الذين يقولون: الأسماء والصفات ليست على ظاهرها؛ لأن ظاهرها يقتضي التشبيه، وإنما تؤوَّل إلى معانٍ أخرى ليس فيها تشبيه.

(٢) الرسول جاء بهذه النصوص، ولم يُرد من الناس أن يعتقدوها على ظاهرها، وإنما أراد منهم أن يؤولوها عن ظاهرها؛ لأن ظاهرها =

وَالَّذِينَ قَصَدْنَا الرَّدَّ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الفُتْيَا هُمْ هَؤُلاءِ،[1] إِذْ كَانَ نُفُورُ النَّاسِ عَنِ الأَوَّلِينَ مَشْهُورًا،[2] بِخِلافِ هَؤُلاءِ فَإِنَّهُمْ تَظَاهَرُوا بِنَصْرِ السُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ،[3]

= عندهم لا يليق بالله، وهذا معناه أن الرسول جاء بألغاز وأحاجٍ، ولم يأت بكلام فصيح، مع أن الرسول ﷺ هو أعلم الخلق وأفصح الخلق وأنصح، وهذا اتهام للرسول ﷺ بأنه لم يُبلغ، ولم يبين للناس المراد مما أنزل إليه من ربه.

(١) أي: الصنف الثاني، وهم أهل التأويل من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم، الذين يؤولون الأسماء والصفات إلى غير معانيها، أما أهل التخييل وأهل التجهيل فالرد عليهم في كتب أخرى غير هذه الفتوى.

(٢) لأن الناس ينفرون عن الصنف الأول الذين هم أهل التخييل والفلاسفة، لكن أهل التأويل يغرون الناس بأنهم علماء، ويدعون نصرة السنة والرد على أهل الضلال، فخطرهم على المسلمين أشد من خطر غيرهم.

وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ لاَ للإِسْلامِ نَصَرُوا، وَلا لِلْفَلاسِفَةِ كَسَرُوا، [١] وَلَكِنْ أُولَئِكَ الفَلاسِفَةُ أَلْزَمُوهُمْ فِي نُصُوصِ المَعَادِ نَظِيرَ مَا ادَّعَوْهُ فِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ، [٢]

---

(١) لأنهم ما ردوا عليهم بالكتاب والسنة، وإنما ردوا عليهم بعلم المنطق وعلم الكلام، وهذا لا ينصر الإسلام، ولا يكسر الباطل، وإنما يزيد الشر شراً.

فالذي يرد على أهل الضلال بغير الشرع وبغير ما جاء به الرسول لا يفيد شيئاً، بل يزيد الأمر خطورة؛ لأن الناس يختلفون في عقولهم وتصوراتهم.

(٢) لما ردوا على الباطنية الذين أنكروا البعث والنشور، وقالوا: ليست نصوص البعث والنشور على ظاهرها، وليس هناك بعث، ولا هناك جنة ونار، وإنما هذه أمور تخيلها الرسول من أجل مصالح الناس، قالت لهم الباطنية: نحن أوَّلنا، وأنتم أوَّلتم، نحن أوَّلنا البعث والنشور، وأنتم أوَّلتم الأسماء والصفات، والأسماء والصفات في كتاب الله أكثر من ذكر البعث، فلماذا يكون تأويلكم سائغًا، وتأويلنا باطلا؟ فلماذا تردون علينا، وأنتم أشد منا ضلالاً ؟.

فَقَالُوا لَهُمْ: (١) نَحْنُ نَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ بِمَعَادِ الأَبْدَانِ، وَقَدْ عَلِمْنَا الشُّبَهَ المَانِعَةَ مِنْهُ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ لِهَؤُلاءِ: وَنَحْنُ نَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، (٢) وَنُصُوصُ الصِّفَاتِ فِي الكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ نُصُوصِ المَعَادِ.

---

(١) أي: قالت الباطنية للمعتزلة: الرسل جاؤوا بإثبات البعث، وجاؤوا أيضًا بإثبات الأسماء والصفات، وأنتم أولتم الأسماء والصفات، ونحن أولنا أدلة البعث لشبه مانعة من إثباته، كما أولتم أنتم الأسماء والصفات لشبه مانعة من إثباتها.

(٢) أي: قال أهل السنة للمعتزلة: إذا كان البعث والنشور حقاً، وأنتم تردون على الفلاسفة قولهم بأن البعث والنشور ليس بحقيقة، وإن كان جاء في القرآن ذكره، فلماذا أنتم تؤولون الأسماء والصفات، وتقولون: إنها ليست بحقيقة؟ وتقولون: مذهبهم باطل، ومذهبكم صحيح. فأهل السنة والجماعة ردوا على الطائفتين: على أهل التخييل، وأهل التأويل، وقالوا: كلاكما ضال عن الحق؛ لأنكم لا تستدلون بكلام الله وكلام رسوله، وإنما تستدلون بأشياء وضعتموها من عندكم وقوانين قننتموها، وكلاكما قوله باطل، والصواب ما عليه =

وَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَعْلُومٌ أَنَّ مُشْرِكِي العَرَبِ وَغَيْرَهُمْ كَانُوا يُنْكِرُونَ المَعَادَ، وَقَدْ أَنْكَرُوهُ عَلَى الرَّسُولِ وَنَاظَرُوهُ عَلَيْهِ، بِخِلافِ الصِّفَاتِ؛[1] فَإِنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ شَيْئًا مِنْهَا أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ.

= أهل السنة والجماعة. فإذا فسد مذهب الفلاسفة في تأويل البعث، فسد مذهب المؤولة في الأسماء والصفات من باب أولى.

نصوص الصفات في الكتب الإلهية: التوراة، والإنجيل، والقرآن، والكتب المنزلة، أكثر من ذكر البعث والجنة والنار، ولماذا تغلظون على أهل التخييل في نفي المعاد، وأنتم ترتكبون ما هو أشد منه وأكثر منه ذكراً في القرآن وفي الكتب وهو الأسماء والصفات؟!

(١) وهذا وجه آخر في الرد على المؤولة للصفات، وهو أن العرب في الجاهلية كانوا ينكرون البعث ويقولون: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات: ١٦، ١٧]، لكن الأسماء والصفات لا ينكرونها، واليهود لا ينكرون الأسماء والصفات؛ ولهذا لما جاء الحبر إلى الرسول ﷺ، وذكر له أنه يجد في التوراة أن الله يقبض السماوات بيد والأرض بيد، ضحك النبي ﷺ لقول الحبر تصديقاً له، وأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ

فَعُلِمَ أَنَّ إِقْرَارَ العُقُولِ بِالصِّفَاتِ أَعْظَمُ مِنْ إِقْرَارِهَا بِالْمَعَادِ، (١) وَأَنَّ إِنْكَارَ المَعَادِ أَعْظَمُ مِنْ إِنْكَارِ الصِّفَاتِ، (٢) وَكَيْفَ يَجُوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ لَيْسَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ المَعَادِ هُوَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ.(٣)

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧]، فما في القرآن صدَّق ما في التوراة، فاليهود لا ينكرون الأسماء والصفات، والعرب في الجاهلية لا ينكرون الأسماء والصفات، وأنتم تنكرون الأسماء والصفات، فأنتم إذاً أضل من اليهود ومن جاهلية العرب في هذا الباب.

(١) إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالبعث، فهذا يدل على بطلان قول منكري الصفات من ناحية العقل.

(٢) هذا عندهم، مع أن العكس هو الصحيح، وهو أن إنكار الصفات أعظم من إنكار البعث.

(٣) هذا إلزام لهم بأن يقال: أنتم تقولون أيها المعتزلة: إن ما أخبر به الرسول ﷺ من البعث على حقيقته، فيقال لهم: فلماذا لا تكون الأسماء والصفات على حقيقتها، مع أن نصوصها في القرآن أكثر من نصوص البعث؟

وأَيْضًا: فَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ ذَمَّ أَهْلَ الكِتَابِ عَلَى مَا حَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ(١٣٤)، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْرَاةَ مَمْلُوءَةٌ مِنْ ذِكْرِ الصِّفَاتِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا مِمَّا حُرِّفَ وَبُدِّلَ لَكَانَ إِنْكَارُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْلَى،(١) فَكَيْفَ وَكَانُوا إِذَا ذَكَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ الصِّفَاتِ يَضْحَكُ تعجُّبًا مِنْهُمْ وَتَصْدِيقًا(١٣٥)؟ وَلَمْ يَعِبْهُمْ قَطُّ بِمَا تَعِيبُ النُّفاةُ لأَهْلِ الإِثْبَاتِ، مِثْلُ لَفْظِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ،(٢)

---

(١) والله ﷻ أنكر على اليهود والنصارى تحريف التوراة والإنجيل، ولم يُنكر عليهم إثبات الأسماء والصفات؛ لأنهم لم يحرفوها، وإنما حرفوا غيرها.

(٢) الرسول ﷺ لم يعب اليهود في إثباتهم الأسماء والصفات =

---

(١٣٤) تصديق ذلك ما جاء في كتاب الله - جل وعلا -: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩]، وغير ذلك من الآيات.

(١٣٥) يعني: حديث الحبر من اليهود الذي جاء إلى النبي ﷺ فذكر أن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع ... إلى آخر الحديث، فضحك النبي ﷺ تصديقاً له، وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧]. أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود ﷺ.

بَلْ عَابَهُمْ بِقَوْلِهِمْ ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وَقَوْلِهِمْ: اسْتَرَاحَ لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، [(١)]

= مثلما تعيب الجهمية والمعتزلة أهل السنة في إثبات الأسماء والصفات. ولم يقل لليهود: أنتم مجسمة تصفون الله بأن له يمينًا يقبض بها السماوات والأرض ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ولم يقل أنتم مجسمة، فدل على أنها حق.

(١) هو أقرهم بأن الله له يد، لكن عابهم على قولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، وعابهم على قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران: ١٨١]، يعني: إن الله يطلب منا الصدقة، يقول لنا: تصدقوا، فدل على أن الله فقير، ونحن أغنياء، هذا يريدون به تكذيب الرسول ﷺ، وإلا فهم يعلمون أن الله غني، ويعلمون أن الله أمر بالزكاة والصدقة، لكن يريدون بذلك تكذيب الرسول ﷺ والسخرية به. وعابهم على قولهم: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام =

وَالتَّوْرَاةُ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ المُطَابِقَةِ لِلصِّفَاتِ المَذْكُورَةِ فِي القُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَلَيْسَ فِيهَا تَصْرِيحٌ بِالْمَعَادِ كَمَا فِي القُرْآنِ، [١] فَإِذَا جَازَ أَنْ نَتَأَوَّلَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا الكِتَابَانِ، فَتَأْوِيلُ المَعَادِ الَّذِي انْفَرَدَ بِهِ أَحَدُهُمَا أَوْلَى، وَالثَّانِي مِمَّا يُعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ بَاطِلٌ، فَالأَوَّلُ أَوْلَى بِالْبُطْلَانِ. [٢]

= أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، ورد الله عليهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨]، ولم يرد عليهم في إثباتهم الأسماء والصفات، وإنما رد عليهم في إثبات النقائص في حق الله ﷻ.

(١) لأن التوراة من عند الله، والقرآن من عند الله، فهما متطابقان، فالتوراة مملوءة من ذكر الأسماء والصفات مثل القرآن، والمعتزلة أنكروا الأسماء والصفات، في حين أن ما في القرآن من ذكر البعث أكثر مما في التوراة من ذكر البعث.

(٢) الثاني (وهو إنكار البعث) باطل بلا شك، لكنه أخف من إنكار الأسماء والصفات، وإن كان باطلاً، فالباطل يتفاوت، بعضه أشد من بعض، فإنكار الأسماء والصفات أعظم من إنكار البعث .

وَأَمَّا الصِّنْفُ الثَّالِثُ: وَهُمْ أَهْلُ التَّجْهِيلِ:[(١)]

---

(١) تقدم أن المخالفين لمنهج السلف في باب الأسماء والصفات ثلاث طوائف:

- **الطائفة الأولى:** أهل التخييل.
- **الطائفة الثانية:** أهل التأويل.
- **الطائفة الثالثة:** أهل التجهيل.

وبيّن الشيخ - رحمه الله - ما يندرج تحت كل طائفة من هذه الطوائف.

فطائفة التجهيل: هم الذين يجهلون السلف والعلماء، بل والرسل، ويقولون: إنهم لا يعرفون معنى الأسماء والصفات، وإنما يرددون ألفاظها، ولا يعرفون معناها، وأما معناها فيفوضونه إلى الله، ويظنون أن مذهب السلف هو التفويض؛ ولهذا يقولون الله أعلم بمراده، وهذا خطأ فاحش، لأن معناه أن الله أنزل علينا نصوصا لا نعرفها، وهذا يخالف قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] الله أمرنا أن نتدبر آيات القرآن، وأعظمها آيات الأسماء والصفات، أعظم من آيات الأحكام، أمرنا الله بتدبرها، ولو كان معناها لا يفهم، فما فائدة التدبر؟ نتدبر شيئا لا نفهمه، يكلّفنا الله

بالمحال، وقال الله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] يعني: القرآن، هذا إنكار من الله على الذين لا يتدبرون القرآن، لماذا يتدبرون القرآن وهو ما يفهم؟! بل قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] قال: ﴿الْقُرْآنَ﴾، ولم يستثن شيئا من القرآن لا يتدبر، و الصحابة خصوصا، كما يأتي من أقوالهم: أنهم لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعرفوا معانيهن والعمل بهن، ما استثنوا شيئا.

يقول مجاهد ـ رحمه الله ـ: (عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فاتحتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ أُوقِفُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا)[١٣٦]، ما قال: أوقفه عند بعض الآيات، بل قال عند كل آية، إذًا فالقول باستثناء شيء من القرآن لا يتدبر قول ظاهر البطلان، ونسبته إلى السلف كذب وافتراء، فليس هو مذهب السلف، فيجب التنبه لهذا، لأن هذا المذهب خطير جداً.

---

(١٣٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٣٩٥)، والإمام أحمد في فضائل الصحابة بنحوه (٢/٩٥٨)، والدارمي في سننه (١١٢٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/١٥٤رقم ٣٠٢٨٧)، والطبراني في الكبير (١١٠٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/٢٧٩، ٢٨٠)، المستدرك على الصحيحين (٢/٣٠٧)، والذهبي في السير (٤/٤٥٠).

فَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ وَأَتْبَاعِ السَّلَفِ.[١] يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَانِيَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ،[٢] وَلا جِبْرِيلُ يَعْرِفُ مَعَانِيَ الآيَاتِ، وَلا السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ عَرَفُوا ذَلِكَ.[٣] وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ: إِنَّ مَعْنَاهَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللَّهُ،[٤] مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ تَكَلَّمَ بِهَذَا ابْتِدَاءً، فَعَلَى قَوْلِهِمْ تَكَلَّمَ بِكَلامٍ لاَ يَعْرِفُ مَعْنَاهُ.[٥]

---

(١) وانتسابهم إلى السنة وإلى السلف غير صحيح.

(٢) هذا تجهيل للرسول بأنه (لم يعلم أو لا يعرف معاني ما أنزل عليه من الصفات) والله ﷻ قال له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، كيف يبين للناس، وهو لا يعرف معاني هذه الآيات التي هل أجل ما في القرآن؟!

(٣) وكذلك كذبوا على جبريل: أنه ينقل ألفاظا أعجمية لا يفهم لها معنى.

(٤) مثل ما قالوا في الآيات، كذلك قالوا في الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ في الصفات: إنها لا يفهم معناها. وقد كذبوا في هذا.

(٥) الأحاديث تكلم بها الرسول، فهل يتكلم بشيء لا يفهم معناه؟!

وَهَؤُلاءِ يَظُنُّونَ أَنَّهُم اتَّبَعُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ٧]، فَإِنَّهُ وَقَفَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وَهُوَ وَقْفٌ صَحِيحٌ[137]، لَكِنْ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مَعْنَى الكَلامِ وَتَفْسِيرِهِ، وَبَيْنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي انْفَرَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ،[1]

---

(١) حيث ظنوا أن التأويل الذي لا يعلمه إلا الله هو معاني هذه=

---

(١٣٧) انظر: تفسير الطبري(٣/١٨٣)، والقرطبي (٤/٢٠)، والدر المنثور (٢/١٥٢).
وقال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان (١/١٩٢): «ومما يؤيد أن الواو استئنافية لا عاطفة: دلالة الاستقراء في القرآن؛ أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئاً وأثبته لنفسه، أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك؛ كقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (النمل: ٦٥) وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأعراف: ١٨٧) وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ (القصص: ٨٨) فالمطابق لذلك أن يكون قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٧)، معناه أنه لا يعلمه إلا هو وحده؛ كما قاله الخطابي، وقال: لو كانت الواو في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٧) للنسق لم يكن لقوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: ٧) فائدة، والقول بأن الوقف تام على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وأن قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ ابتداء كلام هو قول جمهور العلماء ...»اهـ.

وَظَنُّوا أَنَّ التَّأْوِيلَ فِي كَلامِ اللَّهِ هُوَ التَّأْوِيلُ الْمَذْكُورُ فِي كَلامِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَغَلِطُوا فِي ذَلِكَ. فَإِنَّ التَّأْوِيلَ يُرَادُ بِهِ ثَلاثُ مَعَانٍ: فَالتَّأْوِيلُ فِي اصْطِلاحِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ هُوَ: صَرْفُ اللَّفْظِ عَنِ الاحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الاحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ لِدَلِيلٍ يَقْتَرِنُ بِذَلِكَ.[١] فَلا يَكُونُ مَعْنَى اللَّفْظِ الْمُوَافِقِ لِدَلالَةِ ظَاهِرِهِ تَأْوِيلاً عَلَى اصْطِلاحِ هَؤُلاءِ،[٢] وَظَنُّوا أَنَّ مُرَادَ اللَّهِ بِلَفْظِ التَّأْوِيلِ ذَلِكَ،[٣] وَأَنَّ لِلنُّصُوصِ تَأْوِيلاً مُخَالِفاً لِمَدْلُولِهَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلا اللَّهُ، أَوْ يَعْلَمُهُ الْمُتَأَوِّلُونَ.[٤]

= النصوص، مع أن التأويل له معان غيره، سيبينها الشيخ.

(١) وهذا ليس هو المراد بالآية التي استدلوا بها؛ لأنه نوع محدث أحدثه المتأخرون.

(٢) أي: لا يكون تفسير اللفظ بمعناه الموافق للغة العربية تأويلاً.

(٣) ظنوا أن المراد بالتأويل الوارد في كلام الله هو هذا التأويل المحدث عند المتأخرين، وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يعينونه هم.

(٤) لأن المعطلة والمفوضة كلهم فهموا من النصوص ما لا يليق بالله ﷻ، فالمعطلة أولوها إلى غير ظاهرها، والمفوضة قالوا: ليست على ظاهرها، فنفوض معناها.

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلاءِ يَقُولُونَ: تُجْرَى عَلَى ظَاهِرِهَا،[١] فَظَاهِرُهَا مُرَادٌ.[٢] مَعَ قَوْلِهِمْ: إِنَّ لَهَا تَأْوِيلاً بِهَذَا المَعْنَى لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللَّهُ. وَهَذَا تَنَاقُضٌ وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلاءِ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ.[٣]

---

(١) تجرى على ظاهرها بمعنى: أنها تقرأ، وتُمَرُّ كما جاءت، لكن لا تفسر.

(٢) أي: يلزم على قولهم هذا أن ظاهرها مراد عندهم، وهو ما تدل عليه من أسماء الله وصفاته.

(٣) ثم يتناقضون، فيقولون: ليست على ظاهرها، ولها معنى لا يعلمه إلا الله، وهؤلاء قد ينتسب بعضهم إلى مذاهب الأئمة الأربعة في الفروع، ويخالفونهم في الأصول.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ التَّأْوِيلَ هُوَ تَفْسِيرُ الكَلامِ، سَوَاءٌ وَافَقَ ظَاهِرَهُ أَوْ لَمْ يُوَافِقْهُ، وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي اصْطِلاحِ جُمْهُورِ المُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ،[١] وَهَذَا التَّأْوِيلُ يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ،[٢] وَهُوَ مُوَافِقٌ لِوَقْفِ مَنْ وَقَفَ مِنَ السَّلَفِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ٧][٣]

---

(١) هذا هو التأويل المعروف عند قدماء المفسرين كابن جرير وغيره.

(٢) الذي هو تفسير المعنى، يعلمه الراسخون في العلم، فيكون الوقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ أي: الثابتون في العلم؛ لأن الرسوخ هو الثبوت، وهم الذين ثبتت أقدامهم في العلم لغزارة علمهم وثبوتهم على الحق، خلاف المتعالم، فهذا ليس راسخًا في العلم، وإنما يتزعزع؛ لأنه مبتدئ في طلب العلم أو يدعي أنه عالم وهو ليس من الراسخين في العلم.

(٣) هذا مأثور عن السلف: أنهم يقفون على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، فتكون الواو للعطف على لفظ الجلالة، بمعنى أن الراسخين في العلم أيضًا يعلمون المتشابهات.

كَمَا نُقِلَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ(١٣٨)، وَمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ(١٣٩)، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ(١٤٠)، وَابْنِ قُتَيْبَةَ(١٤١) وَغَيْرِهِمْ، وَكِلا القَوْلَيْنِ حَقٌّ بِاعْتِبَارٍ؛(١)

---

(١) أي: الوقف على قوله: (في العلم)، والوقف على لفظ الجلالة، =

---

(١٣٨) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، روى عن ابن عباس، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، ولد سنة إحدى وعشرين، وتوفي سنة أربع ومائة. انظر: تاريخ دمشق (١٧/٥٧)، وسير أعلام النبلاء (٤/٤٥٠)، ولسان الميزان (٧/٣٤٩).

(١٣٩) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المدني، قال عنه ابن حبان: «كان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم»، ووثقه النسائي، مات سنة بضع عشر ومائة. انظر: التاريخ الكبير (١/٥٤)، والثقات (٧/٣٩٤)، وتهذيب التهذيب (٩/٨١).

(١٤٠) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم المدني صاحب السيرة، كان بحراً من بحور العلم، مولده سنة نيف وثمانين، وتوفي سنة خمسين ومائة أو بعدها بيسير. انظر: الطبقات الكبرى (٧/٣٢١)، وتاريخ بغداد (١/٢١٤)، والعبر (١/٢١٦)، وسير الأعلام (٧/٣٣)، والتحفة اللطيفة (٢/٤٤٧).

(١٤١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب التصانيف في فنون العلم والآداب، توفي سنة ست وسبعين ومائتين. انظر: تاريخ دمشق (١٠/١٧٠)، والعبر (٢/٦٢)، وسير أعلام النبلاء(١٣/٢٩٦).

كَمَا قَدْ بَسَطْنَاهُ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ[١٤٢]، وَلِهَذَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا وَهَذَا،[١] وَكِلاهُمَا حَقٌّ.

وَالْمَعْنَى الثَّالِثُ:[٢] أَنَّ التَّأْوِيلَ: هُوَ الحَقِيقَةُ الَّتِي يَؤُولُ الكَلامُ إِلَيْهَا، وَإِنْ وَافَقَتْ ظَاهِرَهُ، فَتَأْوِيلُ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي الجَنَّةِ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللِّبَاسِ وَالنِّكَاحِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، هُوَ الحَقَائِقُ المَوْجُودَةُ أَنْفُسُهَا، لاَ مَا يُتَصَوَّرُ مِنْ مَعَانِيهَا فِي الأَذْهَانِ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ.

= كل قول له اعتبار.

(١) أي: نقل عن ابن عباس القولان: الوقف على لفظ الجلالة، والوقف على الراسخين في العلم.

(٢) من معاني التأويل.

---

(١٤٢) انظر: التدمرية (ص٩٠ وما بعدها)، ومجموع الفتاوى (٥/٢٣٤، ٣٤٧)، (١٣/٢٧٥).

وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي لُغَةِ القُرْآنِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ [يُوسُفُ : ١٠٠]،[١] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأَعْرَافُ : ٥٣]،[٢]

---

(١) يعني : ما حصل من سجود الأبوين والأخوة الأحد عشر هو تفسير رؤياه التي رآها في صغره، لم يعرف تأويلها إلا لما وقعت، فكذلك ما في الآخرة لا يعرف إلا إذا شوهد يوم القيامة، فهذا التأويل، أي : ما يؤول إليه الشيء من حقيقته المغيبة عنا.

(٢) (هل ينظرون) أي ما ينتظر الكفار إلا تأويله، أي تأويل ما جاء في القرآن حين يقع ما أخبر الله عنه : يوم القيامة، وما فيه من الجنة والنار، حينئذ يدركون أنهم أخطؤوا في الدنيا، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف : ٥٣] حين ذاك يدركون صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام، إذا رأوا حقيقة ما أخبرت به الرسل، وعاينوه، كانوا في الدنيا يكذبونهم، فإذا شاهدوه=

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].[1] وَهَذَا التَّأْوِيلُ هُوَ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللَّهُ.[2]

=يوم القيامة عرفوا صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقالوا: ﴿ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ يعني: هذا ما أخبرتنا به الرسل، لكن فات الأوان.

(١) (وأحسن تأويلا)، يعني: أحسن عاقبة، فرد النزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله أحسن عاقبة ومنتهى، فهذا يدل على أن التأويل المراد به العاقبة والمآل.

(٢) لأنه من علم الغيب، فحقائق الأسماء والصفات، وحقائق ما في الجنة، وحقائق ما في النار، وما يكون يوم القيامة هذا مغيب عنا.

فَتَأْوِيلُ الصِّفَاتِ الذى لانعرفه هُوَ الحَقِيقَةُ الَّتِي انْفَرَدَ اللَّهُ بِعِلْمِهَا، [(١)] وَهُوَ الكَيْفُ المَجْهُولُ الَّذِي قَالَ فِيهِ السَّلَفُ؛ كَمَالِكٍ وَغَيْرِهِ: [(٢)] (الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ)[(١٤٣)]، [(٣)]

---

(١) تأويل الصفات على هذا هو حقيقتها وكيفيتها، وهذا لا يعلمه إلا الله، أما معناها، وهو التفسير فنحن نعرفه.

(٢) ولهذا السلف يقولون: المعنى معلوم، والكيف مجهول، وهذه قاعدة عظيمة: أن معنى الصفات معلوم لنا، وأما كيفيتها فهي مجهولة، كما قاله الإمام مالك ـ رحمه الله ـ وغيره.

(٣) كما قال مالك وربيعة وأم سلمة وغيرهم من السلف.

---

(١٤٣) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٥٠، ١٥١)، وفي الاعتقاد (ص١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/١٠٠)، وفي العلو (ص١٣٩).

فَالاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ يُعْلَمُ مَعْنَاهُ وَتَفْسِيرُهُ وَيُتَرْجَمُ بِلُغَةٍ أُخْرَى، (١) وَهُوَ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، (٢) وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ ذَلِكَ الاسْتِوَاءِ فَهُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ إِلا اللَّهُ تَعَالَى. (٣)

---

(١) قولهم: الاستواء معلوم. أي: يعلم معناه، فاستوى على العرش، يعني: علا عليه، وارتفع عليه. واستوى الزرع على سوقه، يعني: ارتفع سنبله على قصبه، فمعناه العلو والارتفاع، هذا معناه في اللغة، لكن كيفية استواء الله على عرشه مجهولة لنا، ونحن نقول: استوى على العرش يعني: علا وارتفع على العرش، وكيفية استوائه لا نعلمها؛ لأنه لايعلمها إلا الله ﷻ.

يترجم أي ينقل من اللغة العربية إلى لغة أخرى؛ لأنه معروف، لو كان غير معروف ما أمكنت ترجمته .

(٢) وعلى هذا يكون الوقف على قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ٧]

(٣) كذلك النزول: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»، النزول معروف، ويكون من أعلى، أما كيف ينزل ربنا، فهذا لا يعلمه إلا الله ﷻ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ مَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ[١٤٤] وَغَيْرُهُ فِي تَفْسِيرِهِمْ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (تَفْسِيرُ القُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: تَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ العَرَبُ مِنْ كَلاَمِهَا[١]، وَتَفْسِيرٌ لاَ يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ[٢]،

---

(١) أي: من لغتها التي تتخاطب بها؛ لأن القرآن نزل بها.

(٢) لا يعذر أحد بجهالته مثل: التوحيد والشرك، والصلاة والصيام، وتحريم الربا، وتحريم الزنا، وتحريم الميتة، وتحريم الخمر، هذه أشياء ظاهرة لكل أحد، حتى العوام.

---

(١٤٤) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الإمام الحافظ أبو بكر الصنعاني الحميري، مولده سنة ست وعشرين ومائة، ومات باليمن في النصف من شوال سنة إحدى عشرة ومائتين.

انظر: تاريخ دمشق (٣٦/١٦٠)، والوافي بالوفيات (١٨/٢٤٤)، ووفيات الأعيان (٣/٢١٦)، وطبقات الحفاظ (ص١٥٨).

وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ العُلَمَاءُ (١)، وَتَفْسِيرٌ لاَ يَعْلَمُهُ إِلا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَن ادَّعَى عِلْمَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ) (١٤٥) (٢)

وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، (٣)

---

(١) لا يعرفه العوام؛ لأنه يحتاج إلى تعلم.

(٢) الذى لا يعلمه إلا الله هو كيفية الأسماء والصفات، كيفية ما في الجنة، كيفية ما في الآخرة، هذا لا يعلمه إلا الله ﷻ، ومن ادعى علمه، فهو كاذب.

(٣) أي: لا يعلم كيفية ما أعد الله لعبادة المؤمنين في الجنة إلا الله، لكن الله أعطانا أشياء نعرفها مجملة مثل: الفاكهة، والحرير، والعسل، فالعسل معروف عندنا، لكن عسل الجنة ليس مثل عسل الدنيا، اللبن عندنا موجود، لكن لبن الجنة ليس مثل لبن الدنيا.

---

(١٤٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/٣٤)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/٣٠٢). وانظر: تفسير ابن كثير (١/٧)، والدر المنثور للسيوطي (٢/١٥١، ١٥٢)، وفتح القدير للشوكاني (١/٣١٩).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(١٤٦) (١).

وَكَذَلِكَ عِلْمُ السَّاعَةِ وَنَحْوُ ذَلِكَ،(٢) فَهَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللَّهُ، وَإِنْ كُنَّا نَفْهَمُ مَعَانِيَ مَا خُوطِبْنَا بِهِ، وَنَفْهَمُ مِنَ الكَلامِ مَا قُصِدَ إِفْهَامُنَا إِيَّاهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٦٨]، فَأَمَرَ بِتَدَبُّرِ القُرْآنِ كُلِّهِ لاَ بِتَدَبُّرِ بَعْضِهِ.

---

(١) لا يعلم حقيقة ما أعد الله لعباده في الجنة على الكمال، إلا الله ﷻ، وإن أخبرهم عنها في الدنيا بأسمائها ومعانيها، لكن حقيقتها لا يعلمها إلا الله ﷻ.

(٢) هو سبحانه أخبرنا أن الساعة ستقوم، والساعة هي نهاية الدنيا وبداية الآخرة، لكن متى تقوم؟ الله أعلم، لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فلا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله؛ لأنه ليس لنا =

---

(١٤٦) أخرجه البخاري (٣٢٤٤، ٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: (حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِؤُونَنَا القُرْآنَ: عُثْمَانُ بْنُ عفَّانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَغَيْرُهُمَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَتَجَاوَزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ العِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا القُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ أَسْأَلُهُ عَنْهَا).

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: (مَا ابْتَدَعَ أَحَدٌ بِدْعَةً إِلاَّ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بَيَانُهَا).

وَقَالَ مَسْرُوقٌ: (مَا قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ وَعِلْمُهُ فِي القُرْآنِ، وَلَكِنَّ عِلْمَنَا قَصُرَ عَنْهُ).

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ قَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعِهِ.

= مصلحة من معرفة قيامها، وإنما المصلحة في أننا نعرف أنه لابد من قيام الساعة؛ فنعمل لها.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا التَّنْبِيهُ عَلَى أُصُولِ المَقَالاتِ الفَاسِدَةِ[(١)] الَّتِي أَوْجَبَتِ الضَّلالَ فِي بَابِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ،[(٢)]

---

(١) مقصود الشيخ مما ذكر في هذه الفتوى بيان مقالات أهل التأويل وأهل التجهيل، أنها مقالات فاسدة باطلة، هذا هو غرض الشيخ - رحمه الله - .

(٢) مقالات هؤلاء وقواعدهم التي قعدوها، وأمروا بالرجوع إليها هي التي أفسدت العقول، وأفسدت الإيمان، وعطلت العلم؛ لأن العلم هو العلم بما في القرآن والسنة، ولهذا يقول ابن القيم[(١٤٧)]:

فَتَدَبَّرِ القُرآنَ إن رُمتَ الهُدَى　　فَالعِلمُ تَحتَ تَدَبُّرِ القُرآنِ

وقال أيضًا:

العِلمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ　　قَالَ الصَّحَابَةُ هُم أُولُو العِرفَانِ[(١٤٨)]

---

(١٤٧) انظر: النونية بشرح ابن عيسى (١/٣١٥).

(١٤٨) انظر: النونية بشرح ابن عيسى (٢/٢٧٩).

وَأَنَّ مَنْ جَعَلَ الرَّسُولَ غَيْرَ عَالِمٍ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ، وَلا جِبْرِيلَ جَعَلَهُ غَيْرَ عَالِمٍ بِالسَّمْعِيَّاتِ، لَمْ يَجْعَلِ الْقُرْآنَ هُدًى وَلا بَيَانًا لِلنَّاسِ.(١)

---

(١) هؤلاء المفوضة الذين سبق الكلام عنهم آنفًا الذين يقولون: إن الرسول لا يعلمها.

والمراد بالسمعيات: ما يقابل العقليات، وهي الأدلة القرآنية، أدلة السمع، وهو الوحي.

الله ﷻ يقول: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] في أول السورة، ويقول في وسط السورة: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥] عموما ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ هداية توفيق وقبول، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ دلالة إرشاد وبيان، فالقرآن فيه الهدايتان:

١. **هداية الدلالة والإرشاد:** وهذا لجميع الناس المؤمن والكافر

٢. **وهداية توفيق وقبول:** وهذا إنما يكون للمؤمنين خاصة كما قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

ثُمَّ هَؤُلاءِ يُنْكِرُونَ العَقْلِيَّاتِ فِي هَذَا البَابِ بِالْكُلِّيَّةِ،[١] فَلا يَجْعَلُونَ عِنْدَ الرَّسُولِ ﷺ وَأُمَّتِهِ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لاَ عُلُومًا عَقْلِيَّةً وَلا سَمْعِيَّةً، وَهُمْ قَدْ شَارَكُوا المَلاحِدَةَ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ،[٢] وَهُمْ مُخْطِئُونَ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِلَى السَّلَفِ مِنَ الجَهْلِ؛ كَمَا أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلاتِ الفَاسِدَةِ، وَسَائِرُ أَصْنَافِ المَلاحِدَةِ.

---

(١) حتى العقليات التي يزعمون أن فيها الأدلة ينكرونها أيضا، فالقرآن جاء بالعقليات: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١] هذا دليل عقلي، أن تنظر في هذه المخلوقات، فتستدل بها على خالقها، وأنه هو المستحق للعبادة، فالقرآن فيه أدلة عقلية، القرآن ما ألغى العقل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [محمد: ٢٤] التدبر هو: التعقل.

(٢) المفوضة شاركوا الملاحدة الباطنية الذين يقولون: إن القرآن ليس على ظاهره، له ظاهر وله باطن، هؤلاء يقولون: ظاهره إثبات الصفات. والأمر ليس كذلك، فهو ليس على ظاهره عندهم.

انتهى ـ رحمه الله ـ من التقعيد في هذه المقدمة العظيمة، وسينتقل إلى ذكر نماذج من أقوال السلف في إثبات الأسماء والصفات.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

فهرس الأحاديث والآثار

* * *

مراجع التحقيق

- الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق فوقية حسين محمود، دار الأنصار القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.
- إثبات صفة العلو، ابن قدامة المقدسي، تحقيق بدر عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم، دار الكتاب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- الاستيعاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.
- الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية، مصر.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، تأليف: عمر بن علي بن موسى البزار أبو حفص، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٠، الطبعة: الثالثة، تحقيق: زهير الشاويش.
- الأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، محمد بن نصر المرتضى (ابن الوزير)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
- البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
- بيان تلبيس الجهمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.
- بيان فضل علم السلف، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق وتعليق محمد ناصر العجمي ، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى.
- تاريخ أصبهان، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهراني الأصبهاني، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سيد كسروي حسن.
- تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.

- تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥م.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تأليف: علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شركة العبيكان للطباعة والنشر.
- تذكرة الحفاظ، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى
- التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
- تفسير ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.
- تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠١هـ.
- تفسير البغوي، تحقيق محمد النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش.

- تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ١٤٢١هـ.
- تفسير القرطبي، طبعة دار الشعب، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى
- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق عبد العزيز إبراهيم الشهوان، دار الرشد بالرياض، طبعة ١٤١٨هـ.
- الثقات لابن حبان، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.
- الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق علي سيد صبيح المدني، مطبعة المدني، مصر.
- الحدود الأنيقة، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣م.
- درء تعارض العقل والنقل، تأليف: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. ، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن
- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبية، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.
- ذم التأويل، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ذيل طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- الرد الوافر، تأليف: محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٣، الطبعة: الأولى، تحقيق: زهير الشاويش
- الرد على الجهمية لابن منده، تحقيق علي محمد ناصر الفقيهي، المكتبة الأثرية، باكستان.
- الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

- الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق محمد حسن راشد، المطبعة السلفية، القاهرة، طبعة ١٣٩٣هـ.
- الروض الداني (المعجم الصغير)، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير
- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الثالثة
- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
- السنة للخلال - دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض.
- السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
- سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.
- سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبعة ١٤١٤هـ.
- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.
- شرح السنة، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، دار النشر: المكتب الإسلامي - دمشق _ بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش
- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة١٣٩١هـ.
- شرح القصيدة النونية، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
- شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
- شرح لمعة الاعتقاد، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، طبعة ١٤١٥هـ.

- الشريعة للآجري، مطابع الأشراف، لاهور.
- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٣٩٠هـ.
- صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- صريح السنة، ابن جرير الطبري، تحقيق بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- الصواعق المرسلة لابن القيم، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.
- الضعفاء، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن عبد الله بن عبد الكافي السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.
- طبقات المحدثين بأصبهان، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، تحقيق عبد الغفور حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
- العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت
- العرش، محمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- العظمة، لأبي الشيخ، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- العقود الدرية لابن عبد الهادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين الذهبي، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- غاية المرام للآمدي، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى، القاهرة، طبعة ١٣٩١هـ.
- فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.
- فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب، الكويت.
- فضل الصحابة، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- فوات الوفيات، تأليف: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله/عادل أحمد عبد الموجود
- الكامل في التاريخ لابن الأثير، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.
- كتاب التوحيد مع فتح المجيد، تحقيق أشرف عبد المقصود، مؤسسة قرطبة.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
- لطائف المعارف، للحافظ ابن رجب، توزيع مؤسسة الراجحي الخيرية.

- لمعة الاعتقاد، عبد الله بن قدامة المقدسي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.
- مختصر العلو للذهبي، اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
- مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- المعارف لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.
- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بمصر.
- مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.
- المنتظم لأبي الفرج بن الجوزي، دار صادر، بيروت.
- منهاج السنة النبوية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم
- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٥م.
- نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.



فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊